أَئِمَّةُ الْعَاشِقِين

فِي حُبِّ

سَيِّدِ الْمُرْسَلِين

شـــرح وإعـــداد

جمال نصر بكر

(الطَّبْعَة الأُولَى - ٢٠١٢ م)



دمنهور بجوار المحطة أمام البريد العمومى
تليفون ٠٤٥٣٣٢٠١٢١ محمول ٠١٢٧٦٢٠٧٦٤ - ٠١٠٥٤٠١٥٩٤

عنوان الْكِتَاب	أئمّة الْعَاشِقِين في حُبّ سَيِّد الْمُرْسَلِين .
شرح وإعداد	جمال نصر بكر .
النّاشــــــر	مَكْتَبَة بَحْر الْعُلُوم .
بلــد النَّشَــر	مِصْر .
عنوان النّاشــر	دمنهور – ميدان المحطة – أمام البريد العمومي .
رقم التليفــون	٠١٠٠٥٤٠١٥٩٤
الطَّبْعَــــــة	الأُولَى .
ســنة الطَّبْــع	١٤٣٣ هـ = ٢٠١٢ م .
مقاس الْكِتَاب	١٧ × ٢٤ سم .
عدد الصَّفَحَات	٢٣٠ صفحة .

رقم الإيداع

٢٠١٣/٣٤٠٨

إهـــــداء

إلى كل أحبائي ..

حفيدتي شروق .. رمز النبل والمثل العليا .

وحفيدتي شهد .. رمز الذكاء المتوثب والمجاملات الرقيقة .

وحفيدي شهاب .. رمز الطيبة والبراءة والرجولة .

وحفيدتي رفيدة .. رمز الحب والوفاء ..

إليهم جميعاً أهدي هذا الكتاب ، وأرجو مِن اللّه أن يستطيعوا قراءته في يوم ما وغيره مِن الكتب ، وأن لا يكتفوا بنيل الشهادات فقط ؛ بل تكون باباً وجوازاً لِلمرور إلى المعرفة والثقافة .

وأشكر كل مَن ساعد أو شَجَّع – ولو بكلمة – لِكي يتمّ هذا العمل .

واللّهَ أسأل أن يكون في ميزان حسناتي ذلك الجهد المتواضع .

وعلى اللّه قَصْد السبيل .

جمال نصر بكر

أول يناير ٢٠١١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَـــدِّمَـــة

إنّ الحمد لِلّه ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللّه تعالى مِن شرور أنفسنا ومِن سيئات أعمالنا ..

مَن يَهْدِهِ اللّه فلا مُضِلّ له ، ومَن يضلل فلا هاديَ له .

وأشهد أن لا إلهَ إلا اللّه وحده لا شريكَ له ، وصلى اللّه على سيدنا محمد هادي الأمة والرسول الأمين والنور المبين ..

أمّا بعـــد .. فقد لاحظنا أن المكتبة العربية ينقصها كتاب يجمع بين دفتيه قصائد المديح النبوية ، وقد شجعني على هذا العمل أن عندي قصيدةً لم تُنْشَرْ قبل ذلك ، وقد تندثر ولا يعلم أحد عنها شيئاً ، فآثرتُ أن أنشرها ومعها بعض القصائد – وبعضها لم يذع صيته – مثل البردة ونهجها ، وإن شاء اللّه تكون بدايةً لِنشر ما يصل إلى يدنا مِن قصائد المديح التي يكتبها المحبون والعاشقون لِرسول رب العالمين ﷺ .

وهذه القصائد تجمع بين أبياها السيرة النبوية بتفاصيلها الدقيقة ، والذي لا نجده في قصيدة نجده في أختها ، ولذا فعلى دارس السيرة النبوية أن يُلِمّ بطرف مِن هذه القصائد أو بها جميعاً .

وقد اعتبرنا الأبيات التي قالها حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح الرسول ﷺ قصيدةً واحدةً برغم اختلاف قوافيها .

وأنا أقدِّم هذا الكتاب لِقراء العربية لِلعوامّ منهم قبل المتخصصين .

وقد حاولتُ جهدي أن أشرح قصيدة " نسق البردة " شرحاً مبسطاً جدّاً ، ويستطيع مَن يقرأها ويقرأ شرحها أن يقف على سيرة الرسول ﷺ ودراسة السيرة النبوية سواء شعراً أو نثراً لها ؛ لأن لها أهمّيّةً عظمى ؛ نلخصها في الآتي :

١ – نفهم منها شخصية الرسول ﷺ مِن خلال حياته وظروفه التي عاشها قبل البعثة وبعدها ، والتي كانت واضحةً وضوحَ الشمس في كبد السماء ، والتي

يتضح منها أن سيدنا محمّداً لم يكن مجرد عبقريّ سمت به عبقريته بين قومه ؛ ولكنه نبيّ مرسل أيّده اللّه بوحي مِن عنده سبحانه وأجرَى على يديه معجزاته ﷺ .

٢- يجد القارئ بين يديه المثل الأعلى في كل شأن مِن شئون الحياة الفاضلة ، ومهما بحثتَ وتقصيتَ فلن تجد مثلاً أعلى كما كان سيدنا محمد ﷺ ، فجدير بنا أن نسير على نهجه وطريقه ؛ لأنه هو القدوة ؛ قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١) .

٣- نستطيع بدراستنا لِلسيرة النبوية فَهْم كثير مِن آيات القرآن الكريم ؛ لأن كثيراً منها تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت برسول اللّه ﷺ ومواقفه بين هذه الأحداث .

وأخيراً .. فإنني رأيت أن الشعوب العربية شعوب – مما يؤسف له – قليلاً ما تقرأ ؛ فقد استغنى الشباب عن القراءة بمشاهدة التلفاز والجلوس بالمقاهي أو البقاء أمام النت بالساعات الطوال ؛ الأمر الذي سطّح عقولهم وأنساهم علومهم التي درسوها بالجامعة ، ولم يثقفوا أنفسهم ثقافةً عميقةً ، وهي لا تتأتى إلا بالقراءة في الكتب الورقية ..

لِذا كتبتُ بحثي المتواضع عن أهمية الكتاب ، فكتبتُ أقول : إن لِلثقافة مصادر كثيرةً ، أهمها الكتاب ، وأولها الطبيعة والترحال والتأمل ، وكلها مِن مصادر الثقافة ، كذلك التعامل مع الناس والاستفادة مِن تجاربهم ، ويأتي الكتاب لِيكون الأهم والأخطر في عالَم الثقافة ، فصدق قول الشاعر محمد التهامي :

إذَا مَا رُمْـتَ فِـي أَمْـرٍ صَـوَابَا ... فَسَلْ فِـي كُـلِّ مَـا تَبْغِـي كِتَابَـا
فَفَـوْقَ سُـطُورِهِ يَنْسَـابُ نُـورٌ ... يَسُـوقُ لِكُـلِّ مَسْـأَلَةٍ جَوَابَـا
يُضِـيءُ الْعَقْـلَ يُوقِظُـهُ فَيَنْمُـو ... ويَفْـتَحُ لانْغِـلاَقِ النُّـورِ بابَـا
ووَزْنُ النّاسِ فِـي الـدُّنْيَا عُقُـولٌ ... إذَا غابَـتْ فَكُـلُّ الْكَـوْنِ غابَـا

(١) سورة الأحزاب : ٢١

ثم يقول :

فَحِـــينَ أَعَزَّنَـــا الْمَـــوْلَى قَـــدِيماً   تَخَيَّرَنَـــا وَأَعْطَانَـــا الْكِتَابَـــا

وهو القرآن الكريم .

فالكتاب هو الذي حفظ لنا التاريخ وما فيه مِن عِبَر ، بل إن الدين نفسه وما فيه مِن تعاليم تَمّ حفظها في الكتاب .

يقول الشاعر الراحل أحمد فهمي خَطّاب في قصيدة صغيرة اسمها " نور على نور في مدح الرسول ﷺ " :

مَا مِثْـلُ قَـوْلِ اللَّـهِ عَنْـهُ ثَنَـاءُ   مَهْمَـا يُرَقْـرِقُ مَدْحَـهُ الشُّـعَرَاءُ

هُوَ مَنْ عَلَى الْخُلُقِ الْعَظِيمِ مَقَامُـهُ   أَخْلاَقُـهُ الْقُـرْآنُ وهْـوَ ضِـيَاءُ

وسِمَاتُ أَحْمَدَ فِي الْكِتَابِ وَضِـيئَةٌ   قَـدْ أَيَّـدَتْ مَـا قالَـهُ الْبُشَـرَاءُ

مُوسَى وعِيسَـى بَشَّـرَا بِمُحَمَّـدٍ   والْجِـنُّ والْكُهَّـانُ والْعُرَفَـاءُ

والكتاب أجمل هدية إلى مَن تحب ، فإذا قَدَّمْتَ باقةَ ورد فإنك رومانسيّ ، وإذا قَدَّمْتَ باقةَ عطر فإنك – أيضاً – رومانسيّ ، أمّا إذا قَدَّمْتَ كتاباً هديّةً فأنت مثقف وقد تكون فقيراً .

وكما قال أحد الكتّاب بجريدة الأهرام : الناس في بلادي لا يقرأون .. هل يُعْقَل أن دولةً صغيرةً مثل اليونان تنتج وتترجم عدداً مِن الكتب سنويّاً يفوق ما تنتجه الدول العربية جميعاً ؟! وهل يُعْقَل أن إسبانيا تترجم في العام ما يترجمه العرب خلال ألف عام ؟!

إن الثقافة قضية أمن قوميّ ، والقراءة المستنيرة حصانة ضد التطرف .

إن شعبنا أغلب ثقافته هو التليفزيون .. هو شعب سوف يكون في ذيل الأمم تقدماً وثقافةً وعلماً .

وإنه لَمِمَّا يؤسف له أن الشاب حينما ينتهي مِن دراسته – سواء عالية أو متوسطة – تنتهي علاقته بالكتب تماماً ، علماً بأنه مِن المفترض أنه إذا حصل على شهادته يبدأ في تثقيف نفسه والقراءة في جميع العلوم لِيأخذ منها قليلاً

مِن العلم في كل منحى مِن مناحي العلوم سواء كانت أدباً أو ثقافةً عامّةً أو متخصصةً .

وبالطبع فإن الكتاب – بجانب الأدوات الأخرى مِن نت وغيره مِن المجلات العلمية والمتخصصة – مصدر مهم مِن مصادر المعرفة والثقافة ، وقد نجلس مع بعض الشباب فنجده لا يعلم شيئاً ، اللهم إلا ما يتاح له في التليفزيون مِن أغاني وأفلام ، وحتى البرامج الثقافية لا تجد لها اهتماماً لدى أغلب الشباب !

كتب الدكتور عبد الهادي مصباح في جريدة الأهرام بعنوان " العلم يا أمة (اقرأ) " : كلمة " اقرأ " هي أول ما نزل مِن القرآن الكريم على رسول اللّه ﷺ ، والعلم مِن صفات الذات الإلهية التي أسبغها رب العزة على نفسه في مواضع كثيرة ، وهو مِن الصفات التي منحها اللّه ﷻ لِلأنبياء : فقال عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (١) ، وعن سيدنا داود وسليمان عليهما السلام ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ، وكانت رسالته لِنبيّه ورسوله محمد ﷺ لا بد أن تنزل عليه وهو أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب حتى لا يشكك فيها أحد ؛ لأن المعجزة الخالدة فيها هو القرآن الكريم .

وهناك ١٠٢ حديثاً شريفاً يحثّ على التعلم ، منها : ﴿ مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللّهُ بِهِ طَرِيقاً مِنْ طَرِيقِ الْجَنَّة ﴾ ، و﴿ إنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ الْعِلْم ﴾ ، و﴿ إنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاء ﴾ ، و﴿ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُوم ﴾ ، و﴿ إنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَهُمْ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً ؛ إنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِر ﴾ .

ويكفي لإظهار فضل العلماء على غيرهم أن المولى ﷻ قد اختصهم بخشيته

---

(١) سورة القصص : ١٤

(٢) سورة النمل : ١٥

حين قال ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [١] .

وعن أبي أمامة ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ – حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ – لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ ﴾ .

ويقول الحسن البصري : الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء .

وقال أيضاً : العلماء مثل الماء ؛ حيثما سقطوا نفعوا .

وقيل لابن المبارك :" إلى متى تطلب العلم ؟ " قال : حتى الممات ؛ لعل الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد .

وانظروا إلى نهج رسول اللَّه ﷺ مع أُمَّتِه لِيَصل بها إلى ما وصلت إليه في قرون الإسلام الأولى مِن خلال العلم والسلوك ؛ فقد جعل فداءَ كل أسير مِن أسرى بدر الـــ٧٠ تعليم ١٠ مِن المسلمين حتى يجيدوا ، وكان ممن تعلَّموا زيد بن ثابت جامع القرآن الكريم الذي طلب منه الرسول ﷺ فيما بعد تعلُّمَ لغة اليهود فتعلَّمَها في ١٨ يوماً ، فسأله ﴿أَتُكَاتِبُهُمْ بِهَا﴾ قال :" نَعَمْ أُكَاتِبُهُم " أي أنه ليس تعلماً سطحيّاً ؛ بل إجادة تامة .

وقد أكمل الدكتور عبد الهادي مقاله بإظهار صفات العلماء ؛ وليس هنا مجال لِذلك ؛ لأن المبحث هنا عن الكتاب وأهميته وماذا قال الشعراء والكتّاب فيه ..

قال أمير الشعراء أحمد شوقي :

أَنَا مَـــنْ بَـــدَّلَ بِالْكُتْـــبِ الصَّـــحَابَا ... لَـــمْ أَجِـــدْ لِـــي وافِيـــاً إلاَّ الْكِتَابَـــا

صَـــاحِباً إنْ عَبْتَـــهُ أوْ لَـــمْ تَعِـــبْ ... لَـــيْسَ بِالْوَاجِـــدِ لِلصَّـــاحِبِ عابَـــا

كُلَّمَـــا أَخْلَقْتُـــهُ جَـــدَّدَنِي ... وكَسَانِي مِنْ حُلَـــى الْفَضْـــلِ ثِيَابَـــا

صُـــحْبَتُهُ لَـــمْ أَشْـــكُ فِيهَـــا رِيبَـــةً ... ووِدَادٌ لَـــمْ يُكَلِّفْنِـــي عِتَابَـــا

رُبَّ لَيْـــلٍ لَـــمْ نَقْصُـــرْ فِيـــهِ عَـــنْ ... سَمَرٍ طالَ عَلَـــى الصَّـــمْتِ وطَابَـــا

---

(١) سورة فاطر : ٢٨

ثم يقول في الكتب :

تَجِدُ الْكُتْبَ عَلَى النَّقْدِ كَمَا تَجِدُ الإخْوَانَ صِدْقاً وكَذّابَا
فَتَخَيَّرْهَا كَمَا تَخْتَارُهُ وادَّخِرْ فِي الصَّحْبِ والْكُتْبِ اللُّبَابَا
صالِحُ الإخْوَانِ يَبْغِيكَ التُّقَى ورَشِيدُ الْكُتُبِ يَبْغِيكَ الصَّوَابَا

وتقول دراسة حديثة : إن الأطفال الذين يترعرعون في بيوت تكثر فيها الكتب ينالون قسطاً أوفى مِن التعليم عن سواهم ممن تخلو بيوتهم مِن الكتب ، وإن الطفل الذي يولد في عائلة لديها كتاب واحد يُتوقع أن يبلغ تعليمه مستويات أعلى ممن ليس لديهم كتاب ، أمّا الأطفال الذين لدى عائلتهم ٥٠٠ كتاب فَهُمْ أعلى في التعليم .

ولكن مِن المعروف أننا لا نقرأ !

كتب الأستاذ محمود المناوي بجريدة الأهرام تحت عنوان " لماذا نقرأ ؟ " : في عام ٢٠٠٠ تقاضى الروائي آرثر جفري ١٤ مليون جنيه استرليني ثمن ثلاث روايات لم يكن قد كتبها بعد .. إلى هنا لا ينتهي الخبر ؛ فالأكثر مِن ذلك أن آرثر تقاضى مبلغ ٥٠ مليون دولار أمريكي ثمناً لِحقوق إنتاج الروايات المذكورة التي نكرر أنها لم تكن كُتِبَتْ بعد في أفلام سينمائية .. المبلغان مذهلان ، لكنك تزداد ذهولاً عندما تعرف أن أكبر روائيّ عربيّ – بما فيهم نجيب محفوظ صاحب نوبل – لم يتقاضَ في حياته مبلغ ١٤ مليون أو ٥٠ مليون بأي عملة مِن عملات الأرض ثمناً لِعشر روايات مِن رواياته !!

والعقدة هنا ليست في الناشر ؛ لكن في القارئ ؛ لأننا أمة لا تريد أن تقرأ ؛ إذ ليس مِن المعقول ولا مِن المقبول أن يبيع أكثر الكتب رواجاً في عالَم العرب خمسة آلاف نسخة !

هل هناك عداء بين المواطن العربي العادي والثقافة ؟!

يبدو ذلك ؛ وإلا ما تفسير إحجام المواطن العربي عن شراء الكتاب وقراءته ؟!

وهل مِن المعقول الذي لا يصدَّق أن يُعتبر ناجحاً الكتاب الذي يبيع أكثر مِن ألف نسخة في عالَم عربيّ تقول الأرقام أن تعداد سكانه يزحف نحو ثلث مليار نسمة ؟!

لا بد أن هناك سبباً أو أسباباً لِهذا العداء .. هل هو البيت العربي الذي يَعتبر الكتاب مِن الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها بسهولة ؟! وبالتالي لا يتعرف المواطن على الكتاب وهو طفل ، ولا يتمّ التعرف عليه إلا عبر الكتاب المدرسي المرفوض لأنه مرتبط بالثواب والعقاب ..

أم أن المدرسة العربية قد توقفت منذ زمن بعيد عن اعتبار المكتبة المدرسية ضرورةً مِن الضرورات ؟ والتي كانت في أيام ازدهارها تحثّ الطالب على المطالعة ، بينما هو اليوم عاجز ماليّاً عن شراء الكتاب المدرسي .

فمهما تصاعد الذين يحملون شهادات جامعية في العالَم العربي سنبقى أُمَّةً أُمِّيَّةً ما دمنا لا نقرأ ؛ فالشهادة الجامعية لا تكفي ؛ لأنها فقط الطريق إلى القراءة وليست نهاية القراءة ؛ فنحن نرى الطالب الجامعي بعد انتهاء دراسته وحصوله على المؤهل العالي تنتهي نهائيّاً علاقته بالكتاب ، اللهم إلا عدد ضئيل جدّاً لا يمثّل نسبةً بسيطةً في المجتمع .

يقول الكاتب المعروف جابر عصفور في مقالة بالأهرام عن إنقاذ الثقافة المصرية : إن إنقاذ الثقافة المصرية مِن الكارثة التي نعانيها إنقاذ لِلعقل المصري كله وانتشال لِلوعي الجمعي مِن الهوة التي سقط فيها ، وهي مهمة ليست سهلةً ولكنها ليست مستحيلةً ، وممكنة إذا صدقت النوايا وتَرَفَّع الجميع عن الأهواء والتحزبات الضيقة ؛ فلِلثقافة المصرية فخرها الذي سبقت به غيرها .

وكتب الأديب الشاعر المعروف أحمد عبد المعطي حجازي في مقالات بجريدة الأهرام يقول : أرجو أن تصبروا معي على مواصلة الكلام عن الكتاب المصري ؛ فالكتاب المصري ليس مجرد سلعة تهمّ المشتغلين بها والمتكسبين منها وحدهم ؛ ولكنه عمود الثقافة المصرية ؛ لأنه المجال الخصب الذي يزدهر فيه العقل وتحيا اللغة وتتجدد وتزيدنا صلةً بأنفسنا وبالعالَم المحيط بنا ؛ فصحة الكتاب المصري

دليل على أننا أصحاء ، ومرضه دليل على أننا مرضى ، ولهذا تشتد حاجتنا لِلحديث عن الكتاب المصري الذي لا يحدثنا عنه أحد ..

نحن لا نعرف شيئاً مؤكداً عن القراءة في مصر .. كم عدد المواطنين المصريين القادرين على القراءة ؟ وكم عدد القراء الفعليين ؟ كم كتاباً مؤلفاً يصدر عندنا كل عام ؟ وكم كتاباً مترجماً ؟ وما هي القضايا والمجالات التي تعالجها وتصدر منها هذه الكتب المؤلفة والمترجمة ؟

ليس لدينا ما يجيب على أي سؤال مِن هذه الأسئلة إلا الظن والتخمين .

ثم يقول : وإذا كانت معرفة أحوال الكتاب في البلاد الأخرى واجباً يؤدَّى كل يوم بصرف النظر عن مدى الحاجة إليه فمعرفة أحوال الكتاب المصري الآن واجب مُلِحّ لا نستطيع أن نتهرب منه أو نؤجله .

ويكفي أن أقدِّم لكم ما قرأته عن معدلات القراءة عندنا وفي أنحاء أخرى مِن العالَم المحيط بنا لِتدركوا حقيقة ما نحن فيه لا في الثقافة وحدها بل في حياتنا كلها ..

والإحصائيات التي نشرتها منظمة اليونسكو تشير إلى أن الفرد الواحد في إسرائيل يقرأ أربعين كتاباً في السنة أي أكثر مِن ثلاثة كتب في الشهر ، ويليه الأوروبي الغربي الذي يقرأ في المتوسط خمسةً وثلاثين كتاباً ، وتنتقل الإحصائية إلى أفريقيا فتقول : إن المواطن السنغالي يقرأ أربعة كتب في العام ، أمّا في البلاد العربية – ومنها مصر طبعاً – فهناك كتاب واحد لكل ثمانين قارئاً ، وإذا قدَّرْنا عدد صفحات الكتاب بحوالي ٣٠٠ صفحة تبيَّن لنا أن كل مواطن عربيّ يقرأ أربع صفحات كل يوم !

ولو صحّت هذه الإحصائيات – وهي ليست بعيدةً جدّاً عن الصحة – لكان معناها أن الإسرائيلي يقرأ في العام الواحد ما يحتاج العربي في قراءته إلى ثلاثة قرون (القرن = مائة عام) ، وبوسعنا أن نعرف في أي عصر نعيش نحن وفي أي عصر يعيشون ..

إنهم يتلقفون ما يصدر عندهم وفي العالَم المتقدم فيقرأونه ويهضمونه

ويستخرجون منه ما يساعدهم على ملاحقة الزمن ومسابقته ، أمّا نحن فنقرأ الكتاب بعد أن يصدر بثلاثة قرون !

ولأن الكتب لا تكفّ عن الصدور ونحن لا نكفّ عن تأجيل قراءتها يزداد المدى الفاصل بيننا وبينها اتساعاً ، ونصحو لِنجد أنفسنا كأن طيوراً عملاقةً مِن ذلك النوع الذي نقرأ عنه في ألف ليلة وليلة قد حملتنا بين مخالبها وألقت بنا في ظلمات العصور الماضية ... ونكتفي مِن المقالة بهذا القدر .

أيها الغافلون .. استيقظوا ؛ فقد قررت إسرائيل تعليم اللغة العربية لأبنائها ابتداءً مِن المرحلة الابتدائية ..

يقول الأستاذ فاروق جويدة بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٠١٠/٩/٣ : ولماذا يَدرس أطفال إسرائيل اللغة العربية بينما يهرب منها أبناؤنا الضائعون ما بين سراديب الأمية والمدارس الأجنبية والمسلسلات التافهة في الوطن العربي ؟! لا أعتقد أن المؤسسات التعليمية في إسرائيل اتخذت مثل هذا القرار حُبّاً في اللغة العربية أو تعاطفاً مع شعوبها ؛ ولكنها الأهداف والأدوار والمصالح والبحث عن جوانب القوة في مستقبل الصراع بين دول المنطقة ..

انتهى كلام الأستاذ فاروق جويدة .

ونقول : إن المصيبة الكبرى أن الإنسان العربي يتخرج مِن الجامعة ثم يخاصم الكتب بل والثقافة كلها وكأن بينه وبين الثقافة عداءً ، وهو يكتفي بما حصّله في الجامعة مِن علوم ، وهو لا يدري أن هذه العلوم التي حصّلها – سواء علمية أو أدبية أو تجارية أو فلسفية – فهو يدرس في الجامعة منهجاً واحداً متخصصاً ويتوسع في هذا المنهج في سنوات دراسته الجامعية ، وهو لا يعرف شيئاً عن باقي الدراسات في الكليات الأخرى ، وليس مطلوباً منه أن يتعمق في دراسة أخرى غير تخصصه ، ولكن مطلوب منه أن يأخذ مِن كل بستان زهرةً ويقرأ في كل شيء شيئاً لِلعلم بالشيء ولا الجهل به .

يقول أمير الشعراء في كتابه " سوق الذهب " وقد كتب ذلك قبل أكثر مِن ستين عاماً : ما بال الناشئ واصَل اجتهادَه حتى حصَل على الشهادة فلمّا كحل

بأحرفها عينيه وزفرت بزخرفها كلتا يديه هجر العلمَ وربوعَه وبعث إلى معاهده بأقطوعة [أي خاصم معاهد العلم] وطوى الدفاتر وترك المحابر وذهب يخايل [يباهي] ويفاخر ويدعي علم الأول والآخِر ؟!

فمن ينبهه [يخبره] – بارك اللّٰه فيه لأبيه وجزى سعي معلمه ومربيه – أن الشهادة طرف السبب [بداية الحياة والثقافة] وفاتحة الطلب والجواز [علامة المرور] إلى أقطار العلم والأدب ، وأن العلم لا يُمْلَك بالصكوك والرقاع [أي بالشهادات] ؟!

وأختتم مقدمتي بقول جمال الدين الأفغاني : نهض الغرب بالعلم والعمل ، وانحطّ الشرق بالجهل والكسل .

ولِلّٰه الأمر مِن قبل ومن بعد .

جمال نصر بكر

أول يناير ٢٠١١ م

قصيدة نسق البردة

* التعريف بالشاعر :

هو أبو بكر عبد الرحمن مخيون (١٩١٠ – ٢٠٠٥) ، وكان مقيماً بعزبته " عزبة مخيون " مِن قرى مركز أبو حمص – بحيرة .

وهو عصاميّ الثقافة ، لم يكتفِ بعد نيله شهادة البكالوريا بما تم تحصيله مِن العلم ؛ بل ثَقَّف نفسه ثقافةً واسعةً في علوم الشريعة الإسلامية والثقافة العامة ، ودرس الشعر بدون معلم .

وقد ألّف قصيدة (نسق البردة المباركة) عام ١٩٦٠ تقريباً ، ونحن لا نعرف بالتحديد الدقيق زمن كتابتها ، وكتب أشعاراً أخرى كثيرةً ، وكلها شعر تقليديّ موزون مقفّى ، وأيضاً كتب ديوان شعر لِلأطفال ، وقد أنبأني به ، ولكن لم تتح الفرصة لإحضاره لي .

وكانت مكتبته في بيته تحوي مخطوطات كثيرةً وقيمةً ، ويعلم اللّه أين ذهبت هذه الكتب قبل وفاته بأيام قلائل .

والحاج أبو بكر كان دائمَ الزيارة لي ، وحكى لي كثيراً مِن الأخبار ، منها – مثلاً – أنه زار الإمامَ حسن البنا في مقرِّه في بداية تكوين جماعة الإخوان المسلمين فقال له : يا أستاذ حسن .. لا بد أن تسمِّي هذه الجماعة بـــ" الإخوان المؤمنين " بدلاً من " الإخوان المسلمين " ؛ لأن اللّه قال في كتابه العزيز ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] .

وكان الرجل مِن الرعيل الأول المثقف ثقافةً واسعةً ، وكان على دراية كبيرة بالتاريخ الإسلامي ، وقد بحثتُ على النت فلم أجد له شيئاً ذا بال ، ولكن له كتاب اسمه " مشكاة الأنوار فيما رُوِي عن اللّه سبحانه مِن الأخبار " ، وهو كتاب صغير قام بنشره والتعليق عليه ، وبه مائة حديث قدسيّ قام رحمه الله بشرحها ، والكتاب طُبِع عام ١٩٤٨ م .

---

(١) سورة الحجرات : ١٠

وله – أيضاً – عندي قصيدة طويلة في رثاء أم كلثوم رحمها اللّه .

وقد كانت وفاته عام ٢٠٠٥ تقريباً عن عمر يناهز التسعين عاماً ، ولم يُنشر له إنتاج في عصرنا الحديث بالرغم مِن أنه كان يمتلك إنتاجاً أدبيّاً وإسلاميّاً جديراً بالنشر ، ولكنها إرادة اللّه .

وقد أعطاني هذه القصيدة لِنشرها في حينها ، ولكن الظروف لم تسمح بذلك .

رحمه اللّه رحمةً واسعةً على ما بذله مِن جهد في تأليف هذه القصيدة الطويلة .

* مقدمة لِقصيدة نسق البردة المباركة :

هي قصيدة طويلة على مثال البردة ونهج البردة وكشف الغمة ، وقد استطعنا أن نجمع هنا ٤٣٧ بيتاً منها ، وبقيتها في انتظار مَن يجدها ويبعث بها إلينا والفوز بالجائزة القيمة .

وتبدأ القصيدة بالهيام بالأمكنة التي عاش فيها الرسول ﷺ ووُلِد وبُعِث فيها وانتقل إلى الرفيق الأعلى بها : وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة وما بينهما مِن جبال ووديان وحواضر وصحراء ، وفي هذه المقدمة يهيم حُبّاً بسيدنا محمد ﷺ ، ولِمَ لا وهو النبي الخاتم والذي كان هدايةً لِكل البشر والمبعوث رحمةً لِلعالَمين ؟! بل يتغنى بالبقيع وساكنيه صلاة اللّه وسلامه عليهم جميعاً .. وقد كانت هذه المقدمة سبعةً وعشرين بيتاً .

ثم ينتقل إلى فضل المصطفى ﷺ مِن جمعه لِكل الخير ، وذلك في ثلاثة أبيات .

بعد ذلك يصف لنا النار وما فيها في تسعة أبيات .

ثم يقدِّم لنا ابتهالاته واعتذاراً عمّا ارتكبه مِن الذنوب في أحد عشر بيتاً .

ويتكلم بعد ذلك عن شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة ، ولولاها لَكُنّا مِن الهالكين ، وذلك في اثني عشر بيتاً .

ثم يتكلم عن معجزات الرسول ﷺ في حياته الدنيوية وشاهَدها معاصروه ، ثم المعجزة الدائمة : القرآن الكريم معجزته الكبرى في ثمانية عشر بيتاً ...

وهكذا فإن هذه القصيدة تشرح السيرة النبوية بكل تفاصيلها الدقيقة ، والتي قمتُ بشرحها بفضل اللّه تعالى ، وأثبتنا المراجع كل في مكانه في الشرح .

والمؤلف لم يهتمّ بالتسلسل التاريخي في نظمه لِقصيدته لِلسيرة النبوية مثلما فعل رب السيف والقلم محمود سامي البارودي في قصيدته " كشف الغمة في مدح سيد الأمة " .

ولكن يُحْسَب لِلمؤلف شرحه الوافي لِلسيرة النبوية بتفاصيلها ، الأمر الذي يُجْهِد أي إنسان يريد شرح القصيدة تفصيلاً .

وقد رجعنا إلى المختصين في الدراسات الإسلامية لِلاطمئنان إلى ما جاء في القصيدة مِن معجزات مادية زمنية شاهدها مَن شاهدها في عصر الرسول ﷺ وأُثبِتَتْ في كتب السيرة ، فكان ردّه أن هذه المعجزات مردّها إلى قدرة اللّه ﷻ والذي يقول لِلشيء " كن " فيكون ، ولكن اللّه ﷻ أظهرها على يدي نبيّه ورسوله سيدنا محمد ﷺ .

نأخذ على المؤلف خلوَّ قصيدته مِن أي بيت شعر في الحكمة مثلما نجده في قصيدة " نهج البردة " و"سلوا قلبي " و" وُلِد الهدى " لأمير الشعراء أحمد شوقي ، والتي أثبتناها في مقدمة " نهج البردة " .

والقصيدة في مجملها مِن أعظم قصائد المديح ، قوية في بنيانها اللغوي ، يدرك مؤلفها أسرارَ اللغة العربية والسيرة النبوية تفصيلاً وإجمالاً .. يظهر ذلك جليّاً في القصيدة .

وإلى قصيدة " نسق البردة المباركة " لِلشاعر أبي بكر مخيون رحمه الله .

قصيدة نسق البردة المباركة

لِلشاعر أبو بكر عبد الرحمن مخيون

كتب الشاعر على الغلاف :

مَدَحْتُ مُلُوكَ الْعَـالَمِينَ فَلَـمْ أَفُـزْ   ومَدْحِيَ خَيْرَ الْخَلْقِ أَحْرَزَني السَّـبْقَا

وذَلِـكَ أنَّ الْحَـقَّ مَـدْحُ نَبِيِّنَـا   وخَيْرُ كَلاَمٍ وافَقَ الصِّـدْقَ والْحَقَّـا

عَلَيْـهِ صَـلاَةُ اللَّـهِ ثُـمَّ سَـلاَمُهُ   مَدَى سَرْمَدِ الأَدْهَارِ مَا أَبْدَعَ الْخَلْقَـا

وأقول لِمن يرسل إلينا الأبيات الناقصة – وعددها ٢٣ بيتاً – فله جائزة كبرى .

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هياماً بالديار وجداً بأهلها

يَا زِينَةَ الْحَيِّ مِنْ رَضْوَى إِلَى إِضَـمِ   ومِنْ قُبَاءِ إِلَى سَلْعٍ لَكُـمْ سَـلَمِي[١]

رُبُوعُكُمْ حِلْيَـةُ الـدُّنْيَا وبَهْجَتُهَـا   ونُورُهَا كَوْكَبُ الإِشْـرَاقِ لِلظُّلَـمِ[٢]

بِهَـا سِـرَاجٌ مُـنِيرٌ دائمـاً أَبَـداً   إِنْ تَأْفُلِ الشَّمْسُ أَوْ تُحْجَبْ مِنَ الْغَسَمِ[٣]

بِهِ صَـلاَحُ أُمُـورِ النَّـاسِ قاطِبَـةً   فَهْوَ الْعِمَادُ لِمَنْ يَحْتَـاجُ لِلْعِصَـمِ[٤]

١– رضوى : جبل قرب ينبع مِن المدينة ، وهو على وزن " كسرى " – إضم : الوادي الذي فيه المدينة المنورة – سلع : جبل بالمدينة المنورة – قباء : المكان الذي فيه مسجد قباء ، معروف باسمه – السلم : مِن السلام .

٢– ربوعكم : الرَّبْع مكان تعيش فيه القبيلة ، وهنا يذكّرنا بالشعراء الأقدمين حينما كانوا يبكون على الطلل بعد هجر الحبيب لِلمكان .

٣– سراج منير : مصدر الضوء ، وهو موجود دائماً إذا ذهبت الشمس أو حجبها الظلام – الغسم : وهو ظلام الليل – نور النبوة موجود دائماً .

٤– هذا السراج المنير – ويقصد به رسولَ اللّه ﷺ – دعوته لِلناس قاطبةً فيها صلاح أمر دينهم ودنياهم .

لِي فِي دِيَـارِكُمُ وَجْـدٌ يُكَلِّفُنِـي حَمْلَ الصَّـبَابَةِ لِلآثَـارِ والشِّـيَمِ[٥]

حَتَّـى تُـرَابُكُمُ أَهْـوَى فَقِيمَتُـهُ أَغْلَى بِعَيْنِـيَ مِـنْ تِبْـرٍ ومُغْتَـنَمِ[٦]

شَـمِمْتُهُ فَهْـوَ رَيْحَـانٌ لِمُنْتَشِـقٍ كَأَطْيَبِ الْعِطْرِ مِنْ مِسْكٍ لِمُنْتَسِـمِ[٧]

طَعِمْتُهُ فَهْـوَ تِرْيَـاقٌ لِـذِي عِلَـلٍ تَخِذْتُ مِنْـهُ دَوَاءً شَـافِياً سِـقَمِي[٨]

قَلْبِي إِلَيْكُمْ هَفَا والشَّـوْقُ يُلْهِبُـهُ فِي عالَمِ الْكَوْنِ أَوْ فِي عالَمِ الْحُلُـمِ[٩]

بِـهِ هُيَـامٌ دَوَامُ الـذِّكْرِ يُضْـرِمُهُ مَا أَقْدَرَ اللَّهُ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْـيَهَمِ[١٠]

عَلَّي أَرَى حَيَّكُمْ أَوْ مَـنْ رَآهُ فَقَـدْ أَثَارَ وَجْدِيَ فِيكُمْ نَـارَ مُضْـطَرِمِ[١١]

حَنِينُـهُ لاَ يَقَـرُّ الـدَّهْرَ واجِبُـهُ يَا لَلْمَعَانِي ومَا يُشْفِي مِنَ الْوَصَـمِ[١٢]

هامَ الْفُؤَادُ بِأَهْـلِ الْـوُدِّ مُرْتَقِبـاً هامَ الْمَعَالِي بِجِدٍّ فَـائِقِ الْهِمَـمِ[١٣]

وبِـالْبَقِيعِ أَحِبَّـائِي وإِنَّ لَهُـمْ شَوْقاً أَثَارَ بِقَلْبِي لاَهِـبَ الضَّـرَمِ[١٤]

٥- معنى البيت : لي في هذه الديار حُبّ شديد لها ولأصحابها ، وليس الحب فقط لِلديار ؛ ولكن لِمن سكنها ولأخلاقه العظيمة .

٦- المعنى : حتى التراب الذي نسير عليه في هذه الديار عندي أغلى مِن الذهب ومِن كل المغانم .

٧- المعنى : هذا التراب هو عطر جميل مثل أطيب العطور لِمن يريد أن يتنسم به .

٨- طعمته : أي ذقته ، فهو علاج لِكل داء ، ومنه اتخذت لي دواءً يشفيني مِن المرض .

٩- في يقظتي (عالَم الكون) أو عالَم المشاهدة أو في أحلامي إن قلبي دائماً مشوق إليك في الحالتين : الحلم واليقظة .

١٠- أنا أهيم بكم وأحبكم حُبّاً شديداً ، يقوِّي هذا الحب دوام ذكر الحبيب ﷺ .. إنني مجنون بكم ، واللّه وحده الأقدر على الشفاء .

١١- وأنا أحب الديار سواء رأيتُها بنفسي أو مَن رآها ووصفها لي ؛ فإنّ حبي الشديد لها نار مضطرمة في قلبي .

١٢- الوصم : المرض - حنيني إليكم كمثل مرض ليس له شفاء .

١٣- إن الفؤاد لَيهيم بكم كالذي يهيم بالمعالي وهو شديد المراس (فائق الهمة) .

١٤- البقيع : مدافن المدينة المنورة ، ويقول : إنّ شوقي لِزيارة أحبابنا في البقيع مثل لهب في قلبي لا ينطفئ .

إنَّ الْعَـــوَالِيَ آثَـــارٌ مُطَهَّــــرَةٌ والسُّنْحُ أَنْوَارُهَا كَشَّـافَةُ الْقَـتَمِ[١٥]

فَكُـــلُّ أَنْحَائِهَـــا كالــدُّرِّ مُؤْتَلِفــاً يَا مَا أُحَيْلَى حُلَى الأَرْبَاضِ والْحَرَمِ[١٦]

يَا سَارِيَ الشَّوْقِ إنْ رَوَّحْتَ عَنْ كَبِدِي فامْرُرْ عَلَى السُّنْحِ والْعَالِي مِنَ الأُطُمِ[١٧]

أَلْــقِ السَّــلاَمَ بِــإعْزَازٍ وتَكْرُمَــةٍ مُعَطَّــراً بِــأَرِيجٍ فــائحٍ عَمَــمِ[١٨]

طُفْ بالْعَقِيقِ إذَا أَوْعَيْتَ لِي طَرَبـاً وزُرْ مَعَالِمَ ذاتِ الْجَـيْشِ أَوْ تِـيَمِ[١٩]

وهَاتِ سُقْياً مِنَ الزَّرْقَـاءِ إنَّ بِهَـا عَذْباً مِنَ الْمَاءِ أَحْلَى السَّلْسَلِ الشَّبِمِ[٢٠]

أَنْقَى مِنَ الْمَاسِ أَوْ مِنْ رُوحٍ طاهِرَةٍ مِنَ الطُّفُولَةِ لَمْ تَقْرُبْ مِنَ اللَّمَــمِ[٢١]

أَصْفَى مِنَ الدُّرِّ أَوْ مِنْ قَطْرٍ سـارِيَةٍ مَا شابَهُ كَدَرٌ أَوْ شُـبْهَةُ الْـوَخَمِ[٢٢]

ويَا نُعَـامَى أَقِلِّــي كُــلَّ عــاطِرَةٍ مِنَ الطُّيُوبِ ونَشْرِ الزَّهْرِ ذِي السَّنَمِ[٢٣]

١٥- العوالي : وهي قرى حول المدينة ، وهي تضم السنح (مكان فيها) ، وهذا المكان فيه منزل الصِّدِّيق ﷺ ، وهو على بُعْد ميل مِن المسجد النبوي - القتم : ظلمة الليل ، ولا عجبَ أن تكون أنوارها تنير ظلمة الليل .

١٦- كل أنحاء العوالي والسنح جميلة متلألئة ، وأجمل ما فيها هو الحرم وما حوله مِن الأرباض ، وهي المدينة وما حولها .

١٧- يا مَن تمشي ليلاً شوقاً وحُبّاً إن أردتَ أن تُرَوِّح عن كبدي فَمُرَّ على هذه الأماكن المباركة ، وهي أماكن عاش فيها الأحباء : الرسول وصِدِّيقه ، وامرر على الأطم : وهي القصور والحصون .

١٨- أَلْقِ على هذه الأماكن السلامَ بكرم وإعزاز معطراً بأطيب العطر .

١٩- العقيق : وادٍ قرب المدينة - ذات الجيش : تيم ، وهي مِن نواحي الحرم بالمدينة .

٢٠- الزرقاء : هي عين ماء بالمدينة المنورة ماؤها بارد .

٢١- هذا الماء الذي هو سلسل بارد نقيّ نقاءَ الماس ، مثله مثل روح طاهرة لم تقرب الذنوب الصغيرة .

٢٢- هذا الماء لم يخالطه مرض أو وباء ، فهو مثل قطرات الماء الجارية .

٢٣- نعامى : ريح الجنوب ، وهي ريح باردة ، أي يا رياح الجنوب احملي لي العطر ، وكذا الزهر ذو الرائحة الجميلة .

إِلَى الْمَدِينَةِ طِـيرِي غَيْـرَ وانِيَـةٍ   وضَمِّخِي الطِّيبَ فِي الْوِدْيَانِ والأُكُمِ (٢٤)

وَأَلْفِي يَـا صَـبَا لِلْغَيْـثِ هاطِلَـةً   مِنَ الرُّكَام وهَتَّانـاً مِـنَ الـدِّيَمِ (٢٥)

واسْقِ الْهِضَابَ وكُلَّ الأَرْضِ مُرْوِيَةً   مِنْ سَحٍّ ساكِنَةٍ بِالْغَيْثِ مُنْسَـجِمِ (٢٦)

بِالْعَنْبَرِيَّةِ والـزَّوْرَاءِ طُـفْ شَـغَفاً   حَيِّ الدِّيَارَ وَمَنْ فِيهَا مِـنَ النَّسَـمِ (٢٧)

فضل المصطفى ﷺ في إنقاذ أمته وهدايتها

شَوْقِي إِلَى الْمُصْطَفَى واللّهِ يُطْرِبُنِـي   أَكْرِمْ بِهِ مِنْ رَسُولٍ فَـائِقِ الْهِمَـمِ (٢٨)

وهُوَ الْجَمُوعُ لِكُلِّ الْخَيْرِ لاَ عَجَـبٌ   إِنْ هامَ فِي حُبِّهِ فِي الْكَوْنِ ذُو الْفَهِمِ (٢٩)

فَكَمْ لَـهُ نِعْمَـةٌ عَمَّـتْ بِـلاَ مِـنَنٍ   وأَنْقَذَتْ مِنْ جَحِيمٍ شَرِّ مُخْـتَطِمِ (٣٠)

وصف النار

وَقُودُهَـا بِسَـعِيرٍ زائِـدٍ أَبَـداً   ومُجْرِمِ النّاسِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ (٣١)

٢٤- أيتها الرياح الطيبة اذهبي إلى المدينة غير كسولة ، واحملي معك الطيب إلى الوديان والجبال – الأكمة : أعالي الجبال .

٢٥- الصبا : الريح التي تكون مع شروق الشمس ..

أيتها الرياح الهادئة أحضري معك المطر الهادئ الذي ليس فيه برق ولا رعد – الديم : شتاء بلا رعد أو برق .

٢٦- واسْقِ الوديان مِن هذا المطر الهادئ الذي هو مثل الدموع الهادئة .

٢٧- العنبرية : بقعة بالمدينة مواجهة لِلمسجد النبوي عند بابَي السلام والرحمة – الزوراء : سوق بالمدينة قرب العنبرية – النسم : جمع " نسمة " : وهي النفس .

٢٨ ، ٢٩ – إنني مشوق إلى رسول اللّه ﷺ ؛ هذا الرسول ذو الهمة العظيمة التي ليس مثلها همة ، وهو ﷺ جمع الخير كله ، فلا عَجَبَ أن يحبه كل إنسان ذو فهم .

٣٠- وهو ﷺ له نعَم عظيمة عَمَّت البشر وأنقذت المؤمنين به مِن شر عظيم يمكن أن يلمّ بهم – الحطمة : مِن أسماء النار .

٣١- وقود هذه النار هو أشرار الناس مِن أي الأجناس البشرية .

يَا هَوْلَهَــا مَنْظَــراً أَبْشِــعْ بِرُؤْيَتِــهِ   يَا شَرَّهَا مَسْكَناً أَفْظِــعْ بِمُقْــتَحِمِ [٣٢]

عَــذَابُهَا دائِــمٌ لاَ يَنْقَضِــي أَبَــداً   وحَسْبُكَ النَّارُ مِنْ آثَــارِ مُنْــتَقِمِ [٣٣]

عَوْذاً بِرَبِّي مِنْ نَــارِ الْجَحِــيمِ غَــداً   كُلُّ الْخَلاَئقِ فِي أَهْوَالِ مُــزْدَحَمِ [٣٤]

أَبْوَابُهَــا سَــبْعَةٌ أَشْــنِعْ بِــدَاخِلِهَا   يَا حَسْرَةً لِفُؤَادٍ فِــي لَظَــى قَــدَمِ [٣٥]

أَبْوَابُهَا قُسِمَتْ لِلنَّاسِ مَــنْ ظَلَمَــتْ   أَقْسَامُهَا عُلِمَتْ مِنْ شَــرٍّ مُقْتَسِــمِ [٣٦]

جَهَــنَّمٌ وسَــعِيرٌ وَيْــلُ ذائِقِهَــا   وَيْلاً يُشِيبُ نَوَاصِي كُلِّ مُحْــتَلِمِ [٣٧]

لَظَى جَحِــيمٍ تَلَظَّــى وهْــيَ زافِــرَةٌ   تَدْعُو الطُّغَاةَ لِذَوْقِ الْحَرْقِ والأَلَمِ [٣٨]

نَحْنُ الْفَرَاشُ مِــنَ الــنِّيرَانِ شَــهْوَتَنَا   أَمْسِكْ بِحُجْزَتِنَا يَا مَــانِعَ الْقُحَــمِ [٣٩]

ابتهال واعتذار

كَمْ لِي ذُنُوبــاً بِــلاَ عَــدٍّ مُكَدَّسَــةً   مِنَ الْكَبَائِرِ مَا فِيهَــا مِــنَ اللَّمَــمِ [٤٠]

تَوْبــاً نَصُــوحاً إِلَهِــي لاَ يُعَكِّــرُهُ   شَوْبٌ مِنَ الإِثْمِ أَوْ مِنْ مَرْتَعٍ وَخِمِ [٤١]

يَا واسِعَ الْعَفْــوِ والْغُفْــرَانِ مَغْفِــرَةً   وعُمَّ ذَنْبِي بِعَفْوٍ مِنْــكَ ذَا الْكَــرَمِ [٤٢]

حَسْبِي حَيَائِي وخَــوْفِي مِــنْ مُعَاتَبَــةٍ   فَمُنَّ يَا مالِكِي بِــالْعَفْوِ والــرُّحَمِ [٤٣]

وكَيْفَ أَلْقَــاكَ يَــا رَبِّــي بِمَعْصِــيَةٍ   كَأَنَّهَا قِطْعَةٌ مِنْ حالِــكِ الْحُمَــمِ [٤٤]

[٣٢ إلى ٣٥]– وصف النار وأنها أفظع سكن وعذابها دائم ، ويعوذ بربي مِن نار الجحيم – اللظى : اسم مِن أسماء النار ، ويا حسرة لِمن يدخلها حيث لا ينفع الندم .

٣٦ ، ٣٧– أبواب النار سبعة ، لِكل باب أناس معيَّنة يدخلون منه حسب أعمالهم في الدنيا ، وهذه النار يشيب مِن هولها الولدان .

٣٨ ، ٣٩– هذه النار تدعو الظالمين لِذوق الألم فيها ، وهذه النار وقودها الطغاة مِن البشر ، ودعاء إلى اللّٰه بإنقاذنا منها وعدم دخولنا فيها .

٤٠– يا ربي .. إن لي ذنوباً كثيرةً كلها كبائر ليس فيها ذنوب صغيرة .

٤١ ، ٤٢– إنها التوبة النصوح التي ليس فيها خلط مِن الذنوب وليس فيها المرتع (المرعى) الوخم (الوبئ السيئ) ، فأنت واسع المغفرة بكرمك الكبير العظيم .

٤٣ ، ٤٤– إنني يا إلهي على حياء كبير مِن ذنوبي ، وأنت وحدك – جل علاك – مَن تملك العفو والرحمة ، فاغفر لي ذنوبي السوداء التي هي مثل الحمم وهو الفحم الشديد السواد .

كَفَانِي الْخِزْيُ إذْ أَقْدَمْتُ مُجْتَرِئاً أَعْصِي إِلَهِي بلاَ عَقْلٍ كَذِي يَهَمِ [٤٥]

يَا صاحِبَ الْعَفْوِ حَسْبي جُرْمُ مَعْصِيَتِي والْجَهْلُ مِنْ دَيْدَنِ الإنْسَانِ والشِّيَمِ [٤٦]

غَفْراً إلَهِي وعَفْواً أَنْتَ ذُو كَرَمٍ ويَا عَفُوُّ كَفَانِي سُوءُ مُجْتَرَمِي [٤٧]

فَكَيْفَ أَمْحُو مِنَ التَّارِيخِ أَسْطُرَهُ ومَا بِهَا مِنْ سَوَادٍ مُشْبِهِ الْفَحَمِ [٤٨]

أَوَّاهُ مَا لِي مَلاَذٌ أَسْتَجِيرُ بِهِ إلاَّ فِرَارِي إِلَى الرَّحْمَنِ ذِي الْعِظَمِ [٤٩]

ولِي ذُنُوبٌ ولاَ إحْسَانَ يَطْمِسُهَا يَا حَسْرَةً مِنْ قَبِيحِ الذَّنْبِ والسَّدَمِ [٥٠]

الشفيع الأعظم ﷺ حَبَاه اللّه تعالى المقامَ المحمودَ والشفاعةَ للأمم

جَعَلْتَ حِبَّكَ خَيْرَ الْخَلْقِ شافِعَنَا بَشَّرْتَنَا باسْمِهِ يَا بارِئَ النَّسَمِ [٥١]

لَوْلاَهُ أُبْنَا بِخِزْيٍ مِنْ مَثَالِبِنَا إنَّ الْمُبَشِّرَ فَرّاجٌ لَدَى الْغُمَمِ [٥٢]

وحُبُّهُ واجِبٌ فَرْضٌ يُؤَكِّدُهُ حَدِيثُهُ بِوُجُوبِ الْحُبِّ لِلْقُثَمِ [٥٣]

فَهْوَ الْمُفَضَّلُ عَنْ نَفْسي ومَا مَلَكَتْ مِنِّي الْيَمِينُ ومَا فِي الْكَوْنِ مِنْ قِيَمِ [٥٤]

أَحَبُّ لِلنَّفْسِ مِنْ مَالٍ ومِنْ وَلَدٍ ووَالِدٍ وجَمِيعِ النَّاسِ كُلِّهِمِ [٥٥]

---

٤٥ ، ٤٦– اليهم : الجنون .. يا صاحب العفو يا إلهي يكفيني خزياً أنني تجرأتُ على إتيان المعاصي بلا عقل كأني مجنون ، وأنت وحدك صاحب العفو ، فاعفُ عن الجاهلين مِن بني الإنسان ؛ لأن الجهل مِن أخلاق الإنسان – الشيم : الأخلاق .

[٤٧ إلى ٤٩]– يا إلهي .. أنت صاحب العفو كله ؛ لأن كرمك كبير ، وجرمي كبير لا أستطيع محوه ؛ لأنه مكتوب في كتاب مكنون ، وليس لي ملجأ إلا إلى رحمتك .

٥٠– السدم : الهم .. هذه الذنوب قبيحة وكبيرة ، وأنت غفار الذنوب جميعاً .

٥١– الحِبّ : الحبيب .. إنها بشرى عظيمة مِن خالق الخلق ﷻ : وهي شفاعة الرسول ﷺ – النسم : النفوس – يا بارئ النسم : يا خالق الخلق .

٥٢– آب : رجع – الخزي : الذل والهوان والفضيحة – مثالبنا : عيوبنا – الغمة : الكرب .

٥٣– القثم : كثير العطاء ؛ فحب الرسول ﷺ هو مِن تمام الإيمان كما في الحديث الشريف ﴿لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ .

٥٤ ، ٥٥– هذان البيتان شرح لِمَا قبلهما ، وهو أنه ﷺ أَحَبّ لِلنفس المؤمنة مِن المال والولد وجميع الناس .

يَا حَبَّـذَا ذِكْـرُهُ فِـي كُـلِّ نازِلَـةٍ أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً فِي سـائِرِ الأُمَـمِ[٥٦]

بابُ الإِلَهِ رَفِيـعُ الـذِّكْرِ أَحْمَـدُنَا عَلَيْهِ صَلَّى كَعَدِّ الـذَّرِّ والْكَلِـمِ[٥٧]

يَا أَوَّلَ الْخَلْقِ أَنْتَ الْيَـوْمَ حاشِـرُنَا لِمَالِكِ الْمُلْكِ فاشْفَعْ صاحِبَ الْعَلَمِ[٥٨]

فَإِنْ شَفَعْتَ فَيَا فَـوْزَاهُ يَـا فَرَحِـي وِيَا نَجَاتِي مِنْ أَهْـوَالِ مُـزْدَحَمِ[٥٩]

يَا أَكْرَمَ النَّـاسِ أَتْبَاعـاً إِذَا حُشِـرُوا وإِنَّ أُمَّتَهُ الْكُبْـرَى مِـنَ الأُمَـمِ[٦٠]

يَا فاتِحـاً لِجنَـانِ الْخُلْـدِ تَكْرِمَـةً مِنَ الْمُهَيْمِنِ ذِي الإِنْعَامِ والْكَـرَمِ[٦١]

أَبْوَابُهَا فُتِحَتْ بِالْمُصْـطَفَى دُخِلَـتْ والأَنْفُسُ ابْتَهَجَتْ بِالْخُلْدِ فِي النِّعَمِ[٦٢]

كثرة المعجزات وأكبرها القرآن العظيم المعجز الخالد

قَدْ جاءَ بِـالْحَقِّ والـرَّحْمنُ مُرْسِـلُهُ بِمُعْجِزٍ مِنْ عَجِيبِ الْقَوْلِ والْحِكَمِ[٦٣]

تَفْنَـى الـدُّهُورُ ولاَ تَفْنَـى عَجَائِبُـهُ ولاَ يُمَلُّ مَـعَ التَّرْدِيـدِ بالسَّـأَمِ[٦٤]

يَزِيـدُ حُسْـناً إِذَا زِيـدَتْ تِلاَوَتُـهُ مُيَسَّرُ الذِّكْرِ فِي تَرْتِيلِ كُـلِّ فَـمِ[٦٥]

٥٦- ولأن اللّه ﷻ أرسله رحمةً لِلناس جميعاً فإنّ ذِكْرَه ﷺ في كل نازلة أو مصيبة رحمة لِمن ذَكَرَه ، واللّه يحب ذِكْرَ رسوله ؛ لِقوله في سورة الأحزاب ﴿ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيما ﴾ وقوله في سورة الأنبياء ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

٥٧ ، ٥٨- يقول اللّه ﷻ في سورة آل عمران ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَك ﴾ وأيضا ﴿ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، فهو أول الخلق ، قيل : إنّ أول شيء خلقه اللّه ﷻ هو نور النبي ﷺ ، وهو بيده لواء الحمد يوم القيامة .

[٥٩ إلى ٦١]- إن نجاتي في شفاعتك لي ونجاتي مِن هول ذلك اليوم الذي فيه يُحْشَر الناس جميعاً ، وأمتك هي الأمة الكبرى وخير أمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّة ﴾ صدق اللّه العظيم ، وأنت أول مَن تُفْتَح له أبوب الجنة .

٦٢- في صحيح مسلم عن أنس ﷺ ﴿ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ :" مَنْ أَنْتَ ؟ " فَأَقُولُ :" مُحَمَّدٌ " ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لاَ أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَك ﴾ .

٦٣ ، ٦٤- الحق : القرآن الكريم ، والرسول ﷺ كل أقواله حكمة ، ولا يسأم مِن ترديد القرآن الكريم .

٦٥- فهو ميسَّر لِكل إنسان أن يقرأه ، وهو معجزة لِكل زمان ومكان .

آتَاهُ مُعْجِـــزَةً فِـــي الـــدَّهْرِ خالِـــدَةً مَحْفُوظَةً مِنْ ضَلاَلِ الشَّكِّ والتُّهَمِ (٦٦)

آيَاتُهُ تُلِيَتْ فِي الْكَـــوْنِ قَـــدْ بَهَـــرَتْ ضَمَّتْ مِنَ الْخَيْرِ والإِعْجَازِ فِي النُّظُمِ (٦٧)

فِيهَا الْمَوَاعِظُ والأَحْكَامُ قَدْ شُـــرِعَتْ تُبَيِّنُ الْحَقَّ والأَعْلَى مِـــنَ الشِّـــيَمِ (٦٨)

إنَّ الرَّوَاسِيَ لِلْقُـــرْآنِ قَـــدْ خَشَـــعَتْ مُقِـــرَّةً لِعَلِـــيِّ الْقَـــوْلِ والْعِظَـــمِ (٦٩)

اللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى الْجِنُّ قَـــدْ خَضَـــعَتْ أَلْقَتْ لَدَى الْحَقِّ مِنْهَا أَيْدِيَ السَّلَمِ (٧٠)

قالُوا اسْتَمَعْنَا إِلَى الْقُـــرْآنِ وَا عَجَبـــاً كَمْ فِي الْغُيُوبِ مِنَ الآيَاتِ والنِّعَمِ (٧١)

فَوَحَّدَتْ واهْتَـــدَتْ لِلرُّشْـــدِ مُنْـــذِرَةً لِقَوْمِهَا مِنْ سَعِيرٍ جِـــدِّ مُضْـــطَرِمِ (٧٢)

نُورٌ أَتَى مِنْ إِلَـــهِ الْعَـــرْشِ مُعْجِـــزَةً فِيهِ شِفَاءٌ مِـــنَ الأَسْـــقَامِ والْـــبَهَمِ (٧٣)

فِيهَا التَّحَدِّي لِكُلِّ الْخَلْـــقِ أَجْمَعِهِـــمْ عَنْ سُورَةٍ مِثْلِهِ عَيُّـــوا بِجَمْعِهِـــمِ (٧٤)

مَنْ يَتْبَعْـــهُ إِلَـــى الْجَنَّـــاتِ يُدْخِلُـــهُ يَا سَـــعْدَهُ بِنَعِـــيمٍ دائِـــمِ الْكَـــرَمِ (٧٥)

وعَنْهُ أَعْـــرَضَ ذُو جَهْـــلٍ ومَخْبَلَـــةٍ فَسَوْفَ يَصْلَى سَعِيراً جِدَّ مُحْتَـــدِمِ (٧٦)

[٦٦ إلى ٦٨]- لا يأتيها الشك أبداً ، وكل يوم تظهر معجزات القرآن الكريم في الكون وفي الناس ، وفي القرآن مِن المواعظ والحِكَم التي شُرِعَتْ لِلناس ، وفيه مِن الأخلاق العالية الكثير .

٦٩- الرواسي : الجبال ؛ يقول اللّه تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ صدق اللّه العظيم .

٧٠- لَمّا سمعَت أمة الجن القرآنَ أُعْجِبُوا به وآمنوا باللّه تعالى ورسوله ﷺ وخضعوا واستسلموا .

٧١- قد خضعت الجن وسَلَّمَت لِمَا رأت مِن معجزات القرآن ، وقالوا : كم في الغيب مِن العجائب .

٧٢- السعير : النار الملتهبة ، وقد أنذر القوم مِن عذاب يوم القيامة .

٧٣- هذا القرآن نور مِن اللّه تعالى يشفي مِن الأمراض ومِن الجنون .

٧٤- لقد تحدى القرآنُ العربَ - وهو لغة العرب - أن يأتوا بسورة مِن مثله فعجزوا .

٧٥- مَن يتبع القرآنَ وما جاء به مِن " افعل ولا تفعل " دخل الجنةَ خالداً فيها .

٧٦- أمّا مَن يُعْرِض عن القرآن الكريم والإسلام فإنه يدخل النار خالداً فيها .

كُلُّ الْخَلائِقِ فِـي ظَلْمَـاءَ غاشِـيَةٍ   والْجَاهِلِيَّةُ عَمَّـتْهُمْ بكُـلِّ عَمِـي[٧٧]
أَزَالَ أَحْمَـدُ بِـالأَنْوَارِ سَـاطِعَةً   مَا كانَ فِي الْكَوْنِ مِنْ جَهْلٍ ومِنْ ظُلَمِ[٧٨]
قَدْ طابَ حَيّـاً ومَيْتـاً فِـي خَلِيقَتِـهِ   فَكُلُّ طِيبٍ وعَرْفٍ مِنْـهُ مُغْتَـنَمِ[٧٩]
فالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْـداً لا كَفِـيءَ لَـهُ   حَمْداً أَدَاءً لِشُكْرِ الْوَاسِعِ الـرُّحُمِ[٨٠]

تأييد اللّه تعالى له ﷺ بكل معجزة

اللّـهُ أَيَّـدَهُ فِـي كُـلِّ آوِنَـةٍ   بِكُلِّ مُعْجِزَةٍ مِنْ جُـودِهِ الْعَمَـمِ[٨١]
كَفّاهُ صَوَّرَهَا الـرَّحْمَنُ مِـنْ كَـرَمٍ   مِنْ راحَتَيْهِ شِفَاءُ السُّـقْمِ والْعَـدَمِ[٨٢]
مَـا رَدَّ سَـائِلَهُ يَوْمـاً بِمَعْـذِرَةٍ   فَإِنَّمَا جُـودُهُ كالصَّـيِّبِ الْهَـزِمِ[٨٣]
فَـارَتْ أَصَـابِعُهُ بِالْمَـاءِ أَعْذَبِـهِ   فِي لَفْحَةِ الْحَرِّ والْجَيْشُ الْعَظِيمُ ظَمِي[٨٤]
هَذَا فُرَاتٌ طَهُـورٌ سَلْسَـلٌ عَجَـبٌ   يُرْوِي الظِّمَاءَ ويَشْفِي كُلَّ ذِي لَمَمِ[٨٥]

٧٧- مِن قبله كان يغشى الناسَ ظلامُ الجهل .

٧٨- وقد جاءت الرسالة المحمدية بالنور الساطع فأبانت ما كان في الكون مِن جهل ومِن ظلم .

٧٩- " طِبْتَ حَيّاً وَمَيْتاً يَا رَسُولَ اللّه " قولة لِسيدنا أبي بكر الصديق ﷺ ، فكلّ ما هو طَيِّب أنت مصدره .

٨٠- فالحمد لِلّه حمداً لا يستطيع أن يجازي به عند اللّه سبحانه واسع الرحمة والكرم .

٨١- إن اللّه تعالى أيّد نَبيَّه ﷺ بالمعجزات المادية والأبدية ، وذلك مِن كرمه الواسع ﷻ - الآونة : جمع " أوان " وهو الزمان - العمم : الكثير .

٨٢- كَفّاه : مثنى " كف " - العدم : الفقر - السقم : المرض ، أي أن اللّه ﷻ جعل كفّيه كلها كرماً بل شفاءً مِن الفقر والمرض .

٨٣- إنّ كرم سيدنا محمد ﷺ مثل المطر الغزير - الصيد : السحاب ، وشرحها في الأبيات التالية .

٨٤- مِن معجزاته ﷺ أن نبع الماء مِن بين يديه ، بل إن الماء فار فشرب الجيش وتوضأوا وكانوا ظمأى وعطشى .

٨٥- لمم : ذنوب ، وهذا الماء البارد يسقي العطشى ، بل يمحو صِغَارَ الذنوب .

تَطَهَّرَ الْجَـيْشُ مِـنْ كَفَّيْـهِ مُرْتَوِيـاً كَفَاهُ مِنْ عَطَشٍ بِالأَعْذَبِ الشَّـبِمِ (٨٦)
لاَ تَعْجَـبَنَّ لأَمْـرِ اللَّـهِ إنَّ لَـهُ فِي الْخَلْقِ والأَمْرِ مَا أَعْيَا عَلَى الْفَهِمِ (٨٧)
فَخَارِقُ الأَمْـرِ عِنْـدَ اللَّـهِ خالِقِـهِ مُيَسَّرٌ هَيِّنٌ مَا فِيـهِ مِـنْ جَشَـمِ (٨٨)
فالْخَلْقُ والأَمْـرُ لِلـرَّحْمَنِ مالِكِـهِ سُبْحَانَهُ مِنْ إلَهٍ جَلَّ فِـي الْعِظَـمِ (٨٩)
وإنَّمَا أَمْـرُهُ إنْ قـالَ كُـنْ يَكُـنْ أَوْحَى مِنَ اللَّمْحِ أَوْ مِنْ بارِقِ الظُّلَمِ (٩٠)
أَهْـوِنْ بِخَـارِقِ أَمْـرٍ عِنْـدَ بارِئِـهِ فالْمُعْجِزَاتُ لَدَيْـهِ غايَـةُ الأَمَـمِ (٩١)

الفصاحة في البيان والبلاغة

هُوَ الْخَطِيبُ الَّذِي كانَـتْ فَصَـاحَتُهُ تُحْيِي النُّفُوسَ بِمَا يُلْقِيهِ مِنْ كَلِـمِ (٩٢)
هُوَ الْبَلِيـغُ الَّـذِي أَعْيَـتْ بَدِيهَتُـهُ مَنْ جَوَّدُوا وأَحَاطُوا الْفِكْرَ فِي الأَزَمِ (٩٣)
فـالْحَقُّ شِـرْعَتُهُ والصِّـدْقُ دَوْلَتُـهُ مَهْمَا أَشَادَ فَإِيجَـازٌ مِـنَ الْحِكَـمِ (٩٤)
أَلْفَاظُهُ الـدُّرُّ أَوْ كالْمَـاسِ مُؤْتَلِفـاً مَعْنىً ولَفْظاً ومَا أَعْلاَهُ فِي الْقِـيَمِ (٩٥)

---

٨٦ ، ٨٧– لقد شرب الجيش مِن بين يدي رسول اللَّه ﷺ بالماء البارد ، ولا عَجَبَ في ذلك ؛ فإنها معجزات مِن اللَّه تعالى لِنَبِيِّه ليس لنا أن نبحث فيها حتى لا نتعب مِن البحث وقد نضلّ .

٨٨ ، ٨٩– وهذا الأمر هَيِّن بل ويسير عند اللَّه ﷻ ، وليس فيه مِن جشم (تعب) ، فسبحانه هو الخالق لِكل شيء مِن العدم .

٩٠– سبحانه وتعالى ؛ فإنّ أمْره بين الكاف والنون ؛ إنما يقول " كن " فيكون في أسرع مِن لمح البرق في الليل المظلم .

٩١– فالمعجزات عند اللَّه ﷻ يسيرة هينة .

٩٢ ، ٩٣– كان سيدنا محمد ﷺ خطيباً فصيح اللسان ، كلماته تحيي النفوس ، وبلاغته وسرعة بديهته أعيت كل إنسان أجاد في الفكر إذا أزمت أزمة .

٩٤– في الحديث الشريف ﴿أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْكَلِمِ﴾ رواه البخاري ، وفي حديث آخر ﴿أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَاخْتُصِرَ لِيَ الْكَلاَمُ اخْتِصَارا﴾ .

٩٥– فكلّ ألفاظه لامعة مضيئة كالذهب والماس في معناها ولفظها والأخلاق العالية الرفيعة .

لَمْ يُلْقِ قَوْلاً سُدىً فَـالْعِلْمُ أَجْمَعُـهُ وَالنَّفْعُ فِيهِ وكُـلُّ الْخَيْـرِ لِلأُمَـمِ(٩٦)

كَمْ كابَدَ النّاسَ يَدْعُوهُمْ لِصَـالِحَةٍ إِلَى النَّجَاةِ مِنَ الأَهْـوَالِ والْقُحَـمِ(٩٧)

كَمْ قابَلُوهُ بِجَهْلٍ مِـنْ سَـفَاهَتِهِمْ بالصَّفْحِ يَشْمَلُهُمْ مِنْ حِلْمِهِ الْعَمَـمِ(٩٨)

يَأْسَى عَلَيْهِمْ ويَـدْعُو رَبَّـهُ لَهُـمُ وهُوَ الرَّؤُوفُ وكَمْ لاَقَى مِنَ الْخَصَمِ(٩٩)

دُعَـاؤُهُ رَحْمَـةٌ لَـوْلاَهُ عَـذَّبَهُمْ كَمْ أَهْلَكَتْ أُمَماً دَعْـوَى نَبِـيِّهِمِ(١٠٠)

وكَذَّبُوا صَـادِقاً بِـالْحَقِّ جـاءَهُمُ فاعْجَبْ لِجَهْلٍ مِنَ الأَوْغَادِ كالنَّعَمِ(١٠١)

الكون في عظمة الله تعالى كالذّرّة وأقلّ

تَبَارَكَ اللَّـهُ مَـا أَعْلَـى مَشِـيئَتَهُ قَدْ أَنْشَأَ الْكَوْنَ مِنْ لاَ شَيْ ومِنْ عَدَمِ(١٠٢)

بَدَا بِأَحْمَـدَ نُـوراً جَـلَّ صَـانِعُهُ أَقَامَهُ فِي مَقَامِ الْقُـرْبِ والْخَـدَمِ(١٠٣)

وشَقَّ مِنْهُ جَمِيعَ الْخَيْـرِ لاَ عَجَـبٌ فالْكَوْنُ مِنْ نُورِهِ فِي ذِرْوَةِ السَّـنَمِ(١٠٤)

٩٦- سدى : بدون فائدة ، فكلّ ما يلقيه مِن كَلِم هو عن علم ربّانيّ ، وكلّه خير لِلأمم جميعها .

٩٧- كم تعب مع الناس يدعوهم إلى النجاة مِن النار واللجوء إلى اللّه لِدخول الجنة .

٩٨- ولكنهم بجهلهم وضعفهم (سفاهتهم) – لم يسمعوا له ، ولكنه الرسول ذو الرحمة الكبيرة التي تعمّ الجميع ، وهو القائل ﴿ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي ؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُون ﴾ .

٩٩- وبرغم خصومتهم الشديدة لِدعوته ولكنه يحزن مِن أجلهم (يأسى عليهم) ويدعو لهم اللّهَ برغم ما يلاقيه مِن شديد الخصومة .

١٠٠- كان دائماً دعاؤه لهم بالهداية ، ولم يَدْعُ ربَّه بأن يهلكهم ؛ لعل أن يخرج مِن أصلابهم مَن يوحد اللّه ؛ إنه الرحمة المهداة .

١٠١- وبرغم ذلك فإنهم كذبوه وهو الصادق الأمين .. إنه قمة العَجَب مِن جهلهم .

١٠٢- خلق اللّهُ الكونَ ما أصابه مِن تعب أو مشقة ، فسبحانه إنه يقول لِلشيء " كن " فيكون .

١٠٣- حديث عن جابر ﷺ في " المصنف " : سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللّهُ قَال ﴿ هُوَ نَبِيُّكَ يَا جَابِرُ ، خَلَقَهُ اللّهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ ﴾ الحديث تفسير لِلبيت .

١٠٤- نوره ﷺ انتشر في الكون كله في أعلى ذراه ، فالخير كله مبعثه سيدنا محمد ﷺ .

أَحْبِبْ بِهِ مُرْسَلاً نَفْسِي الْفِـدَاءُ لَـهُ فَأَوَّلُ الْخَلْقِ حَقّـاً خَيْـرُ مُخْتَـتَمِ[١٠٥]
مَنْ بَشَّرَ النّاسَ فِي الْجُلّيِّ إِذَا يَئِسُوا كَمْ أَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنْ هَوْلٍ ومِنْ سَدَمِ[١٠٦]
وكَانَ سَعْدُهُمُ مِـنْ شِـقْوَةٍ وأذىً وكَانَ حِرْزُهُمُ مِـنْ شِـدَّةِ الـنِّقَمِ[١٠٧]
وإنَّـهُ رَحْمَـةٌ لِلنّـاسِ مُرْسَـلَةٌ ورأْفَـةٌ أَقْبَلَـتْ بِـالْخَيْرِ والـنِّعَمِ[١٠٨]
يُنَـادِي مُبْـتَهِلاً لِلَّـهِ أَحْمَـدُنَا فَيُنْجِي أُمَّتَنَا مِـنْ هَـوْلِ مُـزْدَحَمِ[١٠٩]
فَيَسْتَجِيبُ لَهُ مِـنْ فَـوْرِهِ كَرَمـاً أَكْرِمْ بِرَبٍّ لَهُ فَيْضٌ مِـنَ الْكَـرَمِ[١١٠]
لَبّى رِضَاهُ بلاَ رَيْـثٍ ولاَ عَجَـبٌ حَبِيبُهُ وهْوَ مُخْتَـارٌ مِـنَ الْقِـدَمِ[١١١]
بِهِ اهْتَدَى كُلُّ عاصٍ مِـنْ ضَـلاَلَتِهِ والنُّورُ مَحْوٌ لِمُسْوَدٍّ مِـنَ الظُّلَـمِ[١١٢]
ولاَ أُعَـدِّدُ آيَـاتٍ لَـهُ ظَهَـرَتْ فالشَّمْسُ رُدَّتْ لَهُ مِنْ سُدْفَةِ الْغَسَمِ[١١٣]

١٠٥- إنه حقاً حبيب إلى نفسي ، ونفسي وولدي فداء له ، فحقاً هو أول الخلق وخاتم النبيين والمرسلين .

١٠٦- إن المستمسكين بشريعته دائماً الخير أمامهم ، فإذا يئسوا فإن الذكر يجلي عنهم اليأس .

١٠٧- وهو إسعاد لِلبشرية مِن الشقاء ، وهو حرز لهم مِن شدة المصائب .

١٠٨- إنه الرحمة المهداة مِن اللّه ﷻ إلى البشرية جمعاء ، وقد أقبل بالخير الكثير .

١٠٩- إنه الشفيع لأمته عند اللّه ﷻ يوم القيامة .

١١٠- فيستجيب له اللّه ﷻ سريعاً كرماً منه ، وهو الذي يفيض كرمه على عباده .

١١١- فلا عَجَبَ أن يلبي اللّه ﷻ شفاعةَ نَبِيِّه ﷺ وهو القائل في محكم آياته ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ ، وهو المختار لهذه الرسالة منذ خلق اللّهُ الكونَ ، فكان نور سيدنا محمد ﷺ هو أول خلق اللّه كما جاء في الحديث الشريف .

١١٢- جاء الرسول ﷺ بالنور المبين فاهتدى العصاة ورجعوا عن ضلالتهم ، ونور الإسلام قد محا ظلامَ الجاهلية .

١١٣- المعجزة هي أمر خارق لِلعادة يظهره اللّه على يد الأنبياء ويقصد بها تحدي المنكِرين ، ومِن شروط المعجزة أن تكون خارقةً لِلعادة ، ولا بد مِن أن تكون فعلاً مِن اللّه ﷻ ..

والمعجزة غير الكرامة والمعونة والاستدراج ..

فالكرامة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح .

والمعونة تظهر على يد العوامّ تخليصاً لهم مِن شدة .

=

بَعْدَ احْتِجَابٍ بِسِتْرِ الْغَيْبِ إذْ غَرَبَتْ مِنَ الْحِجَابِ بَدَتْ فِي نُورِهَا التَّمَمِ(١١٤)
حَتَّى يُصَلِّي عَلِــيٌّ وهْــوَ مُشْــتَغِلٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ مِنْ فَــرْضٍ ولَــمْ يَــنَمِ(١١٥)
وانْشَقَّ بَدْرُ الدُّجَى لَمَّا دَعَا عَجَبــاً فَصَارَ فِلْقَــيْنِ إعْجَــازاً لِمُنْقَســمِ(١١٦)

معجزة سيوف النبات في وطيس المعركة

أَعْطَى عُكَاشَةَ عُوداً كانَ مِنْ حَطَبٍ فَصَارَ سَيْفاً لِضَرْبِ الْهَامِ واللِّمَــمِ(١١٧)
فِي ساعَةٍ عَبَسَتْ فارَ الْوَطِيسُ بِهَــا والْبَأْسُ فِيهَا كَنَارٍ جِــدُّ مُضْــطَرِمِ(١١٨)

= والاستدراج يظهر على يد فاسق خديعةً ومكراً تكذيباً له .

وبرغم أن معجزات الرسول – كما جاءت في كتاب " معجزات الرسول " – تزيد عن ٤٨٠ معجزةً فإنني لم أجد فيها غرابة أن الشمس قد رُدَّتْ مرّةً أخرى بعد غيابها ، ولكن يوجد حديث بهذا المعنى في " المستدرك " عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها ، وقد صحَّح الحديثَ الحافظُ الطّحاويُ والقاضي عياض في الشفا ، وقد رُدّت لِيدرك – سدفة الغسم : هي السواد ، والسدفة معناها الستارة ، أي أن الليل جاء حَجَب ضوءَ النهار ، وقد رُدَّتْ بدعاء النبي ﷺ .

١١٤– وهنا يقول المؤلف : إن الشمس بعدما غربت قد أرجعها اللّه ﷻ ، وهو سبحانه الذي يقول لِلشيء " كن " فيكون ، وأصبحت في نورها الذي نعرفه .

١١٥– حَدَث هذا لأن سيدنا علي – كرم اللّه وجهه – لم يدرك صلاة العصر في وقتها لأن النبي ﷺ كان واضعاً رأسه الشريف على حجره وهو يوحى إليه ، وحين قام النبي ﷺ دعا ربه أن ترجع الشمس ثانيةً مِن مغربها ، فَرَدَّها اللّه ﷻ حتى يستطيع سيدنا عليّ أن يدرك صلاة العصر ليست قضاءً .

١١٦– بدر الدجى : القمر – فلقين : قسمين ، وآية انشقاق القمر جاءت في جميع الكتب التي كُتِبَتْ عن معجزات الرسول ﷺ ، ومنها : انشق القمر له ﷺ فرقتين حتى صار الجبل بينهما ؛ فعن أنس رضي الله عنه قال : سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً ، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ فِرْقَتَيْنِ ، فَقَال ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ ، وَمَا كَانَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إلاَّ أَنْ قَالُوا : إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاس .. رواه البيهقي في الدلائل .

معاني الكلمات : الهام : الرؤوس ، واللمم : الشعر الذي يجاور حلمة الأذن .

١١٧ ، ١١٨– وتتكرر المعجزات ؛ فقد ظل عُكّاشة بن محصن يقاتل بسيفه في معركة =

لَمَّا تَحَطَّمَ مِنْـهُ السَّـيْفُ أَنْجَـدَهُ بِصَارِمٍ مِنْ نَبَـاتٍ مِخْـذَمٍ قَضِـمِ[١١٩]

كَذَا ابْنُ أَسْلَمَ بِـالْعُرْجُونِ أَسْـعَفَهُ فَصَارَ فِي الْحَرْبِ مِثْلَ النَّارِ فِي الْعَلَمِ[١٢٠]

سَيْفٌ مِنَ الْغَيْبِ صُنْعُ اللَّـهِ أَتْقَنَـهُ تَهْوَى الضَّرِيبَةُ أَنْ تَلْقَـاهُ كَـالنِّعَمِ[١٢١]

حَبَا ابْنَ جَحْشٍ بِجَذْلٍ كانَ فِي يَدِهِ غَدَا بِأُحْدٍ حُسَـاماً غَيْـرَ مُنْـثَلِمِ[١٢٢]

فِيمَا أَلَمَّ هُوَ الـرُّكْنُ الْمَنِيـعُ أَوَى لِحِصْـنِهِ كُـلُّ مَلْهُـوفٍ وذُو زَأَمِ[١٢٣]

أُهْدِي إِلَيْـهِ صَـلاَةَ اللَّـهِ خالِـدَةً مَعَ الْخُلُودِ وتَسْلِيماً مَـعَ النَّسَـمِ[١٢٤]

عين قتادة وغيرها مِن المعجزات

ورَدَّ إِذْ نَـدَرَتْ عَيْنـاً لِصَـاحِبِهِ قَتَادَةَ فَغَـدَتْ أَبْهَـى بِـلاَ أَلَـمِ[١٢٥]

بِالْحُسْنِ قَدْ كُسِيَتْ مِنْ بَعْدِ مَا عَوِرَتْ مِنْ كَفِّهِ شُفِيَتْ مِنْ غَيْرِ مَا سَقَمِ[١٢٦]

= بدر الكبرى حتى اشتد القتال بين المسلمين وأئمة الكفر مِن قريش ، فانكسر السيف في يده ، وذهب إلى رسول اللّه ﷺ يطلب سلاحاً يستمرّ به في القتال ، فأعطاه النبي ﷺ عوداً مِن حطب وقال له ﴿قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكَّاشَة﴾ ، فأخذ عُكَّاشَة السيفَ ونظر إليه وهزّه في يده فإذا به في يده أصلب وأقوى مِن سيف عضب طويل شديد المتن أبيض الحديدة ، وظلّ عُكّاشَة يقاتل به حتى فتح اللّه على المسلمين في هذه الغزوة الكبرى ، وقد ظل السيف عنده يشهد به الْمَشَاهِدَ مع رسول اللّه ﷺ حتى استشهد في حروب الردة وهو عنده ، وعُكّاشَة هذا شهد له النبي ﷺ أنه مِن أهل الجنة .

١١٩- وقد أنجده النبي ﷺ حينما تحطّم سيفه في الحرب .

[١٢٠ إلى ١٢٢]- وكذلك مسلمة بن أسلم أعطاه عرجوناً مِن نخيل لِيقاتل به فانقلب في يده سيفاً ، وكذلك أعطى الرسول ﷺ عبدَ اللّه بن جحش عرجوناً وأمره بالضرب به فصار في يده سيفاً .

١٢٣- وقد أوى إلى مكانه (العريش الذي يقيم فيه ﷺ أثناء المعركة ، وكان يجلس فيه معه سيدنا أبو بكر وعمر لإدارة المعركة) .

١٢٤- والناظم يقول إنه يُهْدِي إلى رسولنا الكريم صلاة اللّه خالدةً في كل وقت .

١٢٥ ، ١٢٦- ومِن معجزاته ﷺ وهي بأمر ربه ﷻ ؛ فقد سقطت عين قتادة ابن النعمان يوم أُحُد مِن سهم ، فَرَدَّهَا النبي ﷺ فكانت أحسن عينيه .

وألْصَقَ الْيَدَ فِي بَدْرٍ وقَــدْ قُطِعَــتْ لِنَجْلِ عَفْرَاءَ نالَــتْ خَيْــرَ مُلْتَــأَمِ[١٢٧]

كَمْ بَارَكَتْ يَدُهُ مَا شَحَّ مِــنْ تَمَــرٍ وأَطْعَمَ الْجَيْشَ بالأَقْوَاتِ فِــي الأَزَمِ[١٢٨]

ودَيْنُ جــابِرَ وَفَّــاهُ وفَــاضَ لَــهُ وردَّ كُــلَّ غَــرِيمٍ وافِــرَ السَّــلَمِ[١٢٩]

مِنْ سُؤْرِ جابِرَ غَذَّى جَيْشَ خَنْدَقِــهِ وردَّ جَوْعَى شِبَاعاً مِثْلَ ذِي بَشَــمِ[١٣٠]

أَحْيَا لَهُ شاتَهُ مِنْ بَعْدِ مَــا أُكِلَــتْ لَمَّا دَعَاهَا بِإذْنِ الْمُحْيِــي لِلــرِّمَمِ[١٣١]

وفِي تَبُوكَ وشَحَّ الْقُــوتُ عِنْــدَهُمُ قَدْ زَوَّدَ الْجَيْشَ بالأَزْوَادِ والطُّعَــمِ[١٣٢]

١٢٧- ومِن معجزاته ﷺ في يوم بدر حينما قُطِعَتْ يد معاذ بن عفراء فَرَدَّهَا له ، وقد نالت خير الشفاء .

١٢٨- وقد بارك اللّه تعالى في يد الرسول ﷺ ؛ فما وضع يده في طعام إلا وكثر ، وذلك خاصّةً في ساعة الأزمة .

١٢٩- أمّا دَيْن جابر : فعن جابر ﷺ أنّ أباه استشهد يوم أُحُد وترك ست بنات ، وترك له عليه ثلاثين أردبّاً ، فاشتدّ الغرماء في حقوقهم ..

قال : فَلَمَّا جَاءَ مَوْسِمُ جَمْعِ التَّمْرِ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِيَ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً كَثِيراً ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ " ، قَال ﴿ اذْهَبْ فَبَيْدِر [قَسِّمْ] كُلَّ تَمْرٍ عَلَى حِدَةٍ ﴾ فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ دَعَوْتُ ، فَغَدَا عَلَيْنَا حِينَ أَصْبَحَ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَراً ثَلاثاً وَدَعَا فِي ثَمَرِهَا بِالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَال ﴿ ادْعُ أَصْحَابَكَ ﴾ ، فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي ، وَأَنَا - وَاللَّهِ - رَاضٍ أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدي وَلاَ أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ ، فَسَمَتْ - وَاللَّهِ - الْبَيَادِرُ كُلُّهَا ، حَتَّى أَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً ، فَوَافَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَضَحِكَ وَقَال ﴿ ائْتِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَخْبِرْهُمَا ﴾ ، فَقَالاَ : لَقَدْ عَلِمْنَا إِذْ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا صَنَعَ أَنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ ..

أخرجه البخاري (حديث صحيح) .

١٣٠- ومِن معجزاته أيضاً : أنه غذى الجيش كله - وهُمْ ألف - مِن شاة لِجابر ﷺ - سؤر : هو طعام الوليمة .

١٣١- وبعد أن أكلها أهل الخندق دعا رسول اللّه ﷺ ربّه فأحياها ثانيةً لِجابر .

١٣٢- وفي غزوة تبوك روى أبو هريرة ﷺ قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَصَابَ =

مِنْ غَيْبِ رَبِّكَ يُعْطِيهِمْ بِـلاَ سَـبَبٍ كَرَامَةً مِـنْ إلَـهٍ واسِـعِ الْكَـرَمِ[١٣٣]
تَبَارَكَ اللَّهُ ذُو الْمُلْكِ الْعَظِـيمِ فَمَـا سَاوَاهُ فِي عِظَمٍ فِي الشَّأْنِ مِـنْ إرَمِ[١٣٤]
أَبْهَى صَلاَةٍ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَـرٍ أَهْلِ الْفَطَانَـةِ والتَّبْلِيـغِ والْفَهَـمِ[١٣٥]
وأَكْمَلُ النّاسِ فِي خَلْقٍ وفِي خُلُـقٍ نُورٌ بِهِ يُكْشَفُ الدّاجِي مِنَ الظُّلَـمِ[١٣٦]
يَرَى مِنَ الْخَلْفِ مَا فِي الْغَيْبِ مُحْتَجِباً كَمَا يَرَى مِنْ أَمَامٍ كُلُّ ذِي نَسَـمِ[١٣٧]
زادَتْ قُرَيْشٌ بِـهِ فَخْـراً ومَنْزِلَـةً عَلَتْ عَلَى الشَّمْسِ والأَفْلاَكِ والنُّجُمِ[١٣٨]

= النَّاسَ مَجَاعَةٌ ، فَقَالُوا :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا [إبلنا] فَأَكَلْنَاهَا وَادَّهَنَّا [أي أخذنا الدهن منها] " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ افْعَلُوا ﴾ ، فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. إنْ فَعَلْتَهُ قَلَّ الظَّهْرُ [أي قلّت الإبل التي نحتاج إليها لتحملنا] ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ وَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ ؛ لَعَلَّ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ [يعني يجعل فيها بركةً وخيرا] " ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ نَعَم ﴾ ، فَدَعَا بِبِسَاطٍ فَبَسَطَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِم [أي بما بقي منها] ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِكَفِّ ذُرَةٍ ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةِ خُبْزٍ ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى الْبِسَاطِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُم ﴿ خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُم ﴾ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إلاَّ مَلأُوهُ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ إلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ﴾ .

١٣٣- وهذا هو عطاء اللّه للمؤمنين ، فسبحان المعطي الوهاب .

١٣٤- تبارك اللّه ﷻ الفرد الصمد .

١٣٥- وصلى اللّه على سيدنا محمد صلاةً لا تغيب أبداً ، وهو من قبيلة مضر أهل فطنة .

١٣٦- وإنه ﷺ جمع الكمالَ كله في الْخَلْق والْخُلُق ، يكشف به اللّه تعالى الْمُظْلِمَ مِنَ الظُّلَم .

١٣٧- وهذه من معجزات الرسول ﷺ المادية الوقتية : أنه يرى من وراء ظهره كما في الحديث الشريف في صحيح البخاري عن أنس ؓ عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ أَقِيمُوا الصُّفُوفَ ؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي ﴾ .

١٣٨- هكذا تباهي به قريش العالَمين .

جُدُودُهُ أَشْـرَفُ الأَقْـوَامِ كُلِّهِـمِ جَمِيعُهُمْ سادَةٌ فِي الأَعْصُرِ الْقُـدُمِ (١٣٩)

أَهْلُ الْمُرُوءَةِ أَسْخَى النّاسِ قاطِبَـةً ونَجْدَةٌ لِمُضَامِ حَـلَّ فِـي جَشَـمِ (١٤٠)

مُبَرَّءُونَ مِـنَ الأَرْجَـاسِ طَـاهِرَةٌ فِعَالُهُمْ مِنْ هَوَى الإِشْرَاكِ والـتُّهَمِ (١٤١)

قَدْ طابَ مَنْسَبُهُ والطُّهْـرُ يَصْـحَبُهُ مِنْ أَشْرَفِ الْخَلْقِ ومِنْ أَطْهَرِ الرَّحِمِ (١٤٢)

ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ والأَشْرَافِ فِي نَسَـبٍ يَكْفِيكَ فِي نَسَبٍ جَـدٌّ كَـإِبْرَهَمِ (١٤٣)

الإسراء والمعراج وتكريم أكرم الخلق

وجَاءَ جِبْرِيـلُ لِلْمُخْتَـارِ يَحْمِلُـهُ عَلَى الْبُرَاقِ إِلَى الأَقْصَى بِلاَ أَتَـمِ (١٤٤)

[١٣٩ إلى ١٤٣]- لقد اصطفاه اللّه ﷺ ؛ فقد اصطفى مِن ولد إبراهيم إسماعيلَ ، واصطفى مِن ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى مِن بني كنانة قريشاً ، واصطفى مِن قريش بني هاشم ، واصطفاه ﷺ مِن بني هاشم .. رواه الترمذي ..

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتا ﴾ .

وروى الحاكم في " المستدرك " مِن حديث معاوية أن أعرابيّاً قال لِلنبي ﷺ : عُدْ عَلَيَّ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الذَّبِيحَيْن .

وسيدنا محمد ﷺ مِن ذرية سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم عليهما السلام ، وقد رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه ، ورؤيا الأنبياء حقائق لا مراءَ فيها ، ولكن اللّه ﷻ فَدَاه بكبش ، فذبح إبراهيم الكبشَ ونَجّى سيدنا إسماعيل .

وكذا عبد المطلب حينما نذر نذراً أنه لو رزقه اللّه بعشرة أبناء يمنعونه مِن قريش لَيذبحنّ العاشرَ ، وكان العاشر هو عبد اللّه والد الرسول ﷺ ، وكان عبد اللّه أَحَبَّ ولد عبد المطلب إليه ، فقال عبد المطلب لِصاحب القداح :" اضرب على بَنِيّ هؤلاء بقداحهم هذه " وأخبره بنذره الذي نذر ، فأخذ القداح يضرب بها فجاءت على عبد اللّه ، ولكنّ اللّه فَدَاه بمائة مِن الإبل قد جاء عليها القداح فذبحوها .

لذا قيل : ابن الذبيحين .

١٤٤- وهذه في قصة الإسراء والمعراج حينما جاء سيدنا جبريل - وهو رئيس الملائكة - يحمل سيدنا محمداً ﷺ على البراق في إسرائه بلا إبطاء بل بسرعة غير عادية .

أَحَسَّ مِنْهُ نفَـاراً وهْـوَ يُمْسِـكُهُ إذْ طالَ عَهْدٌ ولَمْ يَرْكَبْـهُ مِـنْ أَرِمِ[١٤٥]

اهْدَأْ بُرَاقُ فَلَـمْ يَرْكَبْـكَ مُشْـبِهُهُ ذَا أَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ ذِي الْكَرَمِ[١٤٦]

فارْفَضَّ مِنْ خَجَلٍ قَدْ عَمَّـهُ عَـرَقٌ مِنَ الْحَيَاءِ لِمَا أَبْدَاهُ مِـنْ غَشَـمِ[١٤٧]

أَسْرَى بِهِ اللَّـهُ لِلأَقْصَـى مُبارَكِـهِ عَلَى الْبُرَاقِ كَلَمْحِ الْبَرْقِ فِي الظُّلَمِ[١٤٨]

أَمَّ النَّبِيِّينَ فِـي جَمْـعٍ بِمَسْـجِدِهِ نِعْمَ الإِمَامُ بِخَيْـرِ الْخَلْـقِ كُلِّهِـمِ[١٤٩]

أَثْنَى عَلَيْـهِ بِـهِ إِبْـرَاهِيمُ والِـدُهُ نِعْمَ الْخَلِيلُ لِرَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْعِظَمِ[١٥٠]

ثُمَّ امْتَطَى ذِرْوَةَ الْمِعْـرَاجِ مُرْتَقِبـاً إِلَى السَّمَاءِ بِتَرْحِيـبِ بِكُـلِّ فَـمِ[١٥١]

نِعْمَ الْمَجِيءُ أَتَى والسَّعْدُ يَصْـحَبُهُ وجِبْرَئِيـلُ دَلِيـلٌ أَيُّ مُحْتَـرَمِ[١٥٢]

---

١٤٥ ، ١٤٦ – وقد أحس النبي ﷺ أن البراق يتململ مِن تحته ؛ لأنه لم يركبه أحد منذ زمن بعيد ، فقال له جبريل :" اهْدَأْ أَيُّهَا الْبُرَاقُ ؛ فَإِنَّ مَنْ يَرْكَبُكَ الآنَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ " ، والبراق دابة دون البغل وفوق الحمار ، أبيض اللون ، يضع قدمه عند أقصى نظره ، لذا يقال أنه أخذ المسافةَ بين الأرض والسماء في خطوة واحدة (القصص القرآني) .

١٤٧ – ارتعش البراق مِن الخجل لِمَا أبداه مِن تململ عندما ركبه رسول اللَّه ﷺ ، بل عَمَّه عرق مِن شدة الخجل .

١٤٨ – وقد أسرى اللَّه ﷻ بنبيِّه مِن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وقد طوى اللَّه ﷻ الزمان والمكان ، وهذه المسافة تَمّ قطعها كلمح البصر مثلما نرى البرق الذي يظهر ويختفي كلمح البصر .

١٤٩ – حينما أُسْرِي به ﷺ إلى المسجد الأقصى بعث اللَّه ﷻ آدَمَ ومَن بعث مِن النبيين والمرسلين وجبريلَ مع النبي ﷺ ، فأذَّن جبريل عليه السلام ثم أقام الصلاةَ ثم قال : يَا مُحَمَّدُ .. تَقَدَّمْ فَصَلِّ بِهِم .

١٥٠ – وحينما سَلَّم رسول اللَّه ﷺ على سيدنا إبراهيم عليه السلام قال له :" ابْنٌ صَالِح " ، وإبراهيم هو خليل الرحمن سبحانه رب العرش العظيم .

١٥١ – وبعد الصلاة ارتقى إلى معراج السماء العليا ، وكلّ الأنبياء والرسل يرحبون به ؛ فقد رأى في السماء الأولى آدَمَ عليه السلام ورَحَّب به ، وفي الثانية رأى يوسفَ عليه السلام ورَحَّب به ، وفي الثالثة كان يحيى وعيسى عليهما السلام ، وفي الرابعة إدريس عليه السلام ، والخامسة هارون عليه السلام ، والسادسة موسى عليه السلام ، والسابعة إبراهيم عليه السلام ، وكُلٌّ رَحَّب به .

١٥٢ – وكان دليله طوالَ الرحلة سيدنا جبريل عليه السلام ، وهو رئيس الملائكة .

حَتَّى أَتَى السِّدْرَةَ الْعُظْمَى وحَلَّ بِهَا فِي مَوْكِبٍ بِعَظِيمِ الشَّأْنِ مُحْتَشِـمِ[١٥٣]

ورَحَّبَتْ زُمَرُ الأَمْــلاَكِ فِــي فَــرَحٍ بِالْمُصْطَفَى خَيْرِ مُخْتَــارٍ ومُخْتَــتِمِ[١٥٤]

وسِدْرَةُ الْمُنْتَهَى بِالْمُصْطَفَى طَرَبــاً تَزَيَّنَــتْ بِبَــدِيعِ اللَّــوْنِ والــرَّقَمِ[١٥٥]

بِهَا الْمَكِينُ تَبَــدَّى فِــي وَسَــامَتِهِ بِرَائِعٍ مِنْ جَمِيلِ السَّــمْتِ مُتَّسِــمِ[١٥٦]

وقَالَ أَقْــدِمْ أَيَــا طَــهَ لِمَكْرُمَــةٍ مَا نَالَهَا أَحَدٌ فِي الــدَّهْرِ ذُو كَــرَمِ[١٥٧]

وذَا مَقَامُــكَ إنَّ اللَّــهَ قَدَّمَــهُ عَلَى الْوَرَى فَلأَنْتَ الْعَبْدُ ذُو الْقَدَمِ[١٥٨]

ولَوْ تَقَدَّمْتُ شِبْراً واحِــداً لَقَضَــى عَلَيَّ بِالْحَرْقِ فِي نُــورٍ بِــلاَ أَتَــمِ[١٥٩]

فَأَنْتَ أَكْــرَمُ خَلْــقِ اللَّــهِ مَنْزِلَــةً لَدَى الْعَلِيِّ ومَــا دانَــاكَ مِــنْ أَرِمِ[١٦٠]

وحَاطَــهُ رَفْــرَفٌ بِــالْعِزِّ تَكْرِمَــةً بِهِ يَطِيرُ وَرَاءَ الْحُجْــبِ والْهِمَــمِ[١٦١]

وزُجَّ فِي النُّورِ عِنْدَ الْعَــرْشِ مَنْزِلَــةً بِهَا دَنَا مِنْ صَرِيفِ اللَّوْحِ والْقَلَــمِ[١٦٢]

---

١٥٣ ، ١٥٤– وقد وصل إلى سدرة المنتهى في موكب عظيم مِن الملائكة ، ورَحَّبَتْ به كل الملائكة التي رأته .

١٥٥– وقيل : إن سدرة المنتهى تزينت فرحةً بقدوم خاتم النبيين والمرسلين ﷺ .

١٥٦– وقد تَزَيَّن المكين – وهو سيدنا جبريل – وظهر في جماله ووسامته .

١٥٧– وقال لِسيدنا محمد ﷺ :" تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى " ، وهذا الأمر لم ينله أحد قبله مِن النبيين والمرسلين أو حتى الملائكة .

١٥٨– وهذا المقام لم ينله أحد قبلك مِن الآدميين ، وهذا كرم مِن اللّه لِعبده ونبيِّه لم ينله أحد قبله .

١٥٩– فإنني [أي جبريل] لو تقدمتُ خطوةً واحدةً لَقُضِي عَلَيّ بالحرق بسرعة فائقة .

١٦٠– فأنت يا محمد أكرم خلق اللّه عنده ﷺ ، وهذه المرتبة لم يدانيك أحد فيها ، وفي سورة مريم آية ٥٧ ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

١٦١– وقد وصل رسول اللّه ﷺ إلى منزلة عليا ، وقد أحيط بعز اللّه ﷻ ، وهذا الكرم الإلهي فاق كل الحجب وكل الهمم .

١٦٢– وقد اقترب سيدنا محمد ﷺ مِن العرش حتى أنه سمع صريرَ أقلام الملائكة وهي تكتب أقدارَ الناس .

رَأى الَّذِي مَا رَأَى إنْسٌ ولاَ مَلَـكٌ ... مِنَ الْكَرَامَةِ والتَّكْـرِيمِ مِـنْ قِـدَمِ(١٦٣)

وهَذِهِ سـاعَةٌ دانَ الْوُجُـودُ لَهَـا ... وقَامَ كُلُّ الْوَرَى فِيهَا عَلَـى قَـدَمِ(١٦٤)

قالَ التَّحِيّـاتُ لِلـرَّحْمَنِ مُلْتَمِسـاً ... فَضْلَ الإلَهِ عَلَى الأَكْوَانِ والْحَشَـمِ(١٦٥)

ناجَـاهُ كَرَّمَـهُ بـالْوُدِّ أَسْـعَدَهُ ... أَرْضَاهُ أَعْطَاهُ مَا يَبْغِيهِ مِـنْ نِعَـمِ(١٦٦)

لَوْلاَكَ لَوْلاَكَ مَا أَنْشَأْتُ مِنْ فَلَـكٍ ... ومَا ابْتَدَعْتُ ومَا أَبْدَيْتُ مِنْ عَـدَمِ(١٦٧)

أَقِمْ صَـلاَةً لِـذِكْرِ اللَّـهِ مُبْـتَهِلاً ... ولاَ تَكُنْ غافِلاً يَا حِبُّ عَنْ عِظَمِـي(١٦٨)

فِي الأَجْرِ خَمْسُونَ هُنَّ الْخَمْسُ فِي عَمَلٍ ... فَصَلِّ فَرْضاً هُوَ الْغَايَاتُ فِي الْخِدَمِ(١٦٩)

ترديد موسى عليه السلام للنبي ﷺ وسببه

مُوسَـى يُـرَدِّدُهُ رُجْعَـى لِخَالِقِـهِ ... إلَـى مَحَـلِّ مُناجَـاةٍ ومُعْتَصَـمِ(١٧٠)

كَيْمَا يُخَفِّفَ مِـنْ تَكْلِيـفِ أُمَّتِـهِ ... بِسُـؤْلِهِ اللَّـهَ تَيْسِـيراً لِمُلْتَـزَمِ(١٧١)

تَزِيـدُ رِفْعَتُـهُ فِـي كُـلِّ مَسْـأَلَةٍ ... مُخَاطِبُ الْحَقِّ يَعْلُو ذِرْوَةَ السَّـنَمِ(١٧٢)

شَوْقاً لِرُؤْيَتِـهِ فِـي كُـلِّ مَرْتَبَـةٍ ... كَيْمَا يَرَى مَنْ رَأَى الْمَحْبُوبَ ذَا الْقِدَمِ(١٧٣)

١٦٣- وقد رأى سيدنا محمد ﷺ مِن آيات ربه الكبرى ، وشَرْح هذا يطول ، والرجوع فيه إلى قصة الإسراء والمعراج .

١٦٤- وهذه الساعة وقف فيها الزمان والدهر ساعة التقاء سيدنا محمد ﷺ مع سدرة المنتهى .

١٦٥- وحين وصل إلى سدرة المنتهى قال ﴿التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَات﴾ ، وحينها أنعم اللّه سبحانه عليه بما لم ينعم به على نَبِيّ ولا رسول مِن قبل .

١٦٦- حيث أسعده بالإسراء والمعراج إلى السماء العليا ، وهذه مرتبة عليا لم ينلها أحد مِن قبل .

[١٦٧ إلى ١٦٩]- وإن اللّه ﷻ ما خلق الإنسانَ إلا لِيعبده ، وقد خلقه مِن عدم وهيأ له الأرضَ لِيعيش فيها ويعبد اللّهَ ﷻ ، ويا محمد اذكر اللّهَ كثيراً ولا تغفل عن عظمتي ، وقد أكرمتُك بأن جعلتُ صلاةَ الأمة المحمدية خمسَ صلوات بدلاً مِن خمسين صلاةً ؛ وذلك إكراماً لك يا محمد ، ولكنها في الأجر خمسون .

[١٧٠ إلى ١٧٣]- فريضة الصلاة قال النبي ﷺ ﴿فَدُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى =

وعَادَ بِـالْخَيْرِ لِلأَسْـرَارِ مُجْتَلِيـاً مِنْ عالَمِ الْغَيْبِ مَا يَعْلُو عَلَى الْفَهَمِ[(١٧٤)]
وعُلِّمَ الْعِلْـمَ بالأَحْكَـامِ أَجْمَعِهَـا ونَالَ مَا نالَ مِنْ فَضْلٍ ومِنْ حِكَـمِ[(١٧٥)]
حارَتْ عُقُولُ الْوَرَى فِي دَرْكِ قِيمَتِهِ وهَلْ يُسَامُ حَبِيبُ اللّـهِ بِـالْقِيَمِ ؟![(١٧٦)]
لَمْ يَجزِ مَنْ ساءَهُ بالْعَـدْلِ مُنْتقِمـاً أَهْلُ السَّمَاحِ وأَهْلُ الْعَفْوِ والْكَـرَمِ[(١٧٧)]
ولَوْ دَعَا مِثْلَ نُوحٍ كَـانَ مُهْلِكَهُـمْ أَدْنَى إِلَيْهِمْ بتَعْـذِيبٍ مِـنَ الـنِّقَمِ[(١٧٨)]
وكَمْ أَسَاءُوا فَلَمْ يَطْلُبْ عُقُـوبَتَهُمْ وقَالَ اغْفِرْ لَهُـمْ رَبِّـي لِجَهْلِهِـمِ[(١٧٩)]

= فَتَغَشَّانِيَ النُّورُ ، وَنَزَلَ عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْ أَوْرَاقِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ ﴾ ، قال ﴿ وَفُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرٌ ؛ إِذَا هَمَمْتَ بِالْحَسَنَةِ وَلَمْ تَفْعَلْهَا كُتِبتْ لَكَ حَسَنَةً ، فَإِذَا عَمِلْتَهَا كُتِبَتْ لَكَ عَشْراً ، وَإِذَا هَمَمْتَ بِالسَّيِّئَةِ وَلَمْ تَفْعَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْكَ شَيْءٌ ﴾ ، وعاد ﷺ فاستقبله موسى عليه السلام فقال له :" بِمَ أَمَرَكَ رَبُّك ؟ " قال النبي ﷺ ﴿ بخَمْسِينَ صَلاَةً ﴾ قال :" ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، وَقَدْ بَلَوْتُ الْخَلْقَ قَبْلَك " ، وهكذا حتى وصلت الصلوات إلى خمس ، وفي كل مرة يكون سيدنا موسى عليه السلام سعيداً برؤيته لِسيدنا محمد ﷺ الذي يناجي ربه في فريضة الصلاة .

١٧٤- وهل هناك خير أكثر مِن هذا : أن تكون خمس صلوات وفضلها خمسون ، وأن تكون الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بسيئة مثلها ؟! هذا فضل مِن اللَّه عظيم .

١٧٥- وقد عاد سيدنا محمد ﷺ بهذا الخير ومعه العلم بجميع الأحكام الشرعية ، وقد رأى مِن آيات ربه الكبرى ، وقد أنبأه اللَّه نبأ الأولين والآخرين ، وعلَّمه ﷺ ما لم يكن يعلم .

[١٧٦ إلى ١٧٨]- إن العقل البشري لَيقف عاجزاً عن إدراك قيمة رسول اللَّه ﷺ ، وهو الذي لم ينتقم ممن أساء إليه مع قدرته على ذلك ، وكان دائماً يقول ﴿ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي ؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُون ﴾ ، وهو الذي قال ﴿ قَدْ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يُوَحِّدُ اللَّه ﴾ ، ولذا لم يَدْعُ على قومه أبداً مثلما فعل بعض الأنبياء الآخرين مثلما فعلها سيدنا نوح عليه السلام حين دعا على قومه فعذَّبهم اللَّه ﷻ .

١٧٩- وكثيراً ما أساء له قومه فيقول ﴿ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي ؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُون ﴾ .

وحَــارَبُوهُ أرَادُوا قَتْلَــهُ سَــفَهاً فَلُّوا رَبَاعِيَّةً مِــنْ خَيْــرِ مُبْتَسَــمِ[١٨٠]

سَمَّتْ لَهُ الشّاةَ ذاتُ الْكَيْدِ فـاجِرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ ولَمْ تَرْهَــبْ لِمُجْتَــرَمِ[١٨١]

فَأَخْبَرَتْــهُ ذِرَاعُ الشّــاةِ مُنْــذِرَةً وحَذَّرَتْهُ فَلَمْ يَأْكُــلْ مِــنَ الْــوَخِمِ[١٨٢]

عَنْهَا عَفَا لَمْ يُعَاقِبْهَا وغَــوْرَثُ لَــمْ يُجَــازِهِ بِجَــزَاءِ الْفَاتِــكِ الْعَــرِمِ[١٨٣]

والْخَارِجِيُّ عَفَا عَنْ جَهْلِــهِ كَرَمــاً إِذْ قالَ اعْدِلْ ومَنْ ساوَاهُ فِي الْقِسَمِ ؟![١٨٤]

يَزِيدُهُ الْجَهْلُ حِلْماً بَــلْ مُسَــامَحَةً يَعْفُو ويَصْفَحُ لَمْ يَــنْقِمْ كَمُنْــتَقِمِ[١٨٥]

يَا أَجْوَدَ النّاسِ طُرّاً فِــي سَــمَاحَتِهِ ومُرْسَلُ الرِّيحِ مَا سَاوَاكَ فِي كَــرَمِ[١٨٦]

يَا أَنْجَدَ النّاسِ يَوْمَ الْبَــأْسِ قاطِبَــةً لَمْ تَدْرِ مَا الْخَوْفُ لَمَّا فَرَّ كُلُّ كَمِي[١٨٧]

بكَ احْتَمَى كُلُّ صِــنْدِيدٍ بِضَــائِقَةٍ وأَنْتَ أَقْرَبُ لِلأَعْدَاءِ فِــي الْقُحَــمِ[١٨٨]

أَنْتَ الْجَمُوعُ لِكُلِّ الْخَيْرِ لاَ عَجَبٌ لِفَرْطِ جُودِكَ قَدْ سَــمَّوْكَ بِــالْقُثَمِ[١٨٩]

١٨٠- وفي غزوة أُحُد حاربوا الرسول ﷺ ، وفيها كُسِرَتْ رباعيته وشُقَّتْ شفته السفلى وأرادوا بذلك قتله .

١٨١ ، ١٨٢- وقد حاولت اليهودية قتله بعد فتح خيبر بأن سَمَّت الشاة وقَدَّمَتْهَا له ﷺ ، ولكن أخبرته ذراع الشاة بأنها مسمومة ، وقد صفح عنها ﷺ - الوخم : الرديء .

١٨٣- وقد عفا رسول اللّه ﷺ عن غورث الذي حاول قتله ؛ لأن العفو مِن صفات الرسول ﷺ ، وقد عفا عن قاتل حمزة رضي الله عنه ، وهذه هي صفاته : العفو .

١٨٤- وقد عفا عن الخارجي الذي قال لِرسول اللّه ﷺ :" اعدل " فقال له الرسول ﷺ ﴿ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِل ﴾ ، وعفا عنه .

١٨٥- إنّ جهل الآخرين لا يزيد الرسولَ ﷺ إلا عفواً ومسامحةً .

١٨٦- إنه ﷺ كان مثالاً لِلكرم والجود في سماحته وعفّته ، والريح المرسلة بالجود والعطاء لا تساوي النّبيَّ ﷺ في كرمه وجوده وسماحته .

١٨٧- عن عليّ رضي الله عنه قال :" كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ ، فَمَا نَرَى أَحَداً أَقْرَبَ إِلَى الْقَوْمِ مِنْه " - الكمي : الشجاع ، ويوم حنين فر المسلمون لِوقوعهم في كمين ، ولكن الرسول ﷺ لم يفرّ ولم ينهزم ، وثبت معه ﷺ اثنا عشر رجلاً مِن أصحابه فنصره اللّه - القحم : المهالك .

١٨٩- القثم : الْجَمُوع لِلخير الكثير العطاء ، وهو مِن أسمائه ﷺ .

زهده ﷺ وتواضعه

لَمْ يَقْبَلِ الْمُلْكَ لَمَّـا اللَّـهُ خَيَّـرَهُ عُبُودَةُ اللَّـهِ أَعْلَـى ذِرْوَةِ الْقِمَـمِ(١٩٠)

لاَ سُفَّةٌ عِنْـدَهُ مِـنَ الـدَّقِيقِ ولاَ مِنَ السَّوِيقِ ومَا يَشْكُو مِنَ الْعَـدَمِ(١٩١)

خَـزَائِنُ الأَرْضِ آتَـاهُ مَفَاتِحَهَـا وعَفَّ عَنْهَا بِزُهْـدٍ غَيْـرِ مُـتَّهَمِ(١٩٢)

باللَّهِ يَغْنَى عَنِ الْحَاجَـاتِ أَجْمَعِهَـا ومَنْ بمَوْلاَهُ يَغْنَـى فَـائِقُ الْعِظَـمِ(١٩٣)

يُوَاصِـلُ الصَّـوْمَ أَيَامـاً مَدارِكَـةً ومَا يَذُوقُ مِنَ الْمَأْكُولِ مِنْ طُعَـمِ(١٩٤)

مَـا يَشْـبَعُونَ بِبُـرٍّ فَـوْقَ ثالِثَـةٍ ومَا لَهُمْ غَيْرُ تَمْرِ النَّخْلِ مِـنْ أَدَمِ(١٩٥)

شَهْرٌ وشَهْرَانِ لَـمْ يُوقَـدْ بِمَنْزِلِـهِ مِصْبَاحُ نُورٍ لِيَمْحُو داجِيَ الظُّلَـمِ(١٩٦)

١٩٠- لقد خُيِّر الرسول ﷺ بين أن يكون نبيّاً ملكاً أو نبيّاً عبداً فاختار أن يكون نبيّاً عبداً ، والعبودية للّه هي أعلى القمم ، وقد قال له إسرافيل حين اختار أن يكون نبيّاً عبدا : إِنَّ اللّهَ أَعْطَاكَ بِمَا تَوَاضَعْتَ لَهُ أَنَّكَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ ، وَأَوَّلُ شَافِع .

١٩١- قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :" كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ نَمْكُثُ شَهْراً مَا نَسْتَوْقِدُ نَاراً ، مَا هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاء " ، فليس مِن أقلّ القليل من الدقيق (سفة) ، والسويق هو القمح أو الشعير الذي يُغْلَى ثم يُطْحَن فيصير دقيقاً .

١٩٢- عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها ﴿يَا عَائِشَةُ .. لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ﴾ ، جاءه جبريل فقال له :" إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ لَك : إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكُونَ مَلِكاً أَوْ نَبِيّاً عَبْدا " فاختار أن يكون نبيّاً عبداً ، والعبودية لِلّه هي أعظم شيء في الوجود .

١٩٣- ومَن يكون اللّه معه يغنيه عن الدنيا كلها ، ومَن يغنيك عن الدنيا كلها إلا اللّه ﷻ ؟!

١٩٤- وكما سبق وبَيَّنَّا فإنه ﷺ لم يكن يوقد عندهم النار شهراً كاملاً ، ويكون زادهم هو الماء والتمر ، وكان ﷺ يصوم نظراً لِعدم وجود ما يأكل .

١٩٥- وهُمْ يَبقون بالأيام الثلاثة ما لهم إلا التمر هو مأكلهم ومشبعهم .

١٩٦- وقد يبقى شهراً وشهرين لم يوقد في دارهم مصباح لِيمحو الظلام الدامس - داجي الظُّلَم : الظلام الدامس .

يَبِيــتُ يَسْــقِيهِ مَــوْلاَهُ ويُطْعِمُــهُ عِنَايَةُ اللَّهِ تَشْفِي كُــلَّ ذِي سَــقَمِ(١٩٧)

ودِرْعُهُ رُهِنَتْ فِــي أَكْــلِ أُسْــرَتِهِ لَوْ شاءَ سالَتْ لَهُ الْبَطْحَاءُ بِــالنِّعَمِ(١٩٨)

إذَا سَقَى كانَ عِنْدَ الشُّرْبِ آخِــرَهُمْ انْظُرْ تَوَاضُعَهُ واعْجَبْ لِذِي عِظَــمِ(١٩٩)

ومَنْ دَعَــاهُ يُلَبِّــي فِــي إجَابَتِــهِ هَذِي لَعَمْرِي حَقّاً عَذْبَــةُ الشِّــيَمِ(٢٠٠)

المكذبون المضللون الذين لا يؤمنون

كَــمْ ذَا يُكَذِّبُــهُ قَــوْمٌ ذَوُو عَمَــهٍ مَا كانَ طَهَ عَلَــى غَيْــبٍ بِمُــتَّهَمِ(٢٠١)

بالرَّغْمِ مِمَّا رَأَوْا مِنْ صِــدْقِ آيَتِــهِ قَدْ كابَرُوا وأَعَارُوا سَمْعَ ذِي صَمَمِ(٢٠٢)

عابُوا عَلَيْهِ بِمَــا الصِّــدِّيقُ صَــدَّقَهُ مُكَذِّبُ الْحَقِّ عَنْ نُورِ الإلَهِ عَمِــي(٢٠٣)

عَمَى الْقُلُوبِ رَمَى الأَبْصَارَ مِنْ كَمَهٍ وكَيْفَ يَعْقِلُ مَنْ يَشْكُو مِنَ الْيَهَمِ ؟!(٢٠٤)

---

١٩٧ ، ١٩٨– اللَّه يرعاه في كل شيء حتى في إشباعه من الجوع ، فاللَّه يسقيه ويطعمه ، فعناية اللَّه تشفي كل مريض (ذي سقم) ، وقد رهن درعَه عند اليهودي لِيطعم أهل بيته .

١٩٩– عن أنس ﷺ أن الرسول ﷺ كان يسقي أصحابَه ، فقالوا :" يَا رَسُولَ اللَّهِ .. لَوْ شَرِبْتَ أَوَّلا ؟ " فقال لهم ﴿سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُم﴾ ، وهذا مِن عظمة أخلاق الرسول ﷺ .

٢٠٠– إنه ﷺ يلبي دعاء مَن دعاه فيجيبه على التو ، وهذا مِن أعظم الأخلاق – عذبة الشيم : يقصد الأخلاق العظيمة مثل الماء البارد .

٢٠١– لقد كذَّبه قوم ذوو عمه – مترددون متحيرون في أمره ، وما كان رسول اللَّه (طه من أسماء النبي ﷺ) كاذباً على الغيب ؛ لقد سُمِّي " الصادق الأمين " قبل مبعثه ، وهو كذلك بعد مبعثه .

٢٠٢– فبالرغم من أنهم سمعوا منه وصف المسجد الأقصى كأنه يراه أمامه في قصة الإسراء والمعراج لكنهم كابروا ولم يصدِّقوا ، بل صمّوا آذانهم عن سماعه .

٢٠٣– وقد صدَّقه أبو بكر الصديق ﷺ قال لهم : إنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدُوِّهِ وَرَوَاحِهِ ، فَكَيْفَ لاَ أُصَدِّقُهُ بِمَا دُونَ ذَلِك ؟!

٢٠٤– وقد عميت قلوبهم عن تصديق الرسول ﷺ فيما ذكر من قصة الإسراء والمعراج ، وكيف يَعقل مَن يَشْكُو من الجنون (اليهم) ؟!

لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي

أُمُّ الْقُرَى أُتْرِعَتْ بِالْكُفْرِ يَا عَجَبـاً ... قُرَيْشُهَا كَفَرَتْ عَكْفاً عَلَى صَـنَمِ(٢٠٥)

ورَاوَدُوهُ عَلَـى مُلْـكٍ ومَمْلَكَـةٍ ... يَكُونُ فِيهَا كَثِيرَ الْمَـالِ والْحَشَـمِ(٢٠٦)

فَقَالَ لَوْ مَلَّكُونِي الشَّمْسَ سـاطِعَةً ... وبِالْيَسَارِ حَبَوْنِي الْبَدْرَ فِـي تَمَـمِ(٢٠٧)

كَيْ أَتْرُكَ الدِّينَ والإِسْلاَمَ مَا قَبِلَـتْ ... نَفْسِي ولَوْ حارَبُونِي حَرْبَ مُصْطَلِمِ(٢٠٨)

وحَارَبُوا اللَّهَ والْمُخْتَارَ مِـنْ عَمَـهٍ ... مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فِي تِيهٍ بِـلاَ عَلَـمِ(٢٠٩)

بَغَوْا وضَلُّوا وسَامُوا الْخَسْفَ مُؤْمِنَهُمْ ... وعَذَّبُوا كُـلَّ ذِي دِيـنٍ لِمُجْتَـرِمِ(٢١٠)

حَتَّى أَتَاحَ لَـهُ الْمَـوْلَى مُهَـاجَرَةً ... إِلَى الْمَدِينَـةِ أُمِّ الْخَيْـرِ والْحَـرَمِ(٢١١)

المدينة المنورة طابة طيبة دار الهجرة والأنصار ﷺ

بِهَا اسْتَقَرَّ الْهُدَى حَطَّـتْ رَوَاحِلُـهُ ... فَحَبَّـذَا طَيْبَـةُ داراً لِمُعْتَصِـمِ(٢١٢)

٢٠٥- أم القرى مكة ؛ لأن بقعتها أول ما برز فيه من الماء - أُتْرِعَتْ : امتلأت وشبعت - عكفاً : لازمته وواظبت عليه ، لقد امتلأت مكة بالكفر ولازمت أصنامها تعبدها مِن دون اللّه .

[٢٠٦ إلى ٢٠٨]- وقد عرض عليه أهل مكة أن يملّكوه عليهم فيكون ملكاً عليهم لديه المال والحشم ، ولكنه ﷺ رفض وقال لعمّه أبو طالب ﴿لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي مَا تَرَكْتُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُنْفِذَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَه﴾ - الحشم : الخدم - في تمم : في تمامه - مظلم : لا هوادة فيها ، وهي حرب ظالمة .

٢٠٩- لقد حاربوا اللّهَ ورسولَه ؛ لأنهم لم يروا الحق حقّاً فاتبعوه ، فكأنهم عميان لا يرون شيئاً ، ومَن يضلل اللّه فهو في تيه بلا دليل له ، ومَن يضلل فلا هاديَ له .

٢١٠- هؤلاء القوم بغوا ولم يهتدوا إلى سواء السبيل ، وعذّبوا المؤمنين كأنهم مجرمون ، وليسوا مؤمنين باللّه الواحد القهار .

٢١١- فلمّا رأى النبي ﷺ أصحابه وما يلاقونه من المشركين أمرهم اللّه بالهجرة وسبقوا إليها ، وذلك لِحكمة أنه لا يتركهم لِلضلالات التي حولهم ، ثم أمره اللّه بالهجرة إلى المدينة المنورة والتي استقبلته أحسن استقبال .

٢١٢- وقد حطت رواحل النبي ﷺ وصحبه في المدينة (طيبة) ، وهي من أسماء المدينة المنورة ، وهذه ديار عظيمة لِكل لاجئ ومعتصم بها .

عَمَّتْ بِهَا فَرْحَةٌ حَــلَّ النَّبِــيُّ بِهَــا وأَشْرَقَ النُّورُ فِي الْوِدْيَانِ والأَكَــمِ[٢١٣]
وأَهْلُهَا قَدْ أَحَبُّوا مَــنْ أَتَــى لَهُــمُ وآثَرُوهُمْ بِكُــلِّ الْخَيْــرِ والْكَــرَمِ[٢١٤]
ورَحَّبُوا وأَعَــانُوا وُسْــعَ جَهْــدِهِمُ وهَلَّلُــوا كَبَّــرُوا شُــكْراً لِــرَبِّهِمِ[٢١٥]
وأَسْلَمَتْ زُمَراً فِــي كُــلِّ ناحِيَــةٍ حَلُّوا مِنَ اللَّهِ فِي رِضْوَانِ مُحْــتَكِمِ[٢١٦]
وأَصْبَحُوا عَجَباً بِالــدِّينِ مُــؤْمِنُهُمْ وكَانَ بِالْكُفْرِ والإِشْرَاكِ مِثْلَ عَمِــي[٢١٧]
أَهْلُ النُّهَى والتُّقَــى لِلَّــهِ دَرُّهُــمُ جُنْدُ الرَّسُولِ ومُوفُو الدَّهْرِبِالــذِّمَمِ[٢١٨]
إِلاَّ الْيَهُودَ وأَهْلَ الْغِشِّ قَدْ مَــرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ بِمَكْــرٍ جِــدِّ مُنْكَــتِمِ[٢١٩]
قَدْ عاهَدُوهُ عَلَى نَصْرٍ وقَدْ غَــدَرُوا عِنْدَ الْحَفِيظَةِ لَمْ يُوفُــوا بِعَهْــدِهِمِ[٢٢٠]

٢١٣- وقد أشرقت المدينة بالنور الذي أتاها ، وحلّت بها فرحة كبرى لِمجيء رسول الله ﷺ إليها مهاجراً .

٢١٤- استُقبِل النبي ﷺ في المدينة المنورة ، وشملت الفرحة كل قلب فيها ، لا فرقَ في ذلك بين الكبار والصغار والرجال والنساء ، ولقد كانوا في انتظار هذه الساعة بشوق شديد وتعطش كبير ، لَمّا بلغهم خروج النبي ﷺ إليهم كانوا كل يوم يخرجون إلى ظاهر المدينة عند الحرة يرقبون مطلعه ، وعند وصوله ﷺ عرض كل أنصاريّ أن يكون له شرف نزول رسول الله ﷺ عنده ، فأقبلوا يتجاذبون زمام الناقة التي ركبها ، ولكن النبي ﷺ يحسم هذا الموقف قائلاً لهم في حب منه وتقدير بالغ وود عظيم ﴿ خَلُّوا سَبِيلَهَا ؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَة ﴾ ، وبركت الناقة أمام دار أبي أيوب الأنصاري ﷺ .. (من القصص القرآني) .

٢١٥ ، ٢١٦- وقد رحبوا به كما ذُكِر ، بل رحبوا بكل مَن أتى إليهم مهاجراً ، وتقاسموا مع المهاجرين كل شيء مِن طعام وشراب بل ونساء ، وقد أسلمت أعداد كبيرة ودخلوا إلى الإسلام جماعات جماعات .

[٢١٧ إلى ٢١٩]- وهكذا دخل الأنصار في الإسلام مدافعين عنه بالغالي والنفيس ، وأصبحوا جنوداً عظماء وأعظم الناس وفاءً ، إلا اليهود ؛ فقد تعوَّدوا على النفاق حتى أصبح مُلازِمَهم ، فَهُمْ يمكرون في تكتم وخبث شديدين ، ولا يحفظون عهوداً .

٢٢٠- ذكر الرواة أن بني قينقاع نقضوا العهد الذي أبرمه النبي ﷺ معهم ، وقد بدا لِهذا النقض مظاهر عدة ، منها غمهم الشديد لِهزيمة قريش في بدر ..

روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه لَمَّا أصاب رسولُ اللَّه ﷺ قريشاً يومَ بدرٍ بدا حقد =

وحَارَبُوهُ بوُسْعِ الْجَهْــدِ فانْــدَحَرُوا بالرُّعْبِ صارُوا فَرُوراً إثْرَ مُنْهَــزِمِ[٢٢١]
واللّهُ خاذِلُهُمْ لَــمْ يَشْــفِ غُلّــتَهُمْ جزَاهُمُ الْمَقْتَ فِي الأُخْرَى بِمُضْطَرِمِ[٢٢٢]
أَخْزَاهُمُ اللّهُ أَفْنَى كُــلَّ شَــوْكَتِهِمْ بُوساً وتَعْساً فَمَــا وَفَّــوْا بِمُلْتَــزَمِ[٢٢٣]
اللّهُ أَكْبَــرُ نَصْــرُ اللّـــهِ يَكْلَــؤُهُ عَــدُوُّهُ خاسِــرٌ لِلــدِّينِ والْقِــيَمِ[٢٢٤]
وشَرَّعَ الْمُصْطَفَى لِلــدِّينِ شِــرْعَتَهُ مِنهَاجُهُ الطُّهْرُ والتَّقْوَى مَعَ السَّــلَمِ[٢٢٥]

= اليهود على النبي ﷺ والمسلمين يزداد ، وبدأوا يؤلّبون القبائلَ على رسول اللّه ﷺ ويدبِّرون ضده المكائد ، فكلّمهم في ذلك النبي ﷺ فكان ردهم هو :" أغرَّك أنك لَقِيتَ قوماً لا بَصَرَ لهم بالحرب ولا معرفةَ لهم بالقتال ؟! فواللّهِ لو قاتلناك لعرفتَ أنّا الرجال " ، ولم يلبثوا أن تصرَّفوا تصرفاً مشيناً يثير غيظَ الحليم ؛ وذلك أن امرأةً من الأنصار ذهبت بحلب لها إلى سوق بني قينقاع فباعته ، ثم انصرفت إلى صائغ يهوديّ تشتري منه بعض الحلي ، فراودها على أن تكشف عن وجهها فأبت ، فأوعز إلى صبيان له جاءوا مِن ورائها خفيةً ورفعوا ذيلَ ثوبها فانكشفت سوأتها فضحكوا منها ، فصرخت فهبّ إلى نجدتها أحد المسلمين ووثب على الصائغ واشتبك معه ، فقام بعض اليهود واشتبكوا معه ، فقتل المسلمُ الرجلَ اليهوديَّ ، وقتل اليهودُ الرجلَ المسلمَ ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون على بني قينقاع لأنهم بدأوا بإهانة المسلمين ، وأجمعوا على حربهم ، وأيدتهم السماء ، وسار إليهم النبي ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلةً ، وقذف اللّه في قلوب بني قينقاع الرعبَ برغم حصونهم المنيعة ، فلمّا طال الحصار نزلوا على حكم النبي ﷺ واستسلموا ، وأمر النبي ﷺ بفك قيودهم وتركهم يرحلون عن المدينة على أن يتركوا أموالهم ، فخرجوا مِن حصونهم وذهبوا إلى أذرعات ، فلم يَدُرْ عليهم الحول فيها إلا هلكوا .. (القصص القرآني جـ١١) .

٢٢١- وهكذا هم اليهود لا وفاءَ بالعهد ولا احترامَ لِلآدمية ، وقد قذف اللّه في قلوبهم الرعب فانهزموا بدون حرب .

٢٢٢- وهكذا فإن اللّه خاذلهم دائماً ولن يَشْفِ أبداً غُلّتهم (الغُلّة : شدة العطش) .

٢٢٣- وقد أخزاهم اللّه وأفنى شوكتهم بؤساً وقهراً .

٢٢٤- وهو - بلا شك - نصر من اللّه عظيم بدون إراقة دماء ولا حرب .

٢٢٥- إن الطهر والتقوى هما طريق رسول اللّه في الدعوة .

وَحْيٌ مِنَ اللّهِ فِـي الْقُـرْآنِ أَنْزَلَـهُ فِيهِ التُّقَى والْهُدَى والْحَقُّ فـالْتَزِمِ [٢٢٦]

واللّهُ عاصِمُهُ مِنْ كُـلِّ ذِي دَخَـلٍ ومِنْ دَسَائسِ ذِي مَكْرٍ وذِي وَغَـمِ [٢٢٧]

صِرَاطُهُ مُسْتَقِيمٌ غَيْـرُ ذِي عِـوَجٍ صِرَاطُ مَنْ ظَفِرُوا بالْخُلْدِ فِي النِّعَمِ [٢٢٨]

وبَلَّـغَ الـدِّينَ إذْ أدَّى نَصِـيحَتَهُ هَدَى الأَنَامَ لِنُورِ الْحَقِّ فِي الظُّلَـمِ [٢٢٩]

وبَـيَّنَ الْحَـقَّ تِبْيَانـاً بِـلاَ شُـبَهٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ بِإبْدَاعٍ مِـنَ الْحِكَـمِ [٢٣٠]

ووَاصِبُ الـدِّينِ لِلـرَّحْمَنِ أَنْزَلَـهُ عَلَى النَّبِيِّينَ مِـنْ نُـوحٍ وإبْـرَهَمِ [٢٣١]

عَلَـيْهِمُ صَـلَوَاتُ اللّـهِ زاكِيَـةً مَدَى الزَّمَانِ وفِي الإِصْبَاحِ والْغَسَمِ [٢٣٢]

حديث الغار في جبل ثور بمكة

وجَاءَهُ الْـوَحْيُ إيـذَاناً بِهِجْرَتِـهِ إلَى الْمَدِينَةِ ذاتِ الطِّيبِ والْعِصَـمِ [٢٣٣]

فَخَاضَ بَحْرَ عُتَاةٍ أزْمَعُـوا خَطَـلاً قَتْلَ الْمُحَامِي عَنِ الأَخْلاَقِ والْحُرَمِ [٢٣٤]

٢٢٦- وحي من اللّه - وهو القرآن الكريم - فيه التقى والهدى .

٢٢٧- الدخَل : المكر والخديعة - الدسيسة : خبايا المكر - الوغم : الحقد ، وهكذا عصم اللّه ﷻ رسولَه من كل مكر مَكَرَه له الكفار أو اليهود .

٢٢٨- صراط اللّه المستقيم مَن سار عليها نعم بالخلد في النعيم في الآخرة .

٢٢٩- وقد بَلَّغ الرسول الرسالةَ لِيكون نوراً يهدي في الظلام .

٢٣٠- وبَيَّن ﷺ الحق لِلناس جميعاً .

٢٣١- وواصب الدين : أي أن اللّه ﷻ أنزله الدين الدائم ، وهو نفسه الذي نزل على نوح وإبراهيم عليهما السلام .

٢٣٢- وهم رسل كرام صلوات اللّه عليهم في كل صباح وفي كل مساء .

٢٣٣- وحديث الهجرة ذو شجون كثيرة ، وفيها أوّلاً افتداء سيدنا عليّ ﷺ لِلنبي ﷺ ونومه في سريره ليلةَ الهجرة وفتيان قريش يقفون بسيوفهم انتظاراً لِخروج النبي ﷺ لِيقتلوه جميعاً ويتفرق دمه بين القبائل .

٢٣٤- وقد أمره اللّه ﷻ بالهجرة إلى المدينة المنورة حتى ينجوا من كفار قريش ، وقد ذهب الرسول ﷺ إلى أبي بكر ﷺ في ساعة لم يكن يذهب إليه فيها فقال له ﴿أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ﴾ فقال له أبو بكر :" لاَ عَيْنَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ ؛ إِنَّمَا هُمَا =

يَاسِينُ يَقْرَأُهَا فِي جَمْعِهِــمْ فَعَمُــوا   والشَّمْسُ يَجْحَدُهَا ذُو عاهَةٍ وعَمِي[٢٣٥]
تَلاَ فَأَسْمَعَ مَــنْ بِــالْحَقِّ يَسْــمَعُهُ   وكَيْفَ يَسْمَعُ قُرْآنــاً ذَوُو صَــمَمِ[٢٣٦]
وبَاتَ يَحْرُسُهُمْ ثَوْرٌ وقَدْ شَــمَخَتْ   صُخُورُهُ كَأُنُوفٍ مِنْ ذَوِي شَــمَمِ[٢٣٧]
عَلَى فَمِ الْغَارِ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ غَــدَا   دِرْعاً حَصِيناً وعُشُّ الْوُرْقِ كالأَكَمِ[٢٣٨]
والْمَارِقُونَ عَلَى الْمُخْتَــارِ يَــدْفَعُهُمْ   حِقْدٌ وخُبْثٌ كَحِقْدِ الصِّلِّ ذِي الرَّقَمِ[٢٣٩]
آبُوا بِحَسْــرَتِهِمْ عَضُّــوا أَنَــامِلَهُمْ   غَيْظاً ورُدُّوا بِكُلِّ الْخُسْرِ والْغَمَــمِ[٢٤٠]
ومَا دَرَوْا أَنَّ دِرْعَ اللَّــهِ تُحْصِــنُهُ   كَأَنَّهُ جَحْفَلٌ قَدْ ضَمَّ كُــلَّ كَمِــي[٢٤١]

= ابْنَتَايَ " ، فقال النبي ﷺ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ﴾ ، فقال أبو بكر ﷺ : " الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟ " فقال له رسول اللّه ﷺ ﴿ نَعَم ﴾ ، فبكى أبو بكر ﷺ فرحاً بصحبة رسول اللّه ﷺ ..

وقالت السيدة عائشة ﷺ في ذلك : مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ أَحَداً يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ حَتَّى رَأَيْتُ أَبِي يَبْكِي فَرَحا .

٢٣٥- حينما خرج الرسول ﷺ مِن بيته ورأى فتيانَ قريش أخذ حفنةً من تراب وألقاها على رؤوسهم فأخذ اللّه على أبصارهم فلم ير واحد منهم الرسولَ ﷺ ، ثم تلا مِن سورة يس إلى قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ .

٢٣٦- تلاها عليهم ولم يسمعوها ؛ لأنهم ذوو صمم : أي لا يسمعون الحق .

٢٣٧- إن جبل ثور كان يحرسهم ، وصخوره كانت حارساً لهم ، وقد قال بعض العلماء أن الجبل ناداه ، ولا غرابةَ في ذلك .

٢٣٨- وأمر اللّه تعالى العنكبوتَ أن تنسج على فم الغار ، وأمر حمامتين أن تعششا على فم الغار - الْوُرْق : الحمام الوحشي - الأكمة : ما اجْتَمَع مِن الحجارة في مكان واحد لِتُخْفِي ما خلفها .

٢٣٩- وقد غاظهم أنهم لم يجدوا رسول اللّه ﷺ ، يدفعهم إلى ذلك الحقد .

٢٤٠- وقد عضوا أناملهم غيظاً ورجعوا خائبين .

٢٤١- حماية اللّه ﷻ لِرسوله ﷺ أغنته عن الدروع والسيوف ، بل إنّ حصن اللّه له أكبر من جحافل الجيوش تضم كل شجاع .

كَـلاءَةُ اللَّـهِ لِلْهَـادِي وصَـاحِبِهِ أَرْبَتْ عَلَى الدِّرْعِ والأَسْيَافِ والْبُهَمِ[٢٤٢]

حِمَايَةُ اللُّطْفِ أَغْنَتْ عَـنْ مُدَافَعَـةٍ مِنَ الْحُصُونِ وعَنْ جَيْشٍ بِهَا لِهَـمِ[٢٤٣]

وأَيْكَةُ الرّاءِ قَدْ أَبْـدَتْ مَحَاسِـنَهَا كَغَادَةٍ نَشَرَتْ مِنْ شَعْرِهَا الْفَحَـمِ[٢٤٤]

اللَّـهُ أَنْبَتَهَـا كالدَّيْـدَبَانِ غَـدَتْ فُرُوعُهَا أَشْرَعَتْ أَرْمَـاحَ مُنْـتَقِمِ[٢٤٥]

اثْنَانِ فِي الْغَارِ نُورُ اللَّـهِ يَحْفَظُهُـمْ واللَّهُ مَـانِعُهُمْ بِـالْحَوْلِ والـدَّعَمِ[٢٤٦]

نُورُ الْوُجُودِ بِغَـارٍ صَـارَ مُخْتَفِيـاً قَدْ تاهَ ثَوْرٌ عَلَى الأَفْلاكِ والـنَّجمِ[٢٤٧]

إذْ حَلَّ أَحْمَدُ فِيـهِ وهْـوَ مُخْتَبِـئٌ حُلُولَ بَدْرِ الدُّجَى فِي حالِكِ الظُّلَمِ[٢٤٨]

كُلُّ الْجِبَالِ بِـهِ صَـارَتْ مُبَاهِيَـةً عَلَى الْعَوَالِمِ تَزْهُو مِنْ ذُرَى الْقِمَـمِ[٢٤٩]

عَلَيْهِ صَلَّى صَـلاةً لاَ نَفَـادَ لَهَـا مَعَ السَّلاَمِ كَنَشْرِ الْوَرْدِ ذِي النَّسَمِ[٢٥٠]

في طريق الهجرة

وفِي الطَّرِيقِ وذَا الْمُخْتَارُ يَصْـحَبُهُ صِـدِّيقُهُ ودَلِيـلٌ غَيْـرُ مُـتَّهَمِ[٢٥١]

٢٤٢- إن حماية اللّه له أغنته عن الدروع والسيوف .

٢٤٣- إن حمايته ﷺ له أغنته عن الحصون والجيوش المجيشة .

٢٤٤- وقد أمر اللّه ﷻ بشجرة أم الغيلان فنبتت على فم الغار ، وهي شجرة في مثل قامة الإنسان ، ولها زهر أبيض ، وأصبحت مثل أكمة تُخفِي ما خلفها .

٢٤٥- هذه الشجرة أنبتها اللّه ﷻ فأصبحت حارساً لِلرسول ﷺ وديدباناً .

٢٤٦- اثنان في الغار هما سيدنا محمد ﷺ وأبو بكر ﷺ ، واللّه يحفظهم بنوره ويدعمهم .

٢٤٧- نور الوجود - سيدنا محمد ﷺ - اختفى في الغار ، وقد افتخر جبل ثور بوجود النبي ﷺ فيه على النجوم والكواكب وهو يتيه فخراً .

٢٤٨- وذلك لأن النبي ﷺ أصبح فيه مختبئاً ، وهو نور حل في حالك الظُّلَم (الظلام) .

٢٤٩- بل إن جميع الجبال أصبحت تزهو وتفخر بوجود رسول اللّه ﷺ في جبل ثور .

٢٥٠- صلى اللّه عليه وسلم صلاةً لا تنتهي أبداً - النشر : الرائحة الطيبة ، وهو ﷺ مثل انتشار الرائحة الطيبة في النسيم .

٢٥١- وفي طريق الهجرة كان يصحبهما دليلهما ، وهو عبد اللّه بن أريقط ، ولم يكن مسلماً ، ولكنه كان أميناً ويعرف الطريق جيداً .

نَفْسي فِدَاهُ بِـذِكْرِ اللَّـهِ مُشْـتَغِلٌ عَنِ الْوُجُودِ ولَمْ يَهْـتَمَّ بِالْخَصِـمِ[٢٥٢]

والطَّالِبُوهُ وقَـدْ جَـدُّوا لِيَغْتَنِمُـوا بِأَسْـرِهِ فِدْيَـةً أَوْ شَـرَّ مُغْتَـنَمِ[٢٥٣]

هُنَيْدَةٌ مِنْ قِـلاَصٍ كُـفْءِ مُعْتَقِـلِ ولاَ يُسَامُ بِكُلِّ الْكَوْنِ فِـي الْقِـيَمِ[٢٥٤]

آية لِسراقة بن مالك

سُرَاقَةُ قَـدْ أَتَـى يَبْغِـي مُحَاوَلَـةً لَمْ يَبْغِهَا أَسَدٌ فِي الْغِيـلِ والأَجَـمِ[٢٥٥]

هَوَى الْجَوَادُ بِهِ سـاخَتْ قَوَائِمُـهُ فَخَرَّ لِلْوَجْهِ مِنْ ظَهْـرٍ لَـهُ لِفَـمِ[٢٥٦]

أَغَاثَـهُ رَءُوفٌ لَمَّـا اسْـتَجَارَ بِـهِ لَوْلاَهُ غاصَ ولاَقَـى فَـكَّ مُلْـتَقِمِ[٢٥٧]

فَالأَرْضُ قَدْ أَصْبَحَتْ وَحْشاً لِمُبْغِضِهِ عَنْهُ تُـدَافِعُ بِـالْجَلْمُودِ والـرُّجُمِ[٢٥٨]

بَلِ الْعَـوَالِمُ جُنْـدٌ فِـي حِمَايَتِـهِ وحَسْبُكَ اللَّهُ والأَمْلاَكُ فِي الْقُحَـمِ[٢٥٩]

٢٥٢- إن سيدنا رسول الله ﷺ كان كل همّه هو ذكر الله ﷻ ، ولم يهتمّ بهؤلاء الخصوم .

٢٥٣- الطالبون - وهم كفار قريش - جدّوا في البحث لأسْره .

٢٥٤- وقد جعلوا لِمن يدركه هنيدةً : وهي مائة من الإبل الشباب ، وقد وعد بها المشركون مَن يلحق بالرسول ﷺ ويمسك به ويعتقله .

[٢٥٥ إلى ٢٥٩]- وهذه الأبيات تحكي قصة سراقة بن مالك بن جعشم وقد حاول محاولةً أفشلها له الله ﷻ ، وهذه المحاولة لا يستطيعها أسد في الغابة الملتفة الأشجار (الغيل والأجم) ، وقد دنا سراقة مِن سيدنا محمد ﷺ وصحبه قَدْرَ رمحين أو ثلاثة ، فقال أبو بكر ﵁ :" لَقَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّه " وبكى ، فقال له النبي ﷺ ﴿ مَا يُبْكِيك ﴾ قال :" أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلَى نَفْسِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَبْكِي خَوْفاً عَلَيْك " ، فدعا رسول الله ﷺ فقال ﴿ اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِمَا شِئْت ﴾ ، فغاصت به فرسه في الأرض إلى بطنها ، فوثب عنها ثم قال :" يا محمد .. قد علمتُ أن هذا عملك ، فادع اللَّهَ أن ينجيني مما أنا فيه ؛ فواللَّهِ لأُعَمِّيَنّ على مَن ورائي مِن القوم " ، فدعا له رسول اللّه ﷺ ، فانطلق راجعاً إلى أصحابه ..

ساخت : خسفت به الأرض - قوائمه : أرجله - فك ملتقم : أي ابتلعته الأرض - الجلمود : الصخر الجامد - الرجم : ما يُرْجَم به - القحم : المهلكة والمصائب .

آية شاة أم معبد

شاةُ أُمِّ مَعْبَدَ كانَتْ حــائلاً فَغَـدَتْ غَزيرَةَ الْحَلْبِ بالأَلْبــانِ كالـدِّيَمِ (٢٦٠)
مَسَّتْ أَنامِلُهُ ضَـرْعاً لَهـا جَـدِباً دَرَّتْ حَوافِلُـهُ أَلْبـانَ ذِي دَسَـمِ (٢٦١)
حَتَّى لَقَدْ هَتَفَتْ جِنٌّ بِمَـا نَظَـرَتْ والنّاسُ قَدْ سَمِعَتْ لَمْ تَرَأْ مِـنْ إرَمِ (٢٦٢)
شاةُ ابْنِ مسعُودِ الأُخْرَى بِلاَ سَـبَبٍ دَرَّتْ عَلَيْهِ بِمَا يَرْوِي لِكُلِّ ظَمِـي (٢٦٣)

أول الخلق ﷺ

يَا أَوَّلَ الْخَلْقِ نُـورٌ يُسْتَضَـاءُ بِـهِ وقَدْ أَضاءَ عَمَاءً كانَ فِـي الْقِـدَمِ (٢٦٤)
تَبارَكَ اللّـهُ مَـا أَبْهَـى خَلِيقَتَـهُ لُبَابُهَا الْمُصْطَفَى ذُو النُّورِ لِلظُّلَـمِ (٢٦٥)
مِنْهُ ابْتَدَا خَلْقُهُ الأَشْـيَاءَ لاَ عَجَـبٌ فاقَتْ بِمَخْبَرِهَا فِي الْحُسْنِ والْقِـيَمِ (٢٦٦)
حَوَى الْجَمَالَ وكُلَّ الْحُسْنِ أَجْمَعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ومَا بِالْخَلْقِ مِنْ عِظَمِ (٢٦٧)
وأُسْوَةُ الْحُسْنِ لِلرّاجِـي لِخَالِقِـهِ هَلْ بَعْدَ مَا أَثْنَتِ الآيَاتُ مِنْ كَلِـمِ (٢٦٨)
اللّهُ أَكْبَرُ كُـلُّ الْخَلْـقِ عـاجِزَةٌ عَنْ دَرْكِ طَهَ ولَوْ فِي النَّوْمِ فِي الْحُلُمِ (٢٦٩)
فَتْحٌ مُـبِينٌ لَـهُ مَـا نالَـهُ أَحَـدٌ مِنَ الْخَلِيقَةِ والرَّحْمَنِ ذِي الْكَـرَمِ (٢٧٠)

[٢٦٠ إلى ٢٦٢]- آية شاة أم معبد الخزاعية ، واسمها عاتكة بنت خالد بن خليد من بني خزاعة ، وكانت امرأةً مسنَّةً ، وقد مر الرسول ﷺ بها ، ومعروف عنها أنها تطعم مَن يمرّ عليها ، ولكنها كانت في سَنَة قحط وجهد ، طلب النبي ﷺ هو ومن معه لبناً أو لحماً أو تمراً يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئاً ، وقالت :" واللّهِ لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القِرى " ، فنظر النبي ﷺ فرأى خلف الخيمة شاةً خَلَّفَهَا الجهد والهزال عن الغنم ، فسألها النبي ﷺ ﴿هَلْ بِهَا مِنْ لَبَن﴾ فقالت أم معبد :" هي أَجْهَد مِن ذلك " ، فقال ﴿أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا﴾ قالت :" نعم - بأبي أنت وأمي - إن رأيتَ بها لبناً فاحلبها " ، فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسَمَّى اللّهَ تعالى ودعا لها فحلبت ، ودعا بإناء يُشبِع الرهط فحلب فيه حلباً كثيراً وسقى القومَ حتى رووا ثم شرب آخِرَهم ، ثم حلب مرّةً أخرى فشربوا مرّةً أخرى ، ثم حلب ثالثاً وغادره عندها .

٢٦٣- حدث - أيضاً - في شاة ابن مسعود كما حدث في شاة أم معبد .

يَا صاحِبَ الْعَفْوِ والْغُفْرَانِ أَشْـمَلِهِ عَنْ مَا تَأَخَّرَ مِنْ ذَنْـبٍ وذِي قِـدَمِ(٢٧١)
أَنْتَ الأَمِينُ لِكُلِّ الْخَلْـقِ واحِـدَةٌ عِنْدَ الْمُهَيْمِنِ فِي الأَهْوَالِ والْقُحَـمِ(٢٧٢)
وفِي الْقِيَامَـةِ والأَشْـهَادُ حاضِـرَةٌ ومَحْشَرُ الْخَلْقِ فِي هَوْلٍ ومُـزْدَحَمِ(٢٧٣)
تَأَخَّرَ الْخَلْقُ إجْمَاعاً عَلَـى وَجَـلٍ ويَا مُقَدَّمُ أَنْتَ الْعَبْـدُ ذُو الْقَـدَمِ(٢٧٤)
زانَ الْوَقَـارُ لَـهُ سِـيمَا مُطَهَّـرَةٌ فَلَمْ يُقَهْقِهْ بِصَوْتٍ عِنْـدَ مُبْتَسَـمِ(٢٧٥)
يَهَابُـهُ مَـنْ يَـرَاهُ غَيْـرَ عارِفِـهِ مَهَابَةً بِعَظِـيمِ الْحُـبِّ والْحُـرَمِ(٢٧٦)

[٢٦٤ إلى ٢٧٦]- هذه الأبيات تتكلم عن صفات الرسول الْخَلْقِيَّة والْخُلُقِيَّة ، وفي حديث لأبي نعيم في الدلائل ﴿كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ﴾ ، وعن جابر ﷺ قال :" سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ فَقَال ﴿هُوَ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ ، خَلَقَهُ اللَّهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ ، وَخَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلَّ شَرٍّ﴾ " ، وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أخلاق رسول اللّه ﷺ فقالت :" كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآن " ، وقد جاء في القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ، ومدح حسان بن ثابت ﷺ الرسول ﷺ فقال :

وَأَحْسَنَ مِنْـكَ لَـمْ تَـرَ قَـطُّ عَيْنِـي وَأَجْمَـلَ مِنْـكَ لَـمْ تَلِـدِ النِّسَـاءُ
خُلِقْـتَ مُبَـرَّأً مِـنْ كُـلِّ عَيْـبٍ كَأَنَّـكَ قَـدْ خُلِقْـتَ كَمَـا تَشَـاءُ

والصفات الْخَلْقِيَّة لِلرسول ﷺ كما وردت في سيرة الرسول : كان رسول اللّه ﷺ أزهر اللون (أبيض مستنير مائل إلى الحمرة) ، واسع الجبين أدعج العينين (شدة سواد العينين مع سعتها) ، وقيل : أكحل ، أهدب الأشفار مفلج الأسنان كث اللحية تملأ صدره ، عظيم المنكبين رحب الكفين والقدمين ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ، رَجْل الشعر (في شعره تَثَنٍّ قليل) ، يضرب شعره إلى منكبيه ، إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه ، ضخم الرأس والكراديس ، في وجهه تدوير ، ذا مسربة (شعر دقيق من الصدر إلى السرة) ، إذا مشى تقلّع (أي مشى بقوة) ، يتلألأ وجهه كالقمر ليلةَ البدر ، حسن الصوت ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، سواء البطن والصدر ، أشعر المنكبين والذراعين وأعالي الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، قليل لحم العقب ، بين كتفيه خاتم النُّبوَّة كبيضة الحمامة ، وكان إذا مشى كأنما تُطْوَى له الأرض ويجدّون في لحاقه ، وكان يسدل شعر رأسه ثم فرقه ، وكان يرجله ويسرح لحيته ، ويكتحل بالإثمد =

= كل ليلة ..

وعن أنس ﷺ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ ، وَمَا مَسَسْتُ دِيبَاجَةً وَلاَ حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلاَ شَمَمْتُ مِسْكَةً وَلاَ عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

هذا وصفه ، وهذه صفاته الجسمية .

أمّا عن صفاته الأخلاقية فمنها : الحلم ، والاحتمال ، والعفو عند المقدرة ، والصبر على المكاره ، لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً ، ومع إسراف الجاهلين إلا حلماً ..

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً ، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْه .

كان ﷺ جواداً يعطي عطاءَ مَن لا يخاف فقراً ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، كان أشجع الناس ؛ حضر المواقف الصعبة وفرّ عنه الكماة والأبطال غير مرة وهو ثابت لا يبرح مقبل لا يدْبر ، وكان أشد الناس حياءً وإغضاءً ، وكان إذا كره شيئاً عُرف في وجهه ، وكان لا يثبت وجهه في وجه أحد ، خافض الطرف ، وكان أعدل الناس وأعفّهم وأصدقهم لهجةً وأعظمهم أمانةً ، وكان يسمَّى قبل نُبُوَّته بـ" الأمين " ، وكان أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن الكِبْر ، يَمنع مِن القيام له كما يقومون لِلملوك ، وكان يَعُود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس في أصحابه كأحدهم ..

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ بِيَدِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ ، وَيَخْدُمُ نَفْسَه .

كان ﷺ أوفى الناس بالعهود وأوصلهم لِلرحم وأعظمهم شفقةً ورحمةً بالناس ، وأحسن الناس عِشرةً وأدباً ، وأبسط الناس خُلُقاً .

لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعّاناً ولا صخّاباً بالأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، وكان لا يَدَع أحداً يمشي خلفه ، وكان لا يترفع على عبيده ، ويخدم من خدمه ، ولم يقل لِخادمه " أفٍّ " قط ، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه ، وكان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم ، ولا يحقر فقيراً لِفقره .

إن جملة صفاته ذكرها اللّه ﷻ في القرآن حيث قال في سورة القلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .

والْوَحْشُ مِنْ ذِكْرِهِ أَبْدَى مُسَــالَمَةً لَمَّا سَفِينَةُ لاَقَى اللَّيْثَ فِي الأَجَـــمِ(٢٧٧)
وكَانَ حارِسَهُ حَتَّـى هَـدَاهُ إلَـى رُشْدِ الطَّرِيقِ فَلَمْ يَشْرُدْ ولَمْ يَهِـمِ(٢٧٨)

طاعة الحيوان والجماد له ﷺ

فَحْلاَ الْحَدِيقَةِ ثارَا ضِـدَّ مالِكِهَـا لَمَّا أَتَى الْمُصْطَفَى خَرَّا عَلَى الْخُطُمِ(٢٧٩)
ذَلاَّ لَـهُ باخْتِفَـاءِ مِـنْ طِبَاعِهِمَـا وأَلْقَيَا عِنْدَهُ طَوْعـاً يَـدَ السَّـلَمِ(٢٨٠)
وهَكَذَا كُلُّ أَصْنَافِ الْخَلِيقَـةِ قَـدْ قَرَّتْ لَدَيْهِ بِمَعْرُوفٍ ولَـمْ تَجِـمِ(٢٨١)
حُبّـاً لَـهُ ولِمَـنْ وَلاَّهُ رُتْبَتَـهُ تَبَارَكَ اللَّهُ ذُو الإِحْسَـانِ والْكَـرَمِ(٢٨٢)

لين الصخرة له ﷺ

والصَّخْرُ لاَنَ لَهُ فِي حَـالِ لَمْسَـتِهِ وشَاهَدُوا ذاكَ فِي الآثَارِ مِنْ إِضَـمِ(٢٨٣)
قَدْ لاَنَ فِي لَيْلَةِ الأَقْصَـى لِقَبْضَـتِهِ صَخْرٌ لِرَبْطِ بُرَاقٍ كانَ فِي الْخَـدَمِ(٢٨٤)
اقْرَأْ دَلاَئِـلَ حُفَّـاظٍ لَـهُ ذَكَـرُوا رِوَايَةً عَنْ ثِقَاتِ الْحِفْـظِ والْفَهَـمِ(٢٨٥)

---

٢٧٧ ، ٢٧٨- في " دلائل النُّبوَّة " لأبي نعيم ص٢١٢ حكاية سفينة رضي الله عنه - مولى رسول الله ﷺ - مع الأسد لَمّا قال له أنه مولاه ﷺ فحرسه وأرشده إلى الطريق وودعه - الأجمة : الشجر الكثيف .

[٢٧٩ إلى ٢٨٢]- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رجلاً من الأنصار كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطاً وسدّ عليهما الباب ، ثم جاء إلى النبي ﷺ وقال :" يَا نَبِيَّ اللَّهِ .. إِنِّي جِئْتُ فِي حَاجَةٍ ، وَإِنَّ فَحْلَيْنِ لِيَ اغْتَلَمَا ، وَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا حَائِطاً وسَدَدْتُ عَلَيْهِمَا الْبَابَ ، وَأُحِبُّ أَنْ تَدْعُوَ لِي أَنْ يُسَخِّرَهُمَا اللَّهُ لِي " ، فقال النبي ﷺ لأصحابه ﴿ قُومُوا مَعَنَا ﴾ ، فذهب حتى أتى الباب قال ﴿ افْتَح ﴾ ففتح الباب فإذا أحد الفحلين قريب من الباب ، فقال النبي ﷺ ﴿ ائْتِنِي بِشَيْءٍ أَشُدُّ بِرَأْسِهِ وَأُمَكِّنُكَ مِنْه ﴾ ، فجاء بخطام فشد رأسه وأمكنه منه ، وفعل بالآخر مثل الأول ، ثم قال ﴿ اذْهَبْ ؛ فَإِنَّهُمَا لاَ يَعْصِيَانك ﴾ ، فلَمّا رأى أصحاب النبي ﷺ ذلك قالوا :" هَذَانِ فَحْلاَنِ لاَ يَعْقِلاَنِ سَجَدَا لَكَ .. أَفَلاَ نَسْجُدُ لَك ؟ " قال ﴿ لاَ آمُرُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ ، وَلَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا ﴾ .. رواه الطبراني .

[٢٨٣ إلى ٢٨٥]- وقد لان الصخر له - حينما أُسْرِي به ﷺ إلى بيت المقدس =

أَبُو نُعَـيْمٍ ونَقْـلُ النّـاسِ قاطِبَـةً ... وذَاكَ أَشْهَرُ مِنْ نـارٍ عَلَـى عَلَـمِ[٢٨٦]

أَقْدَامُهُ أَثَّرَتْ فِي الصَّـخْرِ طابِعَـةً ... مِثَالَهَـا فَـيَلِينُ الصَّـخْرُ لِلْقَـدَمِ[٢٨٧]

مَقَامُ إِبْرَهَمٍ فِـي الْبَيْـتِ شـاهِدُهُ ... هَلُـمَّ فَلْتَنْظُـرُوا آثَـارَ إِبْـرَهَمِ[٢٨٨]

فالْوَحْشُ يَأْلَفُـهُ والْكَـوْنُ يَعْرِفُـهُ ... واللَّهُ شَـرَّفَهُ تَشْـرِيفَ مُحْتَـرِمِ[٢٨٩]

واللَّـهُ كَمَّلَـهُ بِـالنُّورِ فَضَّـلَهُ ... بالْحُسْنِ جَمَّلَهُ فِي أَكْـرَمِ الشِّـيَمِ[٢٩٠]

سَلِّمْ وصَـلِّ عَلَيْـهِ خَيْـرَ تَصْـلِيَةٍ ... بِهَا يَزِيدُ عُلاً فِـي أَرْفَـعِ الْقِمَـمِ[٢٩١]

والآلِ والصَّحْبِ والأَنْصَارِ إِنَّ لَهُـمْ ... بِسَبْقِ نُصْرَتِهِ فَضْلاً عَلَـى الْعَمَـمِ[٢٩٢]

حَتَّى الْجَمَادُ فَمِنْ صَخْرٍ إِلَى شَـجَرٍ ... حَيًّا بِقَوْلٍ كَمَا لَـوْ نـاطِقٌ بِفَـمِ[٢٩٣]

= بالبراق – وأصبح كهيئة العجين وأصبح فيه كوة فربط بها البراق ، ومن قبل تكلم أبو نعيم في " دلائل النُّبوَّة " عن لين الصخر له ﷺ في أُحُد وقال : وكذلك في بعض شعاب مكة حجر مِن جبل إضم استروح في صلاته ﷺ فلان له الحجر حتى أثَّر فيه بذراعيه ، وهذا مشهور ، ويقصده الْحُجّاج ويَزورونه .. وهذه الروايات عن حُفّاظ ثقات موثوق في روايتهم .

٢٨٦ ، ٢٨٧– وقد تم تأييد كلام أبي نعيم في أن صخر بيت المقدس لان لِلرسول ﷺ لِيربط به البراق .

٢٨٨– وقد حدَث قبل ذلك أيام سيدنا إبراهيم عليه السلام ؛ حيث آثار قدمي سيدنا إبراهيم (إبرهم) على الأحجار التي كان يقف عليها لبناء بيت المقدس .

٢٨٩– فالوحش يألفه ، وقصة ذلك أنه كان في بيت النبي ﷺ وحش يحترمه ويوقره ويجلّه ، فإذا خرج رسول اللّه ﷺ لعب واشتد وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول اللّه ﷺ قد دخل ربض فلم يترمرم – أي سكن ولم يتحرك – ما دام رسول اللّه ﷺ في البيت .

٢٩٠– وقد كَمَّلَه اللّه وأَدَّبَه فأحسن تأديبه ، وقد جَمَّلَه اللّه بأجمل الشيم والأخلاق الفاضلة .

٢٩١ ، ٢٩٢– صلاةً وسلاماً عليك يا رسول اللّه .

٢٩٣– حتى الجماد والأشجار كانت تحيِّي الرسولَ ﷺ بـ" السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا رَسُولَ اللّه " ؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول اللّه ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خُضِّب بالدماء (أي ملأت الدماء رأسه) مِن ضرب بعض أهل مكة ، فقال له :" مَا لَكَ ؟ " قال ﴿ فَعَلَ بِي هَؤُلاَءِ وفعلوا ﴾ ، فقال له جبريل :" أَتُحِبُّ أَنْ =

لَبَّــتْ لِدَعْوَتِــهِ الأَشْــجَارُ طائعَــةً   جاءَتْ إِلَيْهِ بِــلاَ قَطْــعٍ ولاَ قَــدَمِ(٢٩٤)

فَكَيْفَ يَكْفُرُهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَـدُهُ ؟!   فَلَيْسَ يُنْكِرُ نُورَ الْحَقِّ غَيْرُ عَمِــي(٢٩٥)

مَنْ فِي السَّمَاءِ ومَنْ فِي الأَرْضِ عارِفُهُ   هَذَا الْحَبِيبُ رَسُولٌ خَيْــرُ مُخْتَــتِمِ(٢٩٦)

حاشَا الْعُصَاةِ فَقَدْ أَرْبَتْ خَسَــارَتُهُمْ   عَلَــى نُفُوسِــهِمُ فَقْــداً لأَهْلِهِــمِ(٢٩٧)

بشرى الشفاعة

أَهْلَ السَّــعَادَةِ ذَا نُــورٌ أَمَــامَكُمُ   لاَ تَحْزَنُوا أَبْشِرُوا بِــالْفَوْزِ بِــالنِّعَمِ(٢٩٨)

هُوَ الْبَشِيرُ وهَادِي النَّــاسِ كُلِّهِــمِ   إِلَى السَّعَادَةِ والإِنْصَافِ والْحِكَــمِ(٢٩٩)

مُحَمَّــدٌ رَحْمَــةٌ لِلَّــهِ قَــدَّمَهَا   لِلْعَــالَمِينَ تَعُــمُّ النَّــاسَ بِــالرُّحُمِ(٣٠٠)

بِهِ تَشَفَّعَ كُــلُّ الْخَلْــقِ أَجْمَعُهُــمْ   فِي الْهَوْلِ فِي مَوْقِفٍ لِلْحَشْرِ مُزْدَحِمِ(٣٠١)

وقَدْ تَــأَخَّرَ كُــلُّ الأَنْبِيَــاءِ فَلَــمْ   يُقْدِمْ سِوَاهُ إِلَى ذِي الْعَرْشِ والْحَكَمِ(٣٠٢)

= أُرِيكَ آيَة ؟ " فقال ﷺ ﴿نَعم﴾ ، فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال :" ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ " فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال :" مُرْهَا فَلْتَرْجِع " فأمرها فرجعت إلى مكانها ، فقال رسول اللّه ﷺ ﴿حَسْبِي﴾ أي يكفيني هذا .

[٢٩٤ إلى ٢٩٧]- لا ينكر الحقَّ إلا كل أعمى أعماه اللّه وأعمى بصيرته ؛ قال رسول اللّه ﷺ ﴿فَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ وَيَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ غَيْرَ عَاصِي الْجِنِّ وَالإِنْس﴾ .

٢٩٨- أهل السعادة هم المؤمنون باللّه ورسوله ﷺ ، وهم العاملون بكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ ، وهم الفائزون بنعيم الجنة .

٢٩٩- وهو ﷺ بَشَّر المؤمنين بالجنة والفوز بالشفاعة ، وهي السعادة الأبدية .

٣٠٠- وهو ﷺ الشفيع لِلمؤمنين يوم القيامة ؛ لِقوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِين﴾ .

٣٠١- لِلترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول اللّه ﷺ قال ﴿أَنَا حَبِيبُ اللّهِ وَلاَ فَخْرَ ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلاَ فَخر﴾ .

٣٠٢- ويتأخر جميع الأنبياء يوم القيامة ويتقدم سيدنا محمد ﷺ فيخرّ ساجداً لِلّه ﷻ ، فيقول له ﴿يَا مُحَمَّدُ .. ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّع﴾ فيقول ﴿يَا رَبِّ .. أُمَّتِي أُمَّتِي﴾ .. أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي والطبراني والحاكم .

فَهُوَ الْمُسَوَّدُ يَـوْمَ الـدِّينِ أَوَّلُهُـمْ وهُوَ الْمُبَشِّرُ فِي الإبْـلاَسِ والإزَمِ(٣٠٣)

قَسَمُه تعالى بعمره ﷺ

بِعُمْرِهِ أَقْسَـمَ الـرَّحْمَنُ مُحْتَفِيـاً هَذَا لَعَمْرُكَ مِنْ تَوْقِيرِ ذِي الْعِظَـمِ(٣٠٤)

فِي سُورَةِ الْحِجْرِ تَعْرِيـفٌ بِقِيمَتِـهِ وإنَّهُ قَسَـمٌ مِـنْ أَعْظَـمِ الْقَسَـمِ(٣٠٥)

وأَلْـزَمَ أَحْمَـدُ تَكْفِـيراً لِحَانِثِـهِ وحَسْبُكَ أَحْمَدُ فِي التَّقْوَى لِمُلْتَـزِمِ(٣٠٦)

مِن بديع دعوته ﷺ

دَعَا إِلَى اللَّـهِ والتَّوْحِيـدِ مُنْفَـرِداً فِي عالَمٍ مُفْعَـمٍ بالشَّـرِّ والصَّـنَمِ(٣٠٧)

إبْلِيسُ فِيـهِ إِلَـهٌ غَيْـرُ خـالِقِهِمْ يَخْشَوْنَ مِنْ ضُرِّهِ فِي الْحَرْبِ والسَّلَمِ(٣٠٨)

والْجَاهِلِيَّةُ قَـدْ عَمَّـتْ مَفَاسِـدُهَا والْكَوْنُ مُنْطَمِسُ الآفَـاقِ بِـالظُّلَمِ(٣٠٩)

لاَ يَعْدِلُونَ ولاَ يَخْشَـوْنَ خـالِقَهُمْ ولاَ يُرَاعُـونَ لِلْقُرْبَـى ولِلـرَّحِمِ(٣١٠)

ومُلْكُهُـمْ كُلُّـهُ ظُلْـمٌ دَعَائِمُـهُ عَلَى الْفَسَادِ وفِسْقٌ غَيْـرُ مُنْصَـرِمِ(٣١١)

٣٠٣- روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال ﴿أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

[٣٠٤ إلى ٣٠٦]- قال تعالى في سورة الحجر ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ، والاحتفاء من الحفاوة المبالغة في الإلطاف والإكرام والعناية ، وجاء في تفسير الشعراوي أن الحق سبحانه قد كرَّم سيدنا رسول اللَّه ﷺ بأنه حين ناداه لم يناده باسمه العلني " يا محمد " أو " يا أحمد " كما نادى كل رسله ، ولكنه لم يناد الرسولَ ﷺ إلا بقوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ أو ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ ، وفي هذا تكريم عظيم ، وهنا في هذه الآية نجد تكريماً آخَرَ : فسبحانه يقسم بحياة رسوله ﷺ ، ونعلم أن الحق يقسم بما شاء على ما شاء ؛ أقسم بالشمس وبمواقع النجوم وبالنجم إذا هوى ... لكنه أمرنا أن لا نقسم إلا به ؛ لأننا نجهل حقائق الأشياء مكتملةً ، وقد أقسم سبحانه بكل شيء في الوجود إلا أنه لم يقسم أبداً بأي إنسان إلا بمحمد ﷺ : فقال هنا ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أي بحياتك يا محمد ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ، وعن أحمد بن حنبل فيمن أقسم بالنبي ﷺ لزمته الكفارة لو حنث في يمينه .

أَيَنْحِتُونَ مِـنَ الأَحْجَـارِ آلِهَـةً؟! هَذَا لَعَمْرِيَ إِفْـكٌ فَـادِحُ الْـبَهَمِ(٣١٢)

أَيْنَ النُّهَى ؟! وضَلاَلُ الشِّرْكِ يَجْمَعُهُمْ وكُلُّهُمْ عَنْ صِرَاطِ اللّهِ جِدُّ عَمِـي(٣١٣)

فَيَكْفُرُونَ بِرَبِّ الْعَـرْشِ خـالِقِهِمْ نِعْمَ الإِلَهُ عَظِيمُ الْقَـدْرِ والْكَـرَمِ(٣١٤)

هُوَ الْغَنِيُّ عَـنِ الأَكْـوَانِ أَرْسَـلَهُ يُحَذِّرُ الْحَشْرَ ذَا الأَهْوَالِ والْقُحَـمِ(٣١٥)

يَدْعُو إِلَى اللّهِ والإِسْـلاَمِ مُهْتَـدِياً إِلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ ضَـامِنِ الـنِّعَمِ(٣١٦)

تَمَّـتْ مَكَارِمُـهُ بانَـتْ مَعَالِمُـهُ جَلَّتْ مَحَارِمُهُ عَنْ إِثْـمِ ذِي لَمَـمِ(٣١٧)

وحَرَّرَ النّاسَ مِـنْ كُفْـرٍ بِـرَبِّهِمِ وعَنْ عِبَـادَةِ مَخْلُـوقٍ ومُحْـتَكِمِ(٣١٨)

وجَاءَ أَحْمَـدُ بِالتَّوْحِيـدِ يَحْرُسُـهُ مِنْ كُلِّ زَيْغٍ وكُفْرٍ فَـادِحِ الْغُمَـمِ(٣١٩)

فاشْهَدْ شَـهَادَتَهُ تَـرْبَحْ شَـفَاعَتَهُ فَإِنَّ أُمَّتَـهُ الأَعْلَـى مِـنَ الأُمَـمِ(٣٢٠)

[٣٠٧ إلى ٣٢٠]- يقول الناظم أنه ﷺ جاء داعياً إلى عبادة اللّه في عالم مليء بالمساوئ والشر ، وسوف نُجْمِل ما كانت عليه العرب في شبه الجزيرة حينذاك ، وجاء ذلك في السيرة : كانت مكة على عهد البعثة تموج بحركة عاصفة من الشهوات والمآثم ، كفر باللّه واليوم الآخِر ، إقبال على نعيم الدنيا في التشبع منه ، رغبة عميقة في السيادة والعلو ونفاذ الكلمة ، عصبيات طائشة تسالم وتحارب من أجل ذلك ، تقاليد متوارثة توجه نشاط الفرد المادي والأدبي ، وفي حديث السيدة أم سلمة رضي الله عنها في قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي وقوله : أَيُّهَا الْمَلِكُ .. كُنَّا قَوْماً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللّهِ تَعَالَى لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ .

ومِنْ جملة العادات السيئة في الجاهلية :

١- القمار (الميسر) .

٢- شرب الخمر والاجتماع عليها والمباهاة بتعتيقها وغلاء ثمنها .

٣- وأد البنات : وهو أن يَدفن الرجل ابنته بعد ولادها حيّةً في التراب خوف العار .

٤- قتل الأولاد مطلقاً سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً ، وذلك عند وجود الفقر وحالة =

وأَطْلَقَ الرِّقَّ مِـــنْ رِبْــقٍ بِمَرْحَمَــةٍ ... وشَرَّعَ الْعِتْــقَ تَكْفِـيراً لِمُجْتَــرِمِ (٣٢١)

فالنّاسُ أَسْنَانُ مُشْطٍ فِـي سَوَاسِـيَةٍ ... دِمَاهُمُ تَتَكَافَـا كُفْــوَ ذِي لَحَــمِ (٣٢٢)

لاَ يَفْضُلُ الْعَرَبِــيُّ الْعُجْــمَ مَرْتَبَــةً ... إلاَّ بتَقْوَى الإلَهِ الْحَقِّ ذِي الْعِظَــمِ (٣٢٣)

لاَ يَسْبقُ الأَبْيَضُ السُّــودَانَ مَنْزِلَــةً ... ولاَ فَصِيحٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى عَجَمِــي (٣٢٤)

حُرِّيَّةٌ أَطْلَقَــتْ أَسْــرَى بشِــرْكِهِم ... يُسُوقُهُمْ لِلرَّدَى الْحُكَّــامُ كَــالنَّعَمِ (٣٢٥)

حُكْمٌ بسُخْرِيَةِ الطُّغْيَــانِ أَجْبَــرَهُمْ ... مَا فِيهِ مَعْدَلَةٌ حُكْــمٌ بِــلاَ رُحُــمِ (٣٢٦)

وعَلَّمَ النّاسَ شُورَى حِكْمَةٍ وَسَــطٍ ... فاحْكُمْ بِشُورَى فَأَنْتَ الْعَدْلُ واحْتَكِمِ (٣٢٧)

= مجاعة أو لمجرد توقع فقر شديد سيأتي .

٥- تبرج النساء بخروج المرأة كاشفةً عن محاسنها ومتغنجةً في مشيتها .

٦- اتخاذ الحرائر من النساء أخداناً من الرجال .

٧- إعلان الإماء عن البغي بهن .

٨- العصبية القَبلية .

٩- شن الغارات والحروب .

٣٢١ ، ٣٢٢- لقد تمت الرسالة وتمت معالم الدين الجديد وظهرت مزاياه ، ومنها تحريم الرق ، وكان منتشراً قبل البعثة ، فكان لكل واحد موالي يخدمونه ، بل هم عبيد له يتحكم فيهم كيفما شاء ، وكانوا يشترون هؤلاء العبيد ويكونون ملكاً لهم كأموالهم ونسائهم ، وجاء الإسلام ليحرِّم الرق ، وقد شرع الرسول ﷺ العتق من الرق ؛ وذلك تكفيراً عن أي ذنب أو لمن يريد الأجر الكبير من الله ﷻ .

٣٢٣ ، ٣٢٤- ﴿لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إلاَّ بالتَّقْوَى﴾ حديث شريف ، ﴿النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ﴾ حديث شريف .

٣٢٥- لقد كان الناس أسرى للشرك والبغي ، فحررهم الإسلام منهما وأصبحوا أحراراً كما قال عمر بن الخطاب ﷺ : مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ أَحْرَارا ؟!

٣٢٦ ، ٣٢٧- الإسلام دين وسطية بل هو دين العدل ؛ حيث يقول الله ﷻ في محكم آياته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ، أمّا الشورى فهي مبدأ أساسيّ من مبادئ الإسلام ، وكثيراً من المرات كان الرسول ﷺ يستشير أصحابه في كثير من المواقف والتي كانوا فيها على حق واتبع مشورهم ، وقد قال الله تعالى في محكم آياته ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ .

الشورى

رَى وكَانَتْ شُعُوبُ الأَرْضِ كـــالْغَنَمِ[٣٢٨] ونَافَسَتْ بَعْدَهُ الْحُكّامُ فِي شَرَفِ الشُّو
أَوْ فِي هَوىً حاكِمٍ كالسّائقِ الْحُطَمِ[٣٢٩] تُسَاقُ سَوْقاً إِلَى شَــرٍّ بِــلاَ هَــدَفٍ
رِعَايَةً بِشَدِيدِ الْحِــرْصِ والْحِكَـــمِ[٣٣٠] فَأَصْبَحَتْ بَعْدَهُ تَرْعَـــى مَصَــالِحَهَا
عَنْهُ مَــتِينٌ لَــهُ أُسٌّ مِــنَ الــدِّعَمِ[٣٣١] شُورَى الشَّرِيعَةِ قَصْدٌ غَيْرُ مُؤْتَفَــكٍ
خُصَّ الْيَتِيمُ ومَنْ بَلْــوَاهُ بِــاللُّطَمِ[٣٣٢] أَوْصَيْتَ بِالطِّفْلِ كَيْ تُرْعَى مَكَانَتُــهُ
ساوَى النَّبِيِّينَ فِيهَا كافِــلُ الْيَــتْمِ[٣٣٣] فَمَنْ رَعَاهُ لَهُ فِــي الأَجْــرِ مَرْتَبَــةٌ
إلاَّ جَحُودٌ مِنَ الْكُفْرَانِ فِي شَــجَمِ[٣٣٤] فَلِلْيَتِــيمِ حُقُــوقٌ لَــيْسَ يُنْكِرُهَـــا
مَا كانَ يَرْعَى لَهُنَّ النّاسُ مِنْ حُــرَمِ[٣٣٥] ولِلنِّسَاءِ حَفِظْــتَ الْحَــقَّ مَعْدَلَــةً
يَسْوَدُّ وَجْهاً كَمَوْتُورٍ مِنَ الْكَظَـــمِ[٣٣٦] يُبَشَّـــرُ بِـــالأُنْثَى إِذَا وُلِــدَتْ
يَا عارَ مَا وُئِدَتْ بُؤْسـاً لِمُجْتَــرِمِ[٣٣٧] مَوْءُودَةٌ سُئِلَتْ مَــا ذَنْبُهَــا قُتِلَــتْ
وَحْشِيَّةُ الْوَحْشِ خَيْرٌ مِنْهُ فِي التُّهَمِ[٣٣٨] مَا الْوَحْشُ يَفْعَلُهُ جُرْمٌ بِــلاَ سَــبَبٍ
مُقَسِّمُ الرِّزْقِ ذُو الإجْلاَلِ والْكَــرَمِ[٣٣٩] فَصَانَهَا الْحَقُّ مِــنْ وَأْدٍ ويَكْفُلُهَـــا

[٣٢٨ إلى ٣٣١]- إن مبدأ الشورى الذي جاء به الإسلام أصبح بعد ذلك مبدأً تأخذ به المدنية الحديثة وما يسمى الآن بـ" الديموقراطية " وهي حكم الشعب بالشعب .

٣٣٢ ، ٣٣٣- يكفي رعاية الطفولة حديث الرسول ﷺ ﴿أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا﴾ وأشار بأصبعيه ، إنه يحث القادرين على رعاية الأطفال اليتامى .

٣٣٤- كانت النساء في الجاهلية ليست لهن أي قيمة ، وكانت فقط لِلمتعة ، وأخذ الزواج منهنّ أشكالاً باطلةً وسيئةً ، وجاء الإسلام لِينظم الزواج والطلاق وليرعى مصالح النساء ، بل جعل لِلمرأة حقوقاً ما كانت لها قبل ذلك ، وجعل لها ذمّةً ماليّةً مستقلّةً ، ويكفي حديث الرسول ﷺ ﴿خُذُوا نِصْفَ دِينِكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُمَيْرَاء﴾ يقصد بها السيدة عائشة رضي الله عنها ، والحميراء معناه : التي وجهها أبيض مُشْرَب بحمرة .

[٣٣٥ إلى ٣٣٩]- كان أهل قريش قبل الإسلام إذا خافوا مجاعةً أو لِمجرد توقع فقر شديد – وذلك بانقطاع المطر – قاموا بقتل أبنائهم سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً ، فجاء القرآن الكريم فذكر توبيخ فاعله يوم القيامة ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ ، =

أَصَــارَ خَيْــرَهُمُ خَيْــراً لِحُرْمَتِــهِ والأُسْوَةُ الْحَقُّ أَعْلَى رُتْبَةَ الْحُــرَمِ (٣٤٠)

بالْحَقِّ أَوْصَى وبــالتَّقْوَى ومَعْدَلَــةٍ بالْجَارِ أَوْصَى فَإِنَّ الْجَارَ كَــالرَّحِمِ (٣٤١)

هَذِي شَــرِيعَةُ حَــقٍّ جِــدُّ نَيِّــرَةٍ مِثْلُ النَّهَارِ وفِيهَــا كُــلُّ مُعْتَصِــمِ (٣٤٢)

التنزيه لِلّه تعالى

مَنْ حادَ عَنْهَا فَضَــلِيلٌ وذُو سَــفَهٍ قَدْ زاغَ عَنْ شِرْعَةِ الإنْصَافِ والْقِيَمِ (٣٤٣)

مَا نَزَّهَ اللَّهَ مِثْلُ الْمُصْــطَفَى أَحَــدٌ أَثْنَى الثَّنَاءَ عَلَيْــهِ فــائِقَ الْعِظَــمِ (٣٤٤)

وعَرَّفَ اللَّــهَ تَعْرِيفــاً بِــلاَ شَــبَهٍ لَهُ الْكَمَالُ كَمَــالاً غَيْــرَ مُنْصَــرِمِ (٣٤٥)

جاءَتْ شَــرِيعَتُهُ سَــمْحَاءَ صــافِيَةً قَدْ نَزَّهَتْ رَبَّنَا تَنْزِيــهَ ذِي حِكَــمِ (٣٤٦)

لَهُ الْكَمَالُ عَلَى الإِطْلاَقِ مُوجِــدُنَا تَبَارَكَ اللَّهُ ذُو الإحْسَانِ والــرُّحُمِ (٣٤٧)

ولاَ شَرِيكَ لَهُ فِي الْمُلْــكِ نَحْمَــدُهُ مُنَزَّهُ الذّاتِ عَنْ شَبَهٍ وعَــنْ صَــنَمِ (٣٤٨)

سُبْحَانَهُ خــالِقٌ بــاقٍ بِــلاَ أَمَــدٍ وأَوَّلٌ آخِــرٌ ذُو الْعِــزِّ والْقِــدَمِ (٣٤٩)

وظَــاهِرٌ بــاطِنٌ والْكُــلُّ قَبْضَــتُهُ وكُلُّ شَيْءٍ لَهُ فِــي قَــدْرٍ مُنْــتَظِمِ (٣٥٠)

وخَالِقُ الْكَوْنِ والأَدْهَــارِ أَجْمَعِهَــا مُحْيِي عِظَامِ الْوَرَى مِنْ رَقْدَةِ الرِّمَمِ (٣٥١)

ومَالِكُ الْمُلْكِ والــدُّنْيَا بأَكْمَلِهَــا سُبْحَانَهُ مِــنْ إلَــهٍ فــائِقِ الْعِظَــمِ (٣٥٢)

اللَّهُ أَكْبَرُ عِنْ مِثْــلٍ وعَــنْ شَــبَهٍ اللَّهُ أَكْبَرُ فَــوْقَ الْعَقْــلِ والْفَهَــمِ (٣٥٣)

حَبِيبُهُ الْمُصْــطَفَى لِلْكَــوْنِ عَرَّفَــهُ تَعْرِيفَ حَقٍّ خَلاَ عَنْ شُبْهَةِ الْخَصِمِ (٣٥٤)

يَا مالِكَ الْمُلْكِ أَنْتَ اللَّــهُ خالِقُنَــا يَا حَيُّ يَا واحِدٌ يَا باعِــثَ الأُمَــمِ (٣٥٥)

= وقد حَرَّم اللّه هذه العادة السيئة – وهي قتل الأبناء – فقال ﷻ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ ، والإملاق شدة الفقر .

[٣٤٠ إلى ٣٤٣]- كان ﷺ أولى الناس لأهله ولزوجاته ، ويكفينا الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ قَالَ ﴿تَدْرُونَ مَا هَذِهِ﴾ فَقَالُوا :" اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ﴾ .. رضي اللّه عنهن أجمعين .

يَا مُبْدِعَ الرُّوحِ والأَمْــلاَكِ كُلِّهِـــمِ يَا مُنْشِئَ الْخَلْقِ مِنْ لاَشٍ ومِنْ عَدَمِ(٣٥٦)

بُورِكْتَ يَا واسِعَ الْغُفْرَانِ يَا صَـــمَدٌ وجَلَّ وَصْفُكَ عَنْ لَوْحٍ وعَنْ قَلَـــمِ(٣٥٧)

لَمْ نُحْصِ يَا رَبَّنَا حَقّاً عَلَيْـــكَ ثَنــاً فَأَنْتَ فَوْقَ الَّذِي نُثْنِي مِنَ الْكَلِـــمِ(٣٥٨)

وذِكْرُ ذاتِكَ قُوتُ الـــرُّوحِ صـــافِيَةً يَا ذاكِرِينَ أَلاَ هَيَّـــا إِلَـــى الْخِـــدَمِ(٣٥٩)

فالرُّوحُ إِنْ غَفَلَتْ عَنْ رَبِّهَا وَحَلَـــتْ فِي مَسْلَكٍ شائهٍ فِي الْحَقِّ لَمْ يَقُـــمِ(٣٦٠)

[٣٤٤ إلى ٣٦٠]– قال اللّه تعالى في محكم آياته ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، إنه ﷻ الأول فليس قبله شيء ، والآخِر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء (حديث شريف) ، ثم ابتهالات لِلّه سبحانه ؛ فهو مالك الملك والدنيا بأكملها ، وهو العظيم فليس شيء أعظم منه ، وإنه لا شبه له ولا مثل ، وحبيبه هو سيدنا محمد ﷺ أفاض عليه من علمه في الحياة الدنيا وفي معراجه إلى السماوات العلى ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصمد هو السيد الذي قد كمل سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالِم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو اللّه سبحانه ، وهذه صفة لا تنبغي إلا له ، إنه اللّه ﷻ لا يساويه أحد ولا يماثله ولا يشاركه في شيء من صفاته .

اللغة : أسناه : أرفعه – غير منعدم : غير منقطع – الرحم : الرحمة – الأمد : الغاية – القدم : القديم فليس قبله شيء – الدهر : الزمان – الأملاك : جمع قياس لِلملائكة – شائه : قبيح .

إنه سبحانه المنزه عن كل وصف ، لا يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به ضمير أو يقضي به تفكير ، إنه سبحانه المهيمن القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ، إنه سبحانه يسمع حمد الحامدين فيجازيهم ودعاءَ الداعين فيستجيب لهم ، إنه سبحانه الحاكم الذي لا رادَّ لِقضائه ولا معقِّبَ لِحُكْمِه ، مِن حكمه الذي لا مبدل له قوله ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ ، إنه سبحانه كريم ، إذا أعطى زاد على منتهى الرجا ، ولا يبالي كم أعطى ولِمن أعطى ، ولا يضيع مَن لاذ به والتجأ إليه ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء ، إنه اللّه ﷻ .

جهاده ﷺ في سبيل الله تعالى

جاهَدْتَ شَرّاً وبَأْسُ اللَّـهِ يَدْفَعُـهُ لَكَ الْمَلائكُ جُنْدٌ فِي الْوَغَى الْحَدَمِ(٣٦١)

قابَلْتَ بالسَّـيْفِ أَسْـيَافاً مُجَـرَّدَةً ومَا اعْتَدَيْتَ ومَا آذَيْـتَ مِـنْ أَرِمِ(٣٦٢)

دافَعْتَهُمْ لِتَكُفَّ الْبَأْسَ مِـنْ خَصِـمِ يَصُمُّ أُذْنَيْهِ عَنْ حَقٍّ كَـذِي صَـمَمِ(٣٦٣)

ويَعْتَدِي باضْطِغَانٍ لَـيْسَ يَحْجُـزُهُ عَنْ شَرِّهِ الْعَقْلُ أَوْ قُرْبَى مِنَ الرَّحِمِ(٣٦٤)

وكُنْتَ أَوْفَى وأَعْلَـى فِـي مُنَازَلَـةٍ ومَا بَطَشْتَ كَجَبّارِينَ فِـي الـنِّقَمِ(٣٦٥)

نَهَيْتَ عَنْ مُثْلَةٍ قَـدْ بـادَءُوكَ بهَـا ونَالَ صَفْحَكَ عَنْهُ كُـلُّ مُجْتَـرِمِ(٣٦٦)

صَلَّى عَلَيْكَ إلَهِي كُلَّمَـا سَـجَدَتْ جِبَاهُ أَهْلِ التُّقَى لِلَّهِ فِـي الْحَـرَمِ(٣٦٧)

أَزْكَى السَّلاَمِ عَلَيْـهِ كُـلَّ آونَـةٍ بعَـاطِرٍ أَرِجِ الأَرْوَاحِ والنَّسَـمِ(٣٦٨)

[٣٦١ إلى ٣٦٨]- جهاده ﷺ في سبيل الله تعالى : أرم : أحد – الخصم : الشديد الخصومة – الصمم : لا يسمع مثله – الأرج : الريح الطيب .

الشرح : لقد جاهدتَ يا رسول الله – عليك صلاة الله وسلامه – هؤلاء المشركين جهاداً عظيماً ، وكانت الملائكة معك تدافع عنك وتقاتل في جانبك ..

لقد كان جهاد الرسول ﷺ له عدة مراحل :

المرحلة الأولى : هي الإغراء حينما حسب أهل قريش أن رسول الله ﷺ يمكن أن تغريه الدنيا ، فقالوا له :" إن كنتَ جئتَ بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنتَ تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنتَ تريد ملكاً ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئياً [الرئي هو الجن] تراه قد غلب عليك بذلنا من أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه " ، وحينما عرض عليه عمه هذا العرض الدنيوي قال له ﴿يَا عَمِّ .. وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ مَا تَرَكْتُه﴾ .

المرحلة الثانية : تعذيب أتباعه ، وكان هناك شهداء لهذا التعذيب ، وأولهم آل ياسر ، وحينما رآهم ﷺ يعذّبون قال لهم ﴿ صِبْراً آلَ يَاسِرٍ ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّة﴾ ، وقصص التعذيب معروفة في كتب السيرة ، ثم إيذاء الرسول ﷺ ومحاولة قتله .

ثم المرحلة الثالثة : وهي مرحلة المقاطعة : أن تقاطع قريش بني هاشم ؛ علّهم يسلمون لهم رسول الله ﷺ .

=

زيارة في شدة وابتهال لِلمتعال

وتوسل بالرؤوف بالمؤمنين الحبيب ﷺ

قَدْ زُرْتُهُ وأَنَــا فِــي ضِــيقِ مَنْزِلَــةٍ ... فَفَرَّجَ الْكَرْبَ مِنْ بَأْسٍ ومِنْ وَصَــمِ (٣٦٩)

قَدْ كُنْتُ فِي حَرَضٍ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ ... والْقَلْبُ فِي مَضَضٍ مِنْ وَطْأَةِ السَّقَمِ (٣٧٠)

فَأَخْرَجَ الدّاءَ مِــنْ قَلْبِــي بِلَمْسَــتِهِ ... فَصَيَّرَ الْقَلْبَ فِي بَسْطٍ وفِــي نِعَــمِ (٣٧١)

وحَرُّ قَلْبِــي قَــدْ زالَــتْ حَزَازَتُــهُ ... وأَسْعَدَ الْقَلْبَ مِنْ ذِي غِلْظَةٍ هَكِــمِ (٣٧٢)

سَلاَ غَرَاماً غَزَا فِــي غَفْلَــةٍ وصِـباً ... والْعِشْقُ آفَةُ ذِي جَهْلٍ وذِي لَمَــمِ (٣٧٣)

بِهِ اسْتَجَرْتُ مِنَ الضَّــرّاءِ مُلْتَمِســاً ... مَا خابَ ظَنِّيَ فِيــهِ خَيْــرُ مُلْتَــزَمِ (٣٧٤)

وجَاءَ بِالْيُسْرِ داعِي اللّهِ فِــي كَــرَمِ ... فَأَنْقَذَ النّاسَ مِــنْ شَــرٍّ ومِــنْ إزَمِ (٣٧٥)

يَا رَبِّ أَنْجَدْتَنَا بِالْمُصْــطَفَى كَرَمــاً ... فِي الْحَادِثَاتِ بِلُطْفٍ مِنْكَ ذَا الْكَرَمِ (٣٧٦)

فاجْعَلْهُ غَوْثاً لَنَا فِــي كُــلِّ نازِلَــةٍ ... فَإِنَّهُ خَيْــرُ مَبْعُــوثٍ إِلَــى الأُمَــمِ (٣٧٧)

أَكْرِمْ بِوَجْهٍ نَضِــيرٍ زانَــهُ شَــرَفٌ ... أَحْبِبْ بِــهِ وبِــآلِ اللّــهِ كُلِّهِــمِ (٣٧٨)

= والمرحلة الرابعة : هي محاولة قتل رسول اللّه ﷺ ..

حاولت أم جميل – زوج أبي لهب – قتل الرسول ﷺ ، وكان معها حجر لِتلقِي به فوق الرسول ﷺ ، وكان الرسول ﷺ يجلس بجوار أبي بكر ﷺ عند الكعبة ، ونظرَت فلم تَرَ رسول اللّه ﷺ ، فسألت أبا بكر :" أين صاحبك ؟ " فسكت وانصرفَت .

وحاول أبو جهل قتله ﷺ وهو يسجد في الكعبة ، ولكن الحجر سقط من بين يديه فانصرف وقد ملأه الرعب ، ولمّا سألوه قال :" رأيتُ وحشاً غريباً كاد يفتك بي " ، وسئل رسول اللّه ﷺ عن هذا فقال ﴿ هَذَا جِبْرِيلُ ، وَلَوْ تَقَدَّمَ أَبُو جَهْلٍ خَطْوَةً لَهَلَكَ ﴾ .

وحينما انتصر الدين وقام الرسول ﷺ ومن معه بفتح مكة ، وقد قرأ ﷺ من سورة الحجرات ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ، ثم قال لهم ﷺ ﴿ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .. مَا تَرَوْنَ أَنِّي فاعِلٌ بِكُم ﴾ قالوا :" خير ؛ أخ كريم وابن أخ كريم " قال ﴿ فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ : لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ .. اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء ﴾ .. قمة العفو والصفح والرحمة .

[٣٦٩ إلى ٣٧٨]– زيارة في شدة وابتهال : الوصم : المرض – الحرض : الذي أذابه =

فِي لَيْـــلِ مَوْلِـــدِهِ هَلَّـــتْ بَشَـــائِرُهُ وفُوجِئَتْ زُمَرُ الشَّـــيْطَانِ بِـــالرُّجُمِ[٣٧٩]
وارْتَجَّ إيوَانُ كِسْرَى فَهْوَ مُنْصَـــدِعٌ وأُسْقِطَتْ شُرُفَاتٌ مِنْهُ مِـــنْ هَـــدَمِ[٣٨٠]
غاضَتْ بُحَيْرَةُ ساوَةَ وهْـــيَ مُتْرَعَـــةٌ والْمُوبَذَانُ رَأى الإنْذَارَ فِي الْحُلُـــمِ[٣٨١]
خَيْلاً عِرَاباً تَقُـــودُ الإبْـــلَ مُصْـــعَبَةً غَزَتْ بِلادَهُمُ فِي السَّهْلِ والْعَلَـــمِ[٣٨٢]
ونَارُ فارِسَ باخَـــتْ وهْـــيَ مُوقَـــدَةٌ تَضَرَّمَتْ أَلْفَ عـــامٍ أَيَّمَـــا ضَـــرَمِ[٣٨٣]
سَـــطِيحُ عَبَّرَهَـــا فُقْـــدَانُ مُلْكِهِـــمُ رَبُّ التِّلاَوَةِ يَمْحُو شَـــرَّ كُفْـــرِهِمِ[٣٨٤]

= الحزن والمشرف على الهلاك – مضض : المصيبة – الوطأة : الضغط – الحزازة : وجع القلب من غيظ ونحوه – هَكِم : شرير – اللمم : الذنوب الصغيرة المتقاربة – الأزمة : الشدة – النازلة : الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس – النضرة : الحسن والرونق .

يقول الناظم : إنه كان في شدة وفي مرض شديدين ، فقام بالزيارة إلى بيت اللّه الحرام وزيارة الرسول ﷺ فمَنّ اللّه عليه بالشفاء وذهاب همه وغمه ، بل لقد كان – وهو الرجل المتزوج – قد غزا قلبه حب شديد وعشق لِلحبيب لم يذهب عنه إلا بذهابه إلى الأراضي المقدسة واستجار باللّه وهو فيها ملتمساً منه الشفاءَ مِن مرض العشق هذا ، وكان كرم اللّه كبيراً حيث شفاه جسديّاً ونفسيّاً من هذا العشق ، وهو يدعو اللّه ﷺ وببركة سيدنا محمد ﷺ أن ينجده دائماً من وعثاء الطريق ومهالك الدنيا .

[٣٧٩ إلى ٣٨٤]– المولد المبارك وآيات إرهاصات النُّبُوَّة ..

تقول بنت الشاطئ : الليلة من بدئها كانت مقمرةً ، ينيرها قمر أوشك أن يكتمل بدراً تؤنسها أطياف ورؤى لِلوالدة طوال حملها فتعينها على تجربة المخاض ، ويبزغ نور الفجر وقد وضعته كما تضع كل والدة من البشر ، وفاض عالمها بالنور والأنس والغبطة وهي ترنو إلى وليدها الغالي وتذكر به أباه الحبيب الذي أودعها إياه ثم ودعها ورحل ..

انتهى كلام بنت الشاطئ .

وروى ابن الأثير عن هانئ المخزومي قال : لَمّا كانت ليلة وُلِد رسول اللّه ﷺ ارتج إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرفةً ، وغاضت بحيرة ساوة [أي جفت ولم يبق بها ماء] ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، ورأى الموبذان رؤيا – وهو أحد حكام الفرس – رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد =

زالَ الْمَجُوسُ مِنَ الدُّنْيَا بِدَعْوَتِهِ زَوَالُ سُلْطَانِهِمْ بِالْحَقِّ والْخُذُمِ[٣٨٥]
فالنّارَ قَدْ عَبَدُوا لِلرِّجْسِ قَدْ سَجَدُوا إبْلِيسُ قائِدُهُمْ لِلشَّرِّ والظُّلَمِ[٣٨٦]
أَرْحامَهُمْ وَطَأُوا يَا بِئْسَ مَا صَنَعُوا قَدِ اسْتَحَلُّوا جَمِيعَ الْكُفْرِ والْحُرَمِ[٣٨٧]
أَزَالَ طَهَ بِسَيْفِ اللّهِ دَوْلَتَهُمْ فَإِنَّهُ الْمَاحِي لِلأَوْثَانِ والصَّنَمِ[٣٨٨]
بَرْوَيْزُ مَزَّقَ مِنْ بَغْيٍ رِسَالَتَهُ فَمَزَّقَ اللَّهُ مُلْكاً غَيْرَ ذِي رُحُمِ[٣٨٩]
يَدْعُوهُ لِلْحَقِّ والتَّوْحِيدِ مَرْحَمَةً والْكَافِرُ الْفَظُّ كالطّاغُوتِ ذِي وَغَمِ[٣٩٠]
بِدَعْوَةٍ مِنْهُ أَفْنَى اللّهُ مُلْكَهُمُ يَا وَيْلَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَيْرِ مُنْعَدِمِ[٣٩١]
وشِيرَوَيْهُ سَعَى فِي قَتْلِ والِدِهِ لَمَّا طَغَى وبَغَى بَغْياً كَذِي يَهَمِ[٣٩٢]
أَظَنَّ أنَّ جُنُودَ الْفُرْسِ قادِرَةٌ عَلَى التَّصَدِّي لأَهْلِ الْحَقِّ والْعِصَمِ ؟![٣٩٣]
وطَهَّرَ الأَرْضَ مِنْ رِجْسٍ وشَيْطَنَةٍ ومُلْكُ إبْلِيسَ هارٍ جَوْفَ ذِي ضَرَمِ[٣٩٤]
إذْ قَطْعُ دابِرِهِمْ فَضْلٌ ومَعْدَلَةٌ إذْ وَجْهُ مُلْكِهِمِ فِي اللَّوْنِ كالْحُمَمِ[٣٩٥]
فَتَمَّ مَا بَشَّرَ الْهَادِي بِوَقْعَتِهِ فالْحَمْدُ لِلّهِ ذِي الإكْرَامِ والنِّعَمِ[٣٩٦]

= فارس ، وقد ارتاع كسرى لِسقوط الشرفات ، كما ارتاع الموبذان لِرؤياه ، فاستدعى كسرى أحدَ الكهان – واسمه عبد المسيح – فلم يستطع تأويل ذلك إلا بالرجوع إلى خاله سطيح ، فأخبره سطيح بأن ذلك إشارة إلى مولود وُلِد هو نبيّ الأمة المرتقب ، وسيكتسح دينُه دينَ الفرس ويملك المسلمون أرضهم بعد هلاك أربعة عشر ملكاً من الفرس بعدد الشرفات التي سقطت ، وقد تم ذلك فعلاً ، وسطيح هذا هو ربيع بن ربيعة ابن مسعود الغساني .

وحينما بعث ملك اليمن إلى سطيح لِيفسر له ما رآه في منامه – حيث رأى رؤيا هالته وفزع منها – فقال له :" رأيتُ حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهامة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة " ، وتأويل الرؤيا ما يهمنا فيها هو ما كان مِن ذكر لِنبينا ﷺ : قال :" يقطعه نبيّ زكيّ يأتيه الوحي مِن قِبَل العلي " قال :" وممن هذا النبي ؟ " قال : رجل مِن ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر .

وهكذا كانت كل النبوءات تبشر برسولنا الكريم ﷺ .

صَلَّى عَلَيْــهِ إلَهِــي كُــلَّ آوِنَــةٍ مَدى رِضَاهُ وعَدَّ الــذَّرِّ والْكَلِــمِ (٣٩٧)
بِكُلِّ لَــوْنٍ ونَــوْعٍ مِــنْ فَوَاضِــلِهِ لَهَا انْسِجَامٌ بِمَدِّ الْغَيْــثِ والــدِّيَمِ (٣٩٨)
لَهَا أَرِيجٌ كَنَفْحِ الْمِسْــكِ شَــامِلَةٌ لِلْعَــالَمِينَ بِعِطْــرٍ فــائحٍ عَمَــمِ (٣٩٩)

ساعة المولد الشريف

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ سَــرْمَداً ومَــدَى خُلْدِ الْخُلُودِ بِقَدْرِ الْحُبِّ والْعِظَــمِ (٤٠٠)
قَدْ هَلَّ مَوْلِدُهُ فِي الْفَجْــرِ ســاطِعَةً أَنْوَارُهُ وبُزُوغَ الْفَجْرِ مِــنْ غَسَــمِ (٤٠١)
إرْهَــاصُ بَيِّنَــةٍ حَلَّــتْ بِمَرْحَمَــةٍ إفْنَاءُ مَمْلَكَةِ الأَرْجَــاسِ والْعَجَــمِ (٤٠٢)

[٣٨٥ إلى ٣٩٩]- زوال دولة الفرس المجوس : فقد كتب الرسول ﷺ كتاباً إلى كسرى برويز – ملك الفرس – وفيه ﴿أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ﴾ ، واختار لِحَمْل هذا الكتاب عبد اللّه بن حذافة السهمي ، فدفعه السهمي إلى عظيم البحرين ، فلَمّا قرأ الكتاب على كسرى مزقه وقال في غطرسة :" عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي ؟! " ، ولَمّا بلغ ذلك رسول اللّه ﷺ قال ﴿مَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَه﴾ ، وقد كان كما قال ، وقد كتب كسرى إلى عامله في اليمن باذان أن يبعث رجلين من عنده لإحضار رسول اللّه ﷺ له ، فقابلا رسول اللّه ﷺ وقالا له :" إنّ ملك الملوك كسرى يريدك أن تذهب إليه " فقال لهما رسول اللّه ﷺ أن يلاقياه غداً ، وفي ذلك الوقت قامت ثورة كبيرة من جنود كسرى بعد هزيمتهم أمام قيصر ، فقام شيرويه ابن كسرى على أبيه فقتله وأخذ الملك لِنفسه ، وعلم رسول اللّه ﷺ الخبر من الوحي ، فلَمّا غدوا عليه أخبرهما بذلك ، فقالا له :" هل تدري ما تقول ؟! أنكتب هذا عنك ونخبره الملك ؟ " قال ﴿نَعَمْ أَخْبِرَاهُ ذَلِكَ عَنِّي ، وَقُولاَ لَهُ : إِنَّ دِينِي وَسُلْطَانِي سَيَبْلُغُ مَا بَلَغَ كِسْرَى ، وَقُولاَ لَهُ : إِنْ أَسْلَمْتَ أَعْطَيْتُكَ مَا تَحْتَ يَدِكَ وَمَلَّكْتُكَ عَلَى قَوْمِكَ مِنَ الأَبْنَاءِ﴾ ، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر ، وبعد قليل جاء كتاب من شيرويه :" انظر الرجل الذي كان كتب أبي إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمري " ، وكان ذلك سبباً في إسلام باذان ومن معه من أهل فارس باليمن .

اللغة : الخذم : سريع القطع – أرحامهم وطأوا : قتلوا الأرحام – رحم : من الرحمة – الوغم : الحقد الثابت في القلب – اليهم : الجنون – هارٍ جوف : أي متصدع ولم يسقط – الحمم : الفحم – الديم : المطر يدوم في سكون – أريج : توهج ريح الطيب .

فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ ثَـانِيَ عَشْـرِ أَوَّلِـهِ رَبِيعِهِ مَوْلِـدُ الْمَبْعُـوثِ مُخْتَـتَمِ[٤٠٣]

نُورٌ أَضَاءَ مَعَ الْهَـادِي أُنِـيرَ بِـهِ قُصُورُ بُصْرَى عَلَى بُعْدٍ مِنَ الـتَّخَمِ[٤٠٤]

هَذَا سِـرَاجٌ مُـنِيرٌ عَـمَّ بَـاهِرُهُ كُلَّ الْعَوَالِمِ بِالإِشْرَاقِ فِـي الظُّلَـمِ[٤٠٥]

فَالْكُلُّ مُقْتَبِسٌ مِـنْ نُـورِهِ فَضِـيَا ءَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ وَالأَكْوَانِ وَالنُّجُمِ[٤٠٦]

مَا كَانَ إِلاَّ مِنَ الـرَّحْمَنِ مَرْحَمَـةً ذُو رَأْفَةٍ بِجَمِيعِ الْخَلْـقِ وَالنَّسَـمِ[٤٠٧]

[٤٠٠ إلى ٤٠٧]– ساعة المولد الشريف : كما قلنا قبل ذلك أن ولادته ﷺ كانت فجراً ، وكانت مكة حين تلقت بشرى المولد تحتفل بنجاتها من أصحاب الفيل الذين أرادوا بها شرّاً أو كيداً فجعل اللّه تعالى كيدهم في تضليل ، غير مستبعَد أن يربط المكيون بين الذبيحين – عبد اللّه بن عبد المطلب وإسماعيل بن إبراهيم – وأن يحتفلوا بعرس عبد اللّه من آمنة بنت وهب القرشية الزهرية ، فيتوقع له ذوو الحس المرهف منهم أمراً جللاً كالذي كان لجده الأعلى إسماعيل بعد الفداء ..

في ليالي العرس رأت آمنة كأن شعاعاً من النور يشع من كيانها اللطيف فيضيء الدنيا حولها ، وسمعت هاتفاً يبشرها بأنها حملت بسيد البشر ..

قال شوقي في همزيته :

وُلِـدَ الْهُـدَى فَالْكَائِنَـاتُ ضِـيَاءُ وَفَـمُ الزَّمَـانِ تَبَسُّـمٌ وَثَنَـاءُ

الـرُّوحُ وَالْمَـلأُ الْمَلاَئِـكُ حَوْلَـهُ لِلـدِّينِ وَالـدُّنْيَا بِـهِ بُشَـرَاءُ

وروى الحلبي في سيرته أن أمه ﷺ قالت : " رَأَيْتُ ثَلاَثَةَ أَعْلاَمٍ مَضْرُوبَاتٍ : عَلَماً بِالْمَشْرِقِ ، وَعَلَماً بِالْمَغْرِبِ ، وَعَلَماً عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ " أي عند ولادته ﷺ ، وكان مِن عادتهم أن المولود إذا وُلِد ليلاً كفأوا فوقه جفنةً حتى يصبح الصباح ، ففعلوا ذلك مع النبي ﷺ فلَمّا أصبحوا وجدوا الجفنة قد انفلقت فلقتين وعيناه إلى السماء ، فتعجبوا من ذلك .

فالثابت من خلال الأحاديث الصحيحة أن أم النبي ﷺ رأت نوراً يخرج منها أضاء قصورَ الشام وذلك عند ولادته ؛ قال رسول اللّه ﷺ ﴿ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ ﴾ .

وقد وُلِد ﷺ مختوناً مسروراً [أي مقطوع السرة] ، ووُلِد ﷺ في عام الفيل ، وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول ، وفيه عُرِج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات ﷺ .

دعاء لأمة الإسلام

يَـا رَبِّ أُمَّتُـهُ حَـازَتْ شَـفَاعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فاحْفَظْهَا مِـنَ الـنِّقَمِ(٤٠٨)

عَلَيْهَا وَلِّ ذَوِي الإِصْلاَحِ تَشْـمَلُهُمْ مِنَ الْهُدَى نَفَحَاتُ الْحَقِّ والْحِكَـمِ(٤٠٩)

واحْفَظْهَا يَا رَبَّنَا مِنْ كُـلِّ طاغِيَـةٍ وانْصُرْهَا يَا رَبَّنَا فِي كُلِّ مُصْـطَدَمِ(٤١٠)

قِهَا الأَعَـادِيَ أَوْ أَخْطَـاءَ قادَتِهَـا وحَاكِماً غاشِماً كالسَّائِقِ الْحُطَـمِ(٤١١)

مِنَ التَّنَازُعِ صُـنْهَا يَـا مُهَـيْمِنُ لاَ تُضِعْ لِهَيْبَتِهَا فِـي مَجْمَـعِ الأُمَـمِ(٤١٢)

ورُدَّ عِزَّتَهَـا يَـا رَبِّ فائِقَـةً واحْفَظْ حِمَاهَا مِنَ الأَعْدَاءِ والْغُمَمِ(٤١٣)

وَهَبْتَ حِبَّـكَ مُلْكـاً فَلْتَصُـنْهُ ولاَ تَسْلُبْهُ واقْمَعْ لأَعْـدَاءٍ ذَوِي هِمَـمِ(٤١٤)

مكارم أخلاقه ﷺ

إنَّ الْمَكَـارِمَ قَـدْ تَمَّـتْ بِنَايَتُهَـا بِبَعْثَةِ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ فِي الْقِـدَمِ(٤١٥)

[٤٠٨ إلى ٤١٤]- هذه أدعية من الناظم يدعو اللّه ﷻ الذي مَنّ على أمة محمد ﷺ بشفاعته يوم القيامة أن يحفظ هذه الأمة – أمة الإسلام – من النقم [المساوئ والمصائب] ، وأن يولي عليها مَن يُصلح شأنها ، وأن يهدي اللّه ﷻ هؤلاء القادة المصلحين إلى الهدى ، وأن يهديهم إلى الحق ويلهمهم الحكمة ، وأن يحفظ اللّه ﷻ أمة الإسلام من كل طاغية [أي حاكم ظالم] ، وأن ينصرها في كل معاركها الحضارية والفكرية والدنيوية ، وأن يقيها من الأعداء ، وأن يقيها من الأخطاء التي تقع فيها القيادات ، وأن يصونها من حاكم جاهل غاشم مثل السائق الظالم .

ولأن الناظم يرى حال المسلمين الآن من التنازع والتناحر والتفرقة ؛ الأمر الذي أوهن عزيمتهم وفتّ في عضدهم وقوّتهم ، لذا فإنه يدعو اللّه أن يلمّ شملهم وأن لا يضيع هيبة المسلمين بين الأمم .

يا رب .. نسألك باسمك الأعظم أن تردّ عزة المسلمين ، واحفظ حماها من الأعداء ، وسهل لها الأمور الشاقة والصعبة ، وقد وهبتَ حِبَّك يا ربنا لأمة الإسلام ، فيا رب صنها من الأعداء ولا تسلبها حبك لها ..

يا رب اهزم الأعداء الحاقدين .

أَخْلاَقُهُ حِكَـمُ الْقُـرْآنِ أَجْمَعُهَـا ... بِهِ الْمَكَارِمُ قَدْ تَمَّتْ عَلَـى الْقِمَـمِ[٤١٦]

ولَـمْ تَـتِمَّ لِخَلْـقٍ قَبْـلَ بَعْثَتِـهِ ... أَنْعِمْ بِهِ مِنْ رَسُولٍ بِالْهُـدَى تَمَـمِ[٤١٧]

فَهْوَ الْكَمَالُ لَـهُ الإِكْمَـالُ أَرْفَعُـهُ ... مَا مِثْلُهُ خُلُقٌ فِي النَّـاسِ والْقِـيَمِ[٤١٨]

فاللُّطْفُ دَيْدَنُـهُ والْحِلْـمُ مَعْدِنُـهُ ... والصَّفْحُ باطِنُهُ أَعْظِمْ بِذِي الشِّـيَمِ[٤١٩]

إنَّ الْمَحَاسِنَ بِالْمُخْتَارِ قَدْ كَمُلَـتْ ... صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهِـي مُوجِـدُ الْعَـدَمِ[٤٢٠]

وهُوَ الْعَزِيـزُ عَلَيْـهِ أَيُّمَـا عَنَـتٍ ... يُصِيبُ أُمَّتَهُ لَوْ كَـانَ مِـنْ أَمَـمِ[٤٢١]

حِرْصاً عَلَى كُلِّ فَرْدٍ فِي جَمَاعَتِهَـا ... أَحْنَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَانِي عَلَى الْفَطَمِ[٤٢٢]

[٤١٥ إلى ٤٢٢] مكارم أخلاقه ﷺ : كان رسول اللّه ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول ، كان رسول اللّه ﷺ قبل مبعثه يلقب بـ" الصادق الأمين " ؛ وذلك لِصدقه وأمانته ، كان الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة والصبر على المكاره صفات أدَّبه اللّه بها ، ولم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً ، وعلى إسراف الجاهلين إلا حلماً .

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :" مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً ، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا " ، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً .

كان من صفاته ﷺ الجود والكرم ، كان يعطي عطاءَ مَن لا يخاف فقراً ، لقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة .

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يُجْهَل ، كان أشجع الناس ، حضر المواقف الصعبة ، قال عليّ رضي الله عنه : كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ واحْمَرَّتِ الْحَدَقُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْه .

وكان أشد الناس حياءً وإغضاءً ، كان أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وإذا كره شيئاً عُرِف في وجهه ، خافض الطرف ، لا يشافه أحداً بما يكره حياءً وكرم نفس .

وكان أعدل الناس وأعفّهم وأصدقهم لهجةً وأعظمهم أمانةً ، وكان يسمى قبل نُبُوَّته بـ" الأمين " ، ويُتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام .

وكان أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن الكبر ، يَمنع من القيام له كما يقومون لِلملوك ، وكان يعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس في أصحابه كأحدهم ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ =

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ كُلَّمَا سَعِدَتْ بِهِ النُّفُوسُ ونَجّاهَا مِنَ الْقُحَمِ (٤٢٣)

أَسْبِغْ عَلَى أُمَّةِ الإِسْلاَمِ صالِحَةً مِنَ الْمَزَايَا بِكُلِّ الْخَيْرِ والنِّعَمِ (٤٢٤)

ومُنَّ بالْعَفْوِ يَا مَوْلاَيَ أَوْسَعِهِ عَمَّا جَنَيْتُ وتَقْصِيرِي ومُجْتَرَمِي (٤٢٥)

بجَاهِ مَنْ صُغْتَهُ لِلنّاسِ مَرْحَمَةً وكَانَ أَوْفَى عِبَادِ اللّهِ بالذِّمَمِ (٤٢٦)

بجَاهِ واسِطَةٍ لِلنّاسِ قاطِبَةً وقُلْتَ سَلْ تُعْطَ واشْفَعْ خَيْرَ مُخْتَتَمِ (٤٢٧)

لِرَأْسِكَ ارْفَعْ أَيَا مُخْتَارُ أَنْتَ لَنَا نِعْمَ الْحَبِيبُ شَفِيعٌ سَيِّدُ الأُمَمِ (٤٢٨)

لَكَ الْكَرَامَةُ عَبْدَ اللّهِ واسِعَةً لأَنَّ رَبَّكَ رَبُّ الْعَرْشِ ذُو الْكَرَمِ (٤٢٩)

= بيَدِهِ كمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ ، كَانَ يَحْلُبُ شَاتَهُ وَيَخْدُمُ نَفْسَه .

كان ﷺ أوفى الناس بالعهود وأوصلهم لِلرحم وأعظمهم شفقةً ورأفةً ورحمةً بالناس ، وأحسن الناس عشرةً وأدباً ، وأبسط الناس خُلُقاً ، وأبعد الناس مِن سوء الأخلاق ، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعّاناً ولا صخّاباً في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، وكان لا يدع أحداً يمشي خلفه ، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس ، ويخدم مَن خدمه ، ولم يقل لخادمه " أفّ " قط ، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه ، وكان يحب المساكين ويجالسهم ولا يحقر فقيراً لِفقره .

والخلاصة : أن اللّه أدَّبه فأحسن تأديبه فقال مثنياً عليه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

٤٢٣- إن الناظم يدعو اللّه ﷻ أن يصلي على سيدنا محمد ﷺ .

٤٢٤- وأن يرزق أمة الإسلام بصالح الأعمال ، وأن يرزقها بالخير والنعم الكثيرة .

٤٢٥- ثم يدعو لِنفسه أن يعفو اللّه عنه فيما جنى من الذنوب أو تقصيره فيما أمر به اللّه .

اللغة : القحم : الأمور الشاقة – مجترمي : بما أجرمت .

٤٢٦- إنه يتوسل برسول اللّه ﷺ الذي أرسله اللّه سبحانه رحمةً لِلعالَمين ؛ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وكان رسول اللّه ﷺ وافي الذمة والأمانة .

٤٢٧- بجاه سيدنا محمد يا اللّه والذي قُلْتَ له ﴿ سَلْ تُعْط ﴾ ، وفي الصحيح المتفق عليه عن أنس ﷺ حديث ﴿ إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ ، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجداً ، فَيُقَال :(يَا مُحَمَّدُ .. ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّع) فَأَقُولُ : أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي ﴾ .

٤٢٨- وفي الحديث المتفق عليه ﴿ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَة ﴾ ، والناس أمم وشعوب شتى .

٤٢٩- لقد مَنّ اللّه على نَبِيِّه بالشفاعة يوم القيامة ، وهذا من واسع كرم اللّه ﷻ .

فامْنُنْ إلَهِي بِجَاهِ الْمُصْطَفَى كَرَمــاً وارْحَمْ عُبَيْدَكَ أَنْتَ اللَّهُ ذُو الرُّحُمِ(٤٣٠)

توسل وابتهال

يَا طَيِّبَ النَّشْرِ نَمَّ الْعَرْفُ عَنْكَ فَمَــا مَشَيْتَ إلاَّ ودَامَ الطِّيــبُ بِــاللَّقَمِ(٤٣١)

مِنْكَ اقْتِبَاسُ الشَّذَى فِي طِيبِ رائحَةٍ عَرْفُ الْجِنَانِ أَرِيجٌ مِنْكَ ذُو نَسَــمِ(٤٣٢)

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ لِــي أَمَــلٌ وأَنْتَ أَهْلٌ لِكُلِّ الْخَيْــرِ والْعِصَــمِ(٤٣٣)

مَا قُلْتَ لاَ أَبَــداً لِلسَّــائِلِينَ فَقَــدْ أَعْطَيْتَ إعْطَاءَ مَنْ لَمْ يَخْشَ مِنْ عَدَمِ(٤٣٤)

٤٣٠- إنه يتوسل بجاه سيدنا محمد ﷺ أن يرحم اللّه عبيده يوم القيامة ، وهو الرحمن الرحيم ؛ قال الحكيم الترمذي : الرحمن بالإنقاذ من النيران ، والرحيم بإدخال الجنان .

ويقول عليّ بن أبي طالب ﷺ في قوله تعالى ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أنه شفاء من كل داء وعون على كل دواء ، وأمّا الرحمن فهو عون لِكل مَن آمن ، وهو اسم لم يُسَمّ به غيره ، وأمّا الرحيم فهو لِمن تاب وآمن وعمل صالحاً .

و" الرحمن " أشد مبالغةً من " الرحيم " ؛ لِعمومها في الدارين لِجميع خَلْقِه ؛ قال تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ، أمّا الرحيم فهو خاص بالمؤمنين ؛ لِقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ .

[٤٣١ إلى ٤٣٤] اللغة : النشر : الرائحة الطيبة – الشذا : حدة ذكاء الرائحة – الأريج : توهج ريح الطيب – الجنان : الجنات – النسيم : الريح حين تقبل بلين – العصمة : المنع والحفظ .

والمعنى : ذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر ﷺ أنه لم يكن النبي ﷺ يمرّ في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه مِن طيبه ﷺ ، وذكر إسحاق أن تلك كانت رائحته ﷺ ، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ، وكان ﷺ يضع يده على رأس الصبي فيُعرَف مِن بين الصبيان بطيب الرائحة .

وفي الشمائل لِلترمذي من حديث أنس ﷺ قال : وَلاَ شَمَمْتُ مِسْكاً قَطُّ وَلاَ عِطْراً كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

أمّا من ناحية جوده وكرمه ﷺ : ففي الشمائل لِلترمذي من حديث جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما قال : وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إلاَ بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ .

وفي السيرة أنه ﷺ أعطى صفوان بن أمية ﷺ غنماً ملأت وادياً بين جبلين ، فقال : أَرَى مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لاَ يَخْشَى الْفَقْرَ .. أَشْهَدُ أَنَّهُ لَمْ يَجُدْ بِهَذَا قَطُّ إلاَّ نَبِيّ .

أَعْطَاكَ رَبُّكَ مَا لَـمْ يُعْطِـهِ أَحَـداً مَفَاتِحُ الْخَيْرِ فِي يُمْنَـاكَ والْقِسَـمِ[٤٣٥]

خَزَائِنُ الأَرْضِ أَعْطَاهَـا مُهَيْمِنُهَـا لِحِبِّهِ الْمُصْطَفَى الْمَبْعُـوثِ لِلأُمَـمِ[٤٣٦]

فِي سَوْفَ يُعْطِيكَ بُشْرَى لاَ كَفِيءَ لَهَا إلاَّ رِضَاكَ بِمَا تَهْوَى مِـنَ الـنِّعَمِ[٤٣٧]

---

٤٣٥ ، ٤٣٦- اللغة :

القسم : النصيب – الكفيء : النظير

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ﴿بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي﴾ .

٤٣٧- في سورة الضحى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ .

هذا بتوفيق الله ﷻ ، وهذه القصيدة ينقص منها ٢٣ بيتاً ، فمن يجدها له مكافأة عظيمة بإذن الله .

جمال نصر بكر

قصيدة نهج البردة

لأمير الشعراء أحمد بك شوقي

(١٨٧٣ - ١٩٣٣)

* التعريف بالشاعر :

بحثتُ في جميع المجلدات التي بحوزتي – وهي كثيرة – والتي تضم شعر أحمد بك شوقي – وأكبرها الموسوعة الشوقية – فلم أجد أجمل ولا أوقع ولا أشمل من مقدمة الأستاذ محمد سعيد العريان – الكاتب المعروف – في التعريف بالشاعر ؛ فقد كتب – في مقدمته لِلجزء الرابع من الشوقيات – يقول :

كان شوقي رحمه الله شاعراً ملء سمع الشرق ، ما يلفظ مِن قول إلا لقفته الآلاف عن الآلاف من أبناء الأمة العربية تنشده وتتغنى به وتضربه مثلاً ، وما أحسب شاعراً في الأمة العربية منذ كانت وكان الشعر قد ذهب صيته في الناس حيّاً مذهبَ شوقي ولا بلغ مبلغه ، وقد كان حقيقا بما بلغ ، لا مِن أنه شاعر العربية الأول ، ولا مِن أن الأمة العربية قد عقمت فلم تنجب مثله في تاريخها المتطاول ؛ ولكنه جاء على فترة انقطع فيها أمل الآمل في نهضة الشعر العربي بعد ما ناله من الانحطاط والركة وضيق المذهب وسوء التناول ، وكأنما كان البارودي من قبله إرهاصاً له ودعوةً إليه وتنبيهاً إلى فضله ومكانته ، وقد كان البارودي – بما اجتمع له من أدوات الشعر وما هُيأ له من أسبابه العامة والخاصة – أول مَن بعث الحياة في هذا الجسد الهامد ونضح فيه مِن قوَّته وخلع عليه من شبابه ، فكان تصديراً بليغاً لِهذا الفضل الجديد من تاريخ الشعر العربي ، فلَمّا خلا مكانه تلفَّت الناس ينظرون على حذر وخشية يريدون أن يسمعوا نغماً صافياً كهذا الذي عوَّدهم البارودي أن يسمعوه من إنشاده وتطريبه ، وما منهم إلا مَن ظن أن الشعر بعده منتكس بعلّته ، وأن الرجل الذي كان يمدّه بأسباب الحياة والقوة قد ذهب فلا سبيلَ إليه بعد ولا أمل .. في هذه الفترة ظهر شوقي .

على أن ذلك ليس هو كل السبب في ذهاب صيت شوقي وامتداد شهرته

التي تأمَّر بها على شعراء الجيل وحَلّ في الصدر مِن ناديهم ؛ فقد انتدب والشرق على أبواب نهضة قد تهيأت له أسبابها واكتملت وسائلها ، وإن آمالاً قويّةً لَتجيش في نفوس أهله وتصطرع في خواطرهم ؛ فإنهم ليحسّون أثرها فيما تنفعل به عواطفهم ولا يحسنون لها تعبيراً ولا بياناً ، فاختار شوقي أن يكون لسانَ هذه الأمة فيما تحب وتكره وفيما تأمل وتحذر وفيما تنفعل به عواطفها من ذكريات وحوادث ، وكان لسانَ صدق في التعبير عن كل أولئك في بيان ساحر ولفظ رصين ، فلم تلبث الأمة العربية أن رأت فيها شاعرها فألقت إليه مقاليد الإمارة وبايعته عن رضا .

وقد بعث شوقي – وما زال – صدى ألحانه يتردد عذباً مطرباً ، وما زال مكانه من ديوان العربية خالياً لم يتأهل بعد شاعر من شعراء الجيل أن يقتعد ذروته .

بلى في مصر وفي سائر بلاد العربية شعراء ، وإن منهم لَمَن بلغ فنه ما لم يبلغ شوقي ، ولكنهم فيما اختاروا لأنفسهم من مذاهب الشعر لم يبلغ واحد منهم أن يكون من الأمة ما كان لها شوقي لسانها المعبر عن كل ما يلمّ بها من الأحداث وما يهمس في ضميرها من الأماني .

أمِن عجز أم مِن قوة كان شوقي شاعرَ الأمة وكان هؤلاء شعراء أنفسهم ؟

سؤال لست أجد اليوم جوابه ، وإن العربية اليوم لَتدخل في تاريخ جديد ، فلعلّ هذا التاريخ أن يجيب في غد عن هذا التساؤل حين يرسم لِلشاعر مهمته ويحدد مكانه مِن نفسه ومِن أمته ، وأيّاً ما كان الجواب فلن يضيع حق هذا الشاعر الذي خط هذه الصفحات الأولى من التاريخ فحفظ لِلشعر العربي شبابه وخطا به إلى القوة والمجد والخلود .

وبعد كلمة الأستاذ محمد سعيد العريان هذه في تقديمه لِديوان شوقي سأبحث في هذه القصيدة العظيمة عن أبيات الحكمة ، وهي كثيرة ، والحكمة ضالة المؤمن ، فإن وجدها استأثر بها سواء في شعر أو في نثر أو في أقوال الحكماء أو حتى في الأمثلة التي تسير على ألسنة العامة والخاصة ..

وأمير الشعراء يبدأ الحكمة في القصيدة منذ بدايتها ؛ ففي البيت السادس يقول :

يَا لائمِي فِي هَــوَاهُ والْهَــوَى قَــدَرٌ (لَوْ شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْزِلْ ولَمْ تَلُمِ)

أي أنك يا مَن تلومني في حب رسول الله ﷺ لو أحببتَ حُبّاً أنحل جسمك وأهزلك مثلي فلن تلومني ولن تعزلني .

وفي البيت السابع :

لَقَــدْ أَنَلْتُــكَ أُذْنــاً غَيْــرَ واعِيَــةٍ (ورُبَّ مُنْتَصِتٍ والْقَلْبُ فِي صَــمَمِ)

وفعلاً فقد يجالسك شخص ويسمع لك ولكنه لا يفقه مما تقول كلمةً واحدةً .

وفي بيت آخَر في شطره الثاني يقول (ورُبَّ فَضْلٍ عَلَى الْعُشّاقِ لِلْحُلُمِ) ؛ إن العشاق قد يجدون في أحلامهم ما لم يجدوه في واقع حياقم خاصّةً مع مَن يحب .

ثم يستمر في إتحافنا بالحكمة فيقول :

(يَا نَفْسُ دُنْيَاكِ تُخْفِي كُــلَّ مُبْكِيَــةٍ وإِنْ بَدَا لَكِ مِنْهَا حُسْــنُ مُبْتَسَــمِ)

نعم هي الدنيا التي تخفي أحياناً في ثنايا الشر خيراً كثيراً وبالعكس .

ويستمر شوقي في سرد الحكمة ، فلا نقرأ بعض أبيات إلا ونجد فيها الحكمة ظاهرةً جليّةً ، مثل (الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحَمِ) نعم ؛ فالموت في النهاية هو الموت سواء بالسم أو بالفحم .

وفي القصيدة أبيات سارت حكمةً تُضرب بها الأمثلة ، مثل :

(صَلَاحُ أَمْــرِكَ لِلأَخْــلاَقِ مَرْجِعُــهُ فَقَوِّمِ الــنَّفْسَ بِــالأَخْلاَقِ تَسْــتَقِمِ)

(والنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عافِيَــةٍ والنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِــمِ)

ثم يدخل في سرد السيرة النبوية الشريفة فيسكت عن الحكمة في أبيات القصيدة ، اللهم إلا بعض الأبيات القليلة ، مثل :

(والشَّرُّ إِنْ تَلْقَهُ بِالْخَيْرِ ضِــقْتَ بِــهِ ذَرْعاً وإِنْ تَلْقَــهُ بِالشَّــرِّ يَنْحَسِــمِ)

وأيضاً :

(لَوْلاَ مَوَاهِبُ فِي بَعْضِ الأَنَــامِ لَمَــا تَفَاوَتَ النّاسُ فِي الأَقْــدَارِ والْقِــيَمِ)

نعم ؛ فإن أقدار الناس تُقدَّر بما لديهم من مواهب وتميز .

وفي الشطر الثاني من البيت ١٥٣ يقول (وحَائطُ الْبَغْيِ إنْ تَلْمَسْهُ يَنْهَدِمِ) ..

نعم دولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة .

وهكذا هو أمير الشعراء .

وسوف نجمل حكمه في " سلوا قلبي " بدون تعليق ..

- وكُلُّ بِسَاطِ عَيْشٍ سَوْفَ يُطْوَى وإنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وطَابَا

- ولاَ يُنْبِيكَ عَنْ خُلُقِ اللَّيَالِي كَمَنْ فَقَدَ الأَحِبَّةَ والصَّحَابَا

- ولَمْ أَرَ مِثْلَ جَمْعِ الْمَالِ داءً ولاَ مِثْلَ الْبَخِيلِ بِهِ مُصَابَا

- فَلَوْ طالَعْتَ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي وَجَدْتَ الْفَقْرَ أَقْرَبَهَا انْتِيَابَا

- وأَنَّ الْبِرَّ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ وأَبْقَى بَعْدَ صَاحِبِهِ ثَوَابَا

- وأَنَّ الشَّرَّ يَصْدَعُ فاعِلِيهِ ولَمْ أَرَ خَيِّراً بالشَّرِّ آبَا

- فَرُبَّ صَغِيرِ قَوْمٍ عَلَّمُوهُ سَمَا وحَمَى الْمُسَوَّمَةَ الْعِرَابَا

وكَانَ لقَوْمِهِ نَفْعاً وفَخْراً ولَوْ تَرَكُوهُ كَانَ أَذىً وعَابَا

- ولاَ تُرْهِقْ شَبَابَ الْحَيِّ يَأْساً فَإِنَّ الْيَأْسَ يَخْتَرِمُ الشَّبَابَا

وهكذا يستمر أمير الشعراء في وضع كل حكمة في مكانها الصحيح .

وقد يقول قائل : إن شوقي كتب في الخمر وفي المراقص وفي الغزل ..

ولكنها هي عادة الشعراء ، أو قل : هي طبيعتهم ؛ أنهم يقولون ما لا يفعلون ، فليس من المعقول أن يكون مؤلف هذه القصائد الكبيرة العظيمة مثل (كبار الحوادث في وادي النيل) وغيرها من القصائد التي تزيد أبياتها على المئات ، وحقاً كما جاء في محكم التتريل (القرآن الكريم) في سورة الشعراء ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ .

رحم اللّه شوقي أمير الشعراء ، لقد كان الحكمة تمشي على الأرض ، ولتنظر إلى كتاب " أسواق الذهب " ، وهو كتاب مفعَم بالحكمة الناجحة الساطعة ..

وإنه لَمِن الإنصاف أن نردّ على حقد الحاقدين وحسد الحاسدين على أمير

الشعراء ، وذلك بتسجيل بعض أقواله في كتابه الجميل " أسواق الذهب " ، وهي تحت عنوان " خواطر " ، نورد بعضها :

- مَن بغى بسلاح الحق بُغِي عليه بسلاح الباطل .
- إذَا بالَغ الناس استعاروا لِلهِرّ شوارب النمر .
- هلكت أمة تحيا بفرد وتموت بفرد .
- تغطي الشهرة على العيوب كالشمس غطى نورها على نارها .
- الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الأمم .
- المتحيز لا يميز .
- عاش العالِم فمات ، ونفق الجاهل كالسائمات .
- ولد البخيل مرحوم ، وولد المبذر محروم .
- الثقيل جبل إذا تلطف سقط .
- ربما تقتضيك الشجاعة أن تجبن ساعة .
- الغني مع الفقير في كبد ؛ إذا منعه حسد ، وإذا أعطاه حقد .
- النصح ثقيل ، فلا تجعله جدلاً ولا ترسله جبلاً .
- رُبّ قارض لِلأعراض وعِرضه بين شِقّي المقراض .
- مَن أثرى أو ساد فلا يُعَدَّنّ الْحُسَاد .
- يهدم الصدر الضيق ما يبني العقل الواسع .
- يستأذن الموت على العاقل ، ويدفع البابَ على الغافل .
- تَحمل المليحة ثكل الجمال كما يَحمل البخيل ثكل المال .
- العلماء أشباه إلا مَن زاد في العلم حرفاً .
- يا أخا العزلة .. أنت لو طرتَ عن الناس ما وقعتَ إلا عليهم .
- تهرم القلوب كما تهرم الأبدان إلا قلوب الشعراء والشجعان .
- أبى اللّه أن تتساوى عبادة إلا في النوم والموت .
- الحكمة مصباح يهديك حتى في وضح الصباح .

هذه بعض نماذج من أقوال أحمد شوقي في الحكمة .

نهج البردة

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ والْعَلَمِ ... أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ[١]

رَمَى الْقَضَاءُ بعَيْنَيْ جُؤْذَرٍ أَسَداً ... يَا ساكِنَ الْقَاعِ أَدْرِكْ ساكِنَ الأَجَمِ[٢]

لَمَّا رَنَا حَدَّثَتْنِي النَّفْسُ قَائِلَةً ... يَا وَيْحَ جَنْبِكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي[٣]

جَحَدْتُهَا وكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَبِدِي ... جُرْحُ الأَحِبَّةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمِ[٤]

رُزِقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النّاسِ مِنْ خُلُقٍ ... إِذَا رُزِقْتَ الْتِمَاسَ الْعُذْرِ فِي الشِّيَمِ[٥]

يَا لائِمِي فِي هَوَاهُ والْهَوَى قَدَرٌ ... لَوْ شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْذِلْ ولَمْ تَلُمِ[٦]

لَقَدْ أَنَلْتُكَ أُذْناً غَيْرَ واعِيَةٍ ... ورُبَّ مُنْتَصِتٍ والْقَلبُ فِي صَمَمِ[٧]

يَا ناعِسَ الطَّرْفِ لاَ ذُقْتَ الْهَوَى أَبَداً ... أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى فَنَمِ[٨]

أَفْدِيكَ إِلْفاً ولاَ آلُو الْخَيَالَ فِدىً ... أَغْرَاكَ بِالْبُخْلِ مَنْ أَغْرَاهُ بِالْكَرَمِ[٩]

سَرَى فَصَادَفَ جُرْحاً دامِياً فَأَسَا ... وَرُبَّ فَضلٍ عَلَى الْعُشّاقِ لِلْحُلُمِ[١٠]

١- الريم : الظبي الخالص البياض – القاع : الأرض السهلة المنبسطة – البان : نوع من الأشجار طويل القامة – العلم : الجبل .

٢- الجؤذر : ولد البقرة الوحشية – الأجم : جمع " أجمة " ، وهو الشجر الكثيف الملتف – الأسد : يقصد به نفسه .

٣- رنا : أدام النظر مع سكون الطرف (العين) – ويح : استنجاد لِمن وقع في مكروه أو شدة .

٤- الجحود : الإنكار مع العلم .

٥- الشيم : جمع " شيمة " ، وهي الْخُلُق والطبيعة .

٦- شفك الوجد : أهزلك وأنحل جسمك .

٧- لقد أنلتك : أعطيتك – غير واعية : غير مستمعة لك .

٨- الناعس : الوسنان – الطرف : العين – المضنى : شديد المرض .

٩- أغراه : زينه له وحرضه عليه .

١٠- سرى : مشى ليلاً – أساه : داواه .

مَن الْمَوائِسُ باناً بالرُّبى وقَناً اللاّعِبَاتُ برُوحِي السّافِحَاتُ دَمِي[١١]

السّافِرَاتُ كَأَمْثَالِ الْبُدُورِ ضُحىً يُغِرْنَ شَمْسَ الضُّحَى بالْحَلْيِ والْعِصَمِ[١٢]

الْقَاتِلاَتُ بأَجْفَانٍ بهَا سَقَمٌ ولِلْمَنيَّةِ أَسْبَابٌ مِنَ السَّقَمِ[١٣]

الْعَاثِرَاتُ بأَلْبَابِ الرِّجَالِ ومَا أُقِلْنَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّلِّ فِي الرَّسَمِ[١٤]

الْمُضْرِمَاتُ خُدُوداً أَسْفَرَتْ وجَلَتْ عَنْ فِتْنَةٍ تُسْلِمُ الأَكْبَادَ لِلضَّرَمِ[١٥]

الْحَامِلاَتُ لِوَاءَ الْحُسْنِ مُخْتَلِفاً أَشْكَالُهُ وهْوَ فَرْدٌ غَيْرُ مُنْقَسِمِ[١٦]

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ أَوْ سَمْرَاءَ زُيِّنَتَا لِلْعَيْنِ والْحُسْنُ فِي الآرَامِ كالْعُصُمِ[١٧]

يُرَعْنَ لِلْبَصَرِ السّامِي ومِنْ عَجَبٍ إذَا أَشَرْنَ أَسَرْنَ اللَّيْثَ بالْعَنَمِ[١٨]

وَضَعْتُ خَدِّي وقَسَّمْتُ الْفُؤَادَ رُبىً يَرْتَعْنَ فِي كُنُسٍ مِنْهُ وفِي أَكَمِ[١٩]

١١- الموائس : جمع " مائسة " ، وهي المتبخترة المعجبة بنفسها - البان : نوع من الشجر طويل القامة لين الأغصان ، وواحدها " بانة " - القنا : جمع " قناة " ، وهي الرمح - سفح الدم : سفكه وأساله .

١٢- السافرات : الكاشفات لِوجوههن - الحلي : ما تزين به المرأة نفسها من المعادن - العصم : القلائد ، وهي جمع " عصمة " .

١٣- أجفان : يقصد العيون - سقم : كأنها مريضة .

١٤- العثرة : السقطة - أقاله من عثرته : ساعده وأنهضه منها - الدل : المشي بليونة وجمال - الرسم : حسن المشي .

١٥- المضرمات خدوداً : ذوات الخدود الحمراء الجميلة - جلت : كشفت - الضرم : اشتعال النار بكبد الرجال .

١٦- اللواء : الْعَلَم - لواء الحسن : نهاية الحسن فيه - فرد : ليس له شبيه .

١٧- الآرام : الناس - العصم : جمع " عصمة " ، وهي بيضاء الذراعين .

١٨- يرعن : يخفن - لِلبصر السامي : النظر بإعجاب - الليث : الأسد - العنم : الشجر لين الأغصان .

١٩- وضعت خدي : خضعت لهن واستسلمت - ربى : المكان العالي - كنس : مستقر الظباء بين الشجر - أكم : جمع " أكمة " ، وهو المكان العالي عما حوله .

يَا بِنْتَ ذِي اللِّبَدِ الْمَحْمِيِّ جانِبُهُ ... أَلْقَاكِ فِي الْغَابِ أَمْ أَلْقَاكِ فِي الأُطُمِ[٢٠]

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ حَتَّى عَنَّ مَسْكَنُهُ ... أَنَّ الْمُنَى والْمَنَايَا مَضْرِبُ الْخِيَمِ[٢١]

مَنْ أَنْبَتَ الْغُصْنَ مِنْ صَمْصَامَةٍ ذَكَرٍ ... وأَخْرَجَ الرِّيمَ مِنْ ضِرْغَامَةٍ قَرِمِ[٢٢]

بَيْنِي وبَيْنُكِ مِنْ سُمْرِ الْقَنَا حُجُبٌ ... ومِثْلُهَا عِفَّةٌ عُذْرِيَّةُ الْعِصَمِ[٢٣]

لَمْ أَغْشَ مَغْنَاكِ إلاَّ فِي غُضُونِ كِرىً ... مَغْنَاكِ أَبْعَدُ لِلْمُشْتَاقِ مِنْ إرَمِ[٢٤]

يَا نَفْسُ دُنْيَاكِ تُخْفِي كُلَّ مُبْكِيَةٍ ... وإنْ بَدَا لَكِ مِنْها حُسْنُ مُبْتَسَمِ[٢٥]

فُضِّي بِتَقْوَاكِ فاهاً كُلَّمَا ضَحِكَتْ ... كَمَا يُفَضُّ أَذَى الرَّقْشَاءِ بالثَّرَمِ[٢٦]

مَخْطُوبَةٌ مُنْذُ كانَ النّاسُ خاطِبَةٌ ... مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ لَمْ تُرْمِلِ ولَمْ تَئِمِ[٢٧]

٢٠- اللبد : الشعر المتراكم بين كتفي الأسد – المحمي جانبه : الذي لا يمكن التعدي عليه – الغاب : الشجر الكثيف – الأطم : القصر .

٢١- عَنّ : ظهر وبان – المنايا : جمع " منيَّة " ، وهي الموت – المنى : جمع " أمنية " ، ويقصد محبوبته ، أي أن المحبوبة وأباها موجودان بمضرب الخيام أي مكان الخيم .

٢٢- الصمصامة : السيف – الضرغامة : الأسد – قرم : شديد الشهوة إلى اللحم ، والغصن هنا يقصد به حبيبته ، والصمصامة والضرغامة يقصد أباها ، يعجب بقوله : كيف يكون بهذا الرجل – الذي يشبه الأسد في سطوته وقوّته وبأسه – مثل هذه المحبوبة الجميلة التي تشبه الغزال في رقتها ورشاقتها ؟! – الريم : المعشوقة .

٢٣- من سمر القنا حجب : أي لا يستطيع الوصول إليها – عفة عذرية العصم : نسبة إلى قبيلة بني عذرة التي اشتهر شبابها بالعشق ، والعفاف في العصم : المنع .

٢٤- غشى المكان : جاء إليه – مغناك : منزلك – الكرى : النوم – إرم : هي إرم ذات العماد ، أي أن المجيء إلى منزلك فقط في حالة النوم ؛ لأن منزلك بعيد عني برغم قربه .

٢٥- المبتسم : من الابتسام ، أي أنه قد يبدو الابتسام على الوجه والقلبُ في حزن شديد .

٢٦- الرقشاء : الحيّات المتلونة أبيض وأسود – أذى الرقشاء : سم الحية – الثرم : كسر سن الحية السامة .. أيتها النفس لا تغرنك هذه الدنيا ولو ابتسمت لك .

٢٧- أرملت المرأة : إذا مات عنها زوجها – تئم : أي التي لا زَوْجَ لها .

يَفْنَى الزَّمَانُ ويَبْقَى مِنْ إسَاءَتِهَا ... جُرْحٌ بآدَمَ يَبْكِي مِنْهُ فِي الأَدَمِ[٢٨]

لاَ تَحْفِلِي بِجَنَاهَا أَوْ جِنَايَتِهَا ... الْمَوْتُ بالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بالْفَحَمِ[٢٩]

كَمْ نائِمٍ لاَ يَرَاهَا وهْيَ ساهِرَةٌ ... لَوْلاَ الأَمَانِيُّ والأَحْلاَمُ لَمْ يَنَمِ[٣٠]

طَوْراً تَمُدُّكَ فِي نُعْمَى وعَافِيَةٍ ... وتَارَةً فِي قَرَارِ الْبُؤْسِ والْوَصَمِ[٣١]

كَمْ ضَلَّلَتْكَ ومَنْ تُحْجَبْ بَصِيرَتُهُ ... إنْ يَلْقَ صاباً يَرِدْ أَوْ عَلْقَماً يَسُمِ[٣٢]

يَا وَيْلَتَاهُ لِنَفْسِي راعَهَا ودَهَا ... مُسْوَدَّةُ الصُّحْفِ فِي مُبْيَضَّةِ اللَّمَمِ[٣٣]

رَكَضْتُهَا فِي مَرِيعِ الْمَعْصِيَاتِ ومَا ... أَخَذْتُ مِنْ حِمْيَةِ الطَّاعَاتِ لِلتُّخَمِ[٣٤]

هامَتْ عَلَى أَثَرِ اللَّذَّاتِ تَطْلُبُهَا ... والنَّفْسُ إنْ يَدْعُهَا داعِي الصِّبَا تَهِمِ[٣٥]

صَلاَحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلاَقِ مَرْجِعُهُ ... فَقَوِّمِ النَّفْسَ بالأَخْلاَقِ تَسْتَقِمِ[٣٦]

والنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عافِيَةٍ ... والنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ[٣٧]

٢٨- الأدم : الجلد ، يقول مع أن حال الدنيا وحال الناس ما ذكرت إلا أن إساءتها لا تُنْسَى أبداً مثلما لا ينسى آدم ما فعلته به الحية .

٢٩- لا تحفلي بجناها : أي حسنها - جنايتها : إساءتها - الزهر : السم .

٣٠- كم نائم : أي كم مغترّ بالدنيا غافل عن مصائبها .

٣١- نعمى : الخير - عافية : الصحة السليمة - الوصم : المرض - البؤس : الشقاء .

٣٢- الصاب : جمع " صابة " ، وهي شجر - العلقم : الحنظل ، وهو نبات قوي المرارة - يسم : يرعى - أعمى بصيرته : أعمى قلبه .

٣٣- يا ويلتاه لِنفس : أي يا عذاب نفسي - اللمم : هو الشعر يجاور شحمة الأذن ، أي يا عذاباً لِنفسي من الأعمال السيئة منذ كان شعري أسود حتى ابيض من الْعَجَز .

٣٤- ركضتها : جريت بنفسي في طريق الغواية والمعاصي - المريع : الخصيب ، أي أنني لم أدخر كثيراً من الطاعات لِيوم الحساب .

٣٥- هامت : ذهبت - داعي الصبا : الشباب واللهو .

٣٦- حيث إن النفس البشرية بطبيعتها تجري وراء اللذات ، فلا بد من التمسك بالأخلاق القويمة حتى تنصلح أمورنا .

٣٧- مرتع وخم : الأكل الرديء الذي فيه وباء ، وهكذا النفس السيئة ، والنفس الخيرة دائماً في خير عافية .

تطْغَى إذَا مُكِّنَتْ مِنْ لَذَّةٍ وهَوىً ... طَغْيَ الْجِيَادِ إذَا عَضَّتْ عَلَى الشُّكُمِ [٣٨]

إنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ ... فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرِ مُعْتَصَمِ [٣٩]

أَلْقَى رَجَائِي إذَا عَزَّ الْمُجِيرُ عَلَى ... مُفَرِّجِ الْكَرَبِ فِي الدَّارَيْنِ والْغُمَمِ [٤٠]

إذَا خَفَضْتُ جَنَاحَ الذُّلِّ أَسْأَلُهُ ... عِزَّ الشَّفَاعَةِ لَمْ أَسْأَلْ سِوَى أَمَمِ [٤١]

وإنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ ... قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْرَةَ النَّدَمِ [٤٢]

لَزِمْتُ بابَ أَمِيرِ الأَنْبِيَاءِ ومَنْ ... يُمْسِكْ بِمِفْتَاحِ بابِ اللَّهِ يَغْتَنِمِ [٤٣]

فَكُلُّ فَضْلٍ وإحْسَانٍ وعَارِفَةٍ ... مَا بَيْنَ مُسْتَلِمٍ مِنْهُ ومُلْتَزِمِ [٤٤]

عَلَّقْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلاً أُعَزُّ بِهِ ... فِي يَوْمِ لاَ عِزَّ بالأَنْسَابِ واللُّحَمِ [٤٥]

يُزْرِي قَرِيضِي زُهَيْراً حِينَ أَمْدَحُهُ ... ولاَ يُقَاسُ إلَى جُودِي لَدَى هَرِمِ [٤٦]

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي ورَحْمَتُهُ ... وبُغْيَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ ومِنْ نَسَمِ [٤٧]

وصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسْلِ سائِلَةٌ ... مَتَى الْوُرُودُ وجِبْرِيلُ الأَمِينُ ظَمِي [٤٨]

٣٨- الشكيمة : هي الحديدة التي يُتحكم بها في الفرَس .

٣٩- في خير معتصم : في أحسن حفظ – جل : كبر .

٤٠- إذا عز : إذا قلّ – مفرج الكرب : الرسول ﷺ – الغمم : الهم والحزن .

٤١- إذا خفضت : إذا سألت بانكسار وذلة – سوى أمم : غير يسير وسهل .

٤٢- العَبرة : الدموع ، أي دموع الندم .

٤٣- أمير الأنبياء : رسول الله ﷺ – يغتنم : يكسب ويربح .

٤٤- العارفة : المعروفة .

٤٥- اللُّحَم : القرابة – في يوم : يوم القيامة .

٤٦- يزري : يعيب – قريضي : شعري – زهيراً : هو زهير بن أبي سلمى ، من فحول الشعراء في الجاهلية – هرم : هو هرم بن سنان بن أبي حارثة ، وقد مدحه زهير فأجزل له العطاء

٤٧- سيدنا محمد ﷺ هو المصطفى والرحمة المهداة ، وهو الذي خلق اللّهُ لأجله الْخَلْق .

٤٨- صاحب الحوض : رسول الله ﷺ ، والحوض يقصد به ما يشرب منه يوم القيامة – متى الورود : متى الشرب .

سَنَاؤُهُ وسَنَاهُ الشَّمْسُ طالِعَةً ... فالْجِرْمُ فِي فَلَكٍ والضَّوْءُ فِي عَلَمِ (٤٩)

قَدْ أَخْطَأَ النَّجْمَ مَا نالَتْ أُبُوَّتُهُ ... مِنْ سُؤْدُدٍ باذِخٍ فِي مَظْهَرٍ سَنِمِ (٥٠)

نُمُوا إلَيْهِ فَزَادُوا فِي الْوَرَى شَرَفاً ... ورُبَّ أَصْلٍ لِفَرْعٍ فِي الْفَخَارِ نُمِي (٥١)

حَوَاهُ فِي سُبُحَاتِ الطُّهْرِ قَبْلَهُمُ ... نُورَانِ قامَا مَقَامَ الصُّلْبِ والرَّحِمِ (٥٢)

لَمَّا رَآهُ بَحِيرَا قالَ نَعْرِفُهُ ... بِمَا حَفِظْنَا مِنَ الأَسْمَاءِ والسِّيَمِ (٥٣)

سائِلْ حِرَاءَ ورُوحَ الْقُدْسِ هَلْ عَلِمَا ... مَصُونَ سِرٍّ عَنِ الإِدْرَاكِ مُنْكَتِمِ (٥٤)

كَمْ جَيْئَةٍ وذَهَابٍ شُرِّفَتْ بِهِمَا ... بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الإِصْبَاحِ والْغَسَمِ (٥٥)

ووَحْشَةٍ لابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَيْنَهُمَا ... أَشْهَى مِنَ الأُنْسِ بِالأَحْسَابِ والْحَشَمِ (٥٦)

يُسَامِرُ الْوَحْيَ فِيهَا قَبْلَ مَهْبِطِهِ ... ومَنْ يُبَشِّرْ بِسِيمَى الْخَيْرِ يَتَّسِمِ (٥٧)

لَمَّا دَعَا الصَّحْبُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ ظَمَإٍ ... فاضَتْ يَدَاهُ مِنَ التَّسْنِيمِ بِالسَّنَمِ (٥٨)

٤٩- سناؤه : رفعته – سناه : نوره – العلم : العالَم .

٥٠- السؤدد : السيادة – باذخ : عالٍ – السنم : المرتفع .

٥١- نموا إليه : انتسبوا له ، لقد زاد الأصل فخراً نسبته إلى ذلك الفرع .

٥٢- نور سيدنا محمد ﷺ كان أول الخلق ، وكان ذلك في صُلْب الرجال ورحم النساء .

٥٣- السيم : العلامات والدلائل – بحيرا : راهب نصرانيّ ، وهو الذي بَشّر بِنُبُوَّته ﷺ لَمّا رآه بالشام .

٥٤- حراء : جبل بمكة – روح القدس : جبريل عليه السلام – القدس : الطهر .

٥٥- البطحاء : الأرض المستوية الواسعة بها حصى – الغسم : ظلمة الليل ، كان ﷺ يأتي غار حراء بالجبل صباحاً ومساءً .

٥٦- الحشم : الخدم – الوحشة : الخلوة والانقطاع عن الناس ، وكانت عنده أشهى من وجوده بين الناس والخدم .

٥٧- يسامر : يتكلم معه بودّ ، ومَن يتكلم مع البشر بالخير (جبريل عليه السلام) يكون فيه خير كثير .

٥٨- التسنيم : ماء بالجنة ، وسنم الإناء : امتلأ ، وقد فاضت المياه كثيراً من بين يديه ﷺ فسقى بها المسلمين والمؤمنين .

وظَلَّلَتْهُ فَصارَتْ تَسْتَظِلُّ بِهِ غَمَامَةٌ جَذَبَتْها خِيرَةُ الدِّيَمِ(٥٩)
مَحَبَّةٌ لِرَسُولِ اللّهِ أُشْرِبَهَا قَعَائِدُ الدَّيْرِ والرُّهْبَانُ فِي الْقِمَمِ(٦٠)
إنَّ الشَّمَائِلَ إنْ رَقَّتْ يَكَادُ بهَا يُغْرَى الْجَمَادُ ويُغْرَى كُلُّ ذِي نَسَمِ(٦١)
ونُودِيَ اقْرَأْ تَعَالَى اللّهُ قائِلُهَا لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِفَمِ(٦٢)
هُنَاكَ أَذَّنَ لِلرَّحْمَنِ فامْتَلأَتْ أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَّةِ النَّغَمِ(٦٣)
فَلاَ تَسَلْ عَنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ حَيْرَتُهَا وكَيْفَ نُفْرَتُهَا فِي السَّهْلِ والْعَلَمِ(٦٤)
تَسَاءَلُوا عَنْ عَظِيمٍ قَدْ أَلَمَّ بِهِمْ رَمَى الْمَشَايِخَ والْوِلْدَانِ بِاللَّمَمِ(٦٥)
يَا جاهِلِينَ عَلَى الْهَادِي ودَعْوَتِهِ هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصَّادِقِ الْعَلَمِ(٦٦)
لَقَّبْتُمُوهُ أَمِينَ الْقَوْمِ فِي صِغَرٍ ومَا الأَمِينُ عَلَى قَوْلٍ بِمُتَّهَمِ(٦٧)
فاقَ الْبُدُورَ وفَاقَ الأَنْبِيَاءَ فَكَمْ بِالْخُلْقِ والْخَلْقِ مِنْ حُسْنٍ ومِنْ عِظَمِ(٦٨)

٥٩- الديم : جمع " ديمة " ، وهي المطر الدائم ، وكانت تظله ﷺ غمامة أينما سار قبل نُبوّته .

٦٠- قعائد : جمع " قعيدة " ، وهي الملازمة ، محبة الرسول ﷺ يشعر بها عظماء اليهود والنصارى الذين يعرفون أوصافه قبل مجيئه ورسالته .

٦١- الشمائل : الصفات الحميدة في الإنسان – رقت : أصبحت جميلةً رقيقةً ، أي أنه إذا أصبحت صفات الإنسان جميلةً رقيقةً أحبه الجماد وكل نفس بشرية .

٦٢- اقرأ : أول ما نزل من القرآن الكريم على قلب سيدنا محمد ﷺ ، لم تُقَلْ لأحد مِن قبل .

٦٣- أذّن لِلرحمن : دعا أهله وعشيرته إلى عبادة اللّه ﷺ – قدسية النغم : النغم الطاهر .

٦٤- لا تعجب من حيرة أهل مكة حين سمعوا برسول اللّه ﷺ وكيف أنهم نفروا من تلك الدعوة في السهل والجبل .

٦٥- لقد جُنّ جنون الكبير والصغير في قريش حينما سمعوا عن نبيّ ليس له مال كما لهم ولا بأس ومنعة مثلهم .

٦٦- العلم : الظاهر والواضح .. أيها المتعنتون الجهلاء هل نسيتم مكانة محمد بينكم من أمانته وصدقه ؟!

٦٧- لقد سُمِّي " الأمين " في الصغر ، فهل يُعقل أن تشكّوا فيه وهو كبير ؟!

٦٨- كان الرسول ﷺ على خُلُق عظيم ، وكان جميلاً شكلاً وأخلاقاً وموضوعاً .

جاءَ النَّبِيُّونَ بالآيَاتِ فَانْصَرَمَتْ ... وجِئْتَنَا بحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ(٦٩)

آيَاتُهُ كُلَّمَا طَالَ الْمَدَى جُدُدٌ ... يَزِينُهُنَّ جَلاَلُ الْعِتْقِ والْقِدَمِ(٧٠)

يَكَادُ فِي لَفْظَةٍ مِنْهُ مُشَرَّفَةٍ ... يُوصِيكَ بالْحَقِّ والتَّقْوَى وبالرَّحِمِ(٧١)

يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قاطِبَةً ... حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهِمِ(٧٢)

حَلَّيْتَ مِنْ عَطَلٍ جِيدَ الْبَيَانِ بِهِ ... فِي كُلِّ مُنْتَثِرٍ فِي حُسْنِ مُنْتَظِمِ(٧٣)

بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيمٍ أَنْتَ قَائِلُهُ ... تُحْيِي الْقُلُوبَ وتُحْيِي مَيِّتَ الْهِمَمِ(٧٤)

سَرَتْ بَشَائِرُ بالْهَادِي وَمَوْلِدِهِ ... فِي الشَّرْقِ والْغَرْبِ مَسْرَى النُّورِ فِي الظُّلَمِ(٧٥)

تَخَطَّفَتْ مُهَجَ الطَّاغِينَ مِنْ عَرَبٍ ... وطَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْبَاغِينَ مِنْ عُجُمِ(٧٦)

رِيعَتْ لَهَا شَرَفُ الإِيوَانِ فَانْصَدَعَتْ ... مِنْ صَدْمَةِ الْحَقِّ لاَ مِنْ صَدْمَةِ الْقُدُمِ(٧٧)

أَتَيْتَ والنَّاسُ فَوْضَى لاَ تَمُرُّ بِهِمْ ... إِلاَّ عَلَى صَنَمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنَمِ(٧٨)

والأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْراً مُسَخَّرَةٌ ... لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمِ(٧٩)

٦٩- جاء الإسلام فَجَبَّ ما قبله ، وقد جئتنا يا رسولنا العظيم بحكيم : وهو القرآن الكريم ، وهو غير منقطع مثل ما قبله ؛ بل دائم حتى يوم القيامة .

٧٠- جدد : جمع " جديد " : آيات القرآن لا تنقطع ، وهي متجددة على مر العصور والدهور .

٧١- كل لفظ يلفظ به الرسول ﷺ هو حق وتقوى ورحمة .

٧٢- حديثك كالشهد عند مَن يتذوق الكلام ويفهم المعاني العظيمة .

٧٣- عطل : يقال " عطلت المرأة " إذا لم يكن عليها حلي ، ويقصد به أن كل بيانه حسن ، وكلماته كلها منتظمة ولا يَجُبّ بعضها بعضاً .

٧٤- كلامك إحياء لِلقلوب ويحيي الهمم الميتة .

٧٥- لقد علم القاصي والداني شرقاً وغرباً بمقدم الرسول الكريم ﷺ وبمولده ثم ببعثه .

٧٦- لقد انخلعت قلوب الطغاة من عرب ومن عجم حين عرفوا أنه ﷺ قد بُعِث نبياً .

٧٧- ريعت : ذُعِرَتْ – شرف : جمع " شرفة " ، لقد انهارت شرفات كسرى دون معاول لِهدمها .

٧٨- لقد نزلت الرسالة والمجتمع القرشي في جهل يعبدون الأصنام ، فتجد لا فرقَ بين مَن يعبد الأصنام والأصنام .

٧٩- لقد كانت الأرض مملوءةً جوراً وظلماً ، فالقويّ يأكل الضعيف ويظلمه .

مُسَيْطِرُ الْفُرْسِ يَبْغِي فِي رَعِيَّتِهِ ... وقَيْصَرُ الرُّومِ مِنْ كِبْرٍ أَصَمُّ عَمِ[٨٠]

يُعَذِّبَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شُبَهٍ ... ويَذْبَحانِ كَما ضَحَّيْتَ بالْغَنَمِ[٨١]

والْخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْواهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ ... كاللَّيْثِ بالْبَهْمِ أَوْ كالْحُوتِ بالْبَلَمِ[٨٢]

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلاً إِذْ مَلاَئِكُهُ ... والرُّسْلُ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصَى عَلَى قَدَمِ[٨٣]

لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ الْتَفُّوا بِسَيِّدِهِمْ ... كالشُّهْبِ بالْبَدْرِ أَوْ كالْجُنْدِ بالْعَلَمِ[٨٤]

صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ ... ومَن يَفُزْ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتَمِمِ[٨٥]

جُبْتَ السَّمَاوَاتِ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ ... عَلَى مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللُّجُمِ[٨٦]

رَكُوبَةً لَكَ مِنْ عِزٍّ ومِنْ شَرَفٍ ... لاَ فِي الْجِيَادِ ولاَ فِي الأَيْنُقِ الرُّسُمِ[٨٧]

مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي وصَنْعَتُهُ ... وقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّكِّ والتُّهَمِ[٨٨]

حَتَّى بَلَغْتَ سَمَاءً لاَ يُطَارُ لَهَا ... عَلَى جَنَاحٍ ولاَ يُسْعَى عَلَى قَدَمِ[٨٩]

وقِيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رُتْبَتِهِ ... ويَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فاسْتَلِمِ[٩٠]

خَطَطْتَ لِلدِّينِ والدُّنْيَا عُلُومَهُمَا ... يَا قارِئَ اللَّوْحِ بَلْ يَا لاَمِسَ الْقَلَمِ[٩١]

٨٠- نزلت الرسالة المحمدية وكان الظلم منتشراً في بلاد الفرس والروم .

٨١- لقد انتشر الظلم قبل البعثة ، فعذاب بمجرد اشتباه هنا ، وذبح كالغنم هناك .

٨٢- البهم : جمع " بهمة " ، وهو الضأن والمعز – البلم : صغار السمك – الليث : الأسد .

٨٣- في رحلة الإسراء إلى بيت المقدس كان الملائك والرسل قائمين على قدم وساق .

٨٤- لَمّا خطرتَ به : حينما جئتَ إلى بيت المقدس – الشهب : النجوم .

٨٥- كل ذي خطر : كل صاحب منزلة عليا التفوا جميعهم حولك .

٨٦- جُبْتَ السماوات : ذهبتَ إلى السماوات – منورة درية اللُّجُم : البراق .

٨٧- مِن أجْل عزك وشرفك كانت ركوبتك ليس مثلها الجياد الرائعة البينة الجودة والروعة ، وليست كالنوق الشديدة الوطء لِقوّتها .

٨٨- ليس في قدرة الله شك ولا ريب ؛ لأنه ﷻ يقول لِلشيء (كُن) فيكون .

٨٩- لقد بلغتَ السماء التي لا يصل إليها مَن طار أو مَن سار على قدمه .

٩٠- لقد وقف الأنبياء عند حدودهم ولم يواصلوا معه .

٩١- خططتَ لِلدين والدنيا : لقد عَلّمْتَ الناس الدين وعلوم الدنيا وكيف تكون الحياة – يا قارئ اللوح : كناية عن العلم الذي أعطاه له الله في رحلة المعراج .

أَحطْتَ بَيْنَهُمَا بِالسِّرِّ وانْكَشَفَتْ لَكَ الْخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ ومِنْ حِكَمِ (٩٢)
وضَاعَفَ الْقُرْبُ مَا قُلِّدْتَ مِنْ مِنَنٍ بلاَ عِدَادٍ ومَا طُوِّقْتَ مِنْ نِعَمِ (٩٣)
سَلْ عُصْبَةَ الشِّرْكِ حَوْلَ الْغَارِ سائِمَةً لَوْلاَ مُطَارَدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تُسَمِ (٩٤)
هَلْ أَبْصَرُوا الأَثَرَ الْوَضَّاءَ أَمْ سَمِعُوا هَمْسَ التَّسَابِيحِ والْقُرْآنِ مِنْ أُمَمِ (٩٥)
وهَلْ تَمَثَّلَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ لَهُمْ كالْغَابِ والْحَائِمَاتُ الزُّغْبُ كالرُّخَمِ (٩٦)
فَأَدْبَرُوا ووُجُوهُ الأَرْضِ تَلْعَنُهُمْ كَبَاطِلٍ مِنْ جَلاَلِ الْحَقِّ مُنْهَزِمِ (٩٧)
لَوْلاَ يَدُ اللَّهِ بِالْجَارَيْنِ مَا سَلِمَا وعَيْنُهُ حَوْلَ رُكْنِ الدِّينِ لَمْ يَقُمِ (٩٨)
تَوَارَيَا بِجَنَاحِ اللَّهِ واسْتَتَرَا ومَنْ يَضُمُّ جَنَاحُ اللَّهِ لاَ يُضَمِ (٩٩)
يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جاهٌ بِتَسْمِيَتِي وكَيْفَ لاَ يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي (١٠٠)

٩٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال ﴿عَلَّمَنِي رَبِّي لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ عُلُوماً شَتَّى : عِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ كِتْمَانَهُ ، وَعِلْمٌ خَيَّرَنِي فِيهِ ، وَعِلْمٌ أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ﴾ .

٩٣- إنّ قربه ﷺ من اللّه قد زاد على كل النعم التي أعطاها اللّه سبحانه له ، وهذه النعم لا يدركها عدّ ، فإضافة القرب إليها جعلها أضعافَ ما كانت عليه من العدد .

٩٤- عصبة الشرك : مجموعة من أهل الشرك الذين ذهبوا خلف رسول اللّه ﷺ يوم الهجرة يطلبونه وهو بالغار ، وقد عصمه اللّه منهم .

٩٥- هذه العصبة الكافرة رأوا من الأثر الوضاء ؛ فقد سمعوا تسبيح الحصى بين يدي رسول اللّه ﷺ عن قرب .

٩٦- الغاب : الشجر الكثيف - الحائمات الزغب : الحمام - الرخم : طائر على شكل النسر .. لقد رأوا العنكبوت على الغار كأنه غابة من الأشجار ، ورأوا الحمام كأنها نسور .

٩٧- لقد رجعوا خائبين تلفّهم الأرض ، مثلهم كباطل يهزمه الحق دائماً .

٩٨- الجاران هما سيدنا محمد ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد شملتهما عناية اللّه جل جلاله ، فلولا رعاية اللّه ما قام ركن الدين .

٩٩- جناح اللّه : لطفه وستره ، فقد شمل محمداً وصحبه لطف اللّه وعنايته ، ومَن يلجأ إلى اللّه لا يضام أبداً .

١٠٠- أحمد : من أسماء رسول اللّه ﷺ ، وقد سُمِّي الشاعر " أحمد " تيمناً باسمه ﷺ ، وهذا محلّ فخر له .

الْمَادِحُونَ وأَرْبَابُ الْهَوَى تَبَعٌ لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفَيْحَاءِ ذِي الْقَدَمِ[١٠١]

مَدِيحُهُ فِيكَ حُبٌّ خالِصٌ وهَوىً وصَادِقُ الْحُبِّ يُمْلِي صادِقَ الْكَلِمِ[١٠٢]

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لاَ أُعَارِضُهُ مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ[١٠٣]

وإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الْغَابِطِينَ ومَنْ يَغْبِطْ وَلِيَّكَ لاَ يُذْمَمْ ولاَ يُلَمِ[١٠٤]

هَذَا مَقَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مُقْتَبَسٌ تَرْمِي مَهَابَتُهُ سَحْبَانَ بِالْبَكَمِ[١٠٥]

الْبَدْرُ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وفِي شَرَفٍ والْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وفِي كَرَمِ[١٠٦]

شُمُّ الْجِبَالِ إِذَا طاوَلْتَهَا انْخَفَضَتْ والأَنْجُمُ الزُّهْرُ مَا واسَمْتَهَا تَسِمِ[١٠٧]

واللَّيْثُ دُونَكَ بَأْساً عِنْدَ وَثْبَتِهِ إِذَا مَشَيْتَ إِلَى شاكِي السِّلاَحِ كَمِي[١٠٨]

تَهْفُو إِلَيْكَ وإِنْ أَدْمَيْتَ حَبَّتَهَا فِي الْحَرْبِ أَفْئِدَةُ الأَبْطَالِ والْبُهَمِ[١٠٩]

مَحَبَّةُ اللَّهِ أَلْقَاهَا وهَيْبَتُهُ عَلَى ابْنِ آمِنَةٍ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ[١١٠]

١٠١- إن جميع المادحين الذين جاءوا بعد الإمام البوصيري هم مقتدون به ، وهو صاحب " بردة المديح " .

١٠٢- مديحه فيك سببه الحب لك يا رسول اللّه ، والحب الصادق يملي الكلام الصادق .

١٠٣- الصوب : الانصباب ، وخاصة مطر السماء - العارض العرم : السحاب الكثيف الذي ينتج عنه مطر شديد .

١٠٤- بعض الغابطين : الذي يتمنى مثل الخير بدون حسد ، والذي يريد أن يكون مثل أولياء اللّه في الخير لا أحدَ يذمه .

١٠٥- سحبان : هو سحبان وائل ، مِن بني باهلة ، كان يُضرَب به المثل في فصاحة اللسان .. إن مقام رسول اللّه ﷺ مقتبَس من اللّه ﷻ .

١٠٦- إنّ شرفك وخلقك وحسنك أكبر من القمر ، وكرمك وخيرك أكبر من البحر .

١٠٧- إنّ قدر رسول اللّه ﷺ أعلى من الجبال ، والنجوم أقلّ منك حسناً .

١٠٨- الليث : الأسد .. إنك أشجع من الأسد في الغابة إذا لبستَ السلاح لِلحرب .

١٠٩- تهفو إليك : تسرع إليك - البهم : جمع " بهمة " ، وهو الشجاع .. إن الأبطال والشجعان تسرع إليك إذا دعا داعِي الحرب .

١١٠- كل مصطدم : كل ميدان حرب .. إنّ هيبته ﷺ لا تخفى عن كل ذي عينين في الحرب ، وهو ﷺ مهاب في الحرب تهابه الأبطال .

كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّقْعِ بَدْرُ دُجىً ... يُضِيءُ مُلْتَثِماً أَوْ غَيْرَ مُلْتَثِمِ(١١١)

بَدْرٌ تَطَلَّعَ فِي بَدْرٍ فَغُرَّتُهُ ... كَغُرَّةِ النَّصْرِ تَجْلُو داجِيَ الظُّلَمِ(١١٢)

ذُكِرْتَ بِالْيُتْمِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَةً ... وقِيمَةُ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ فِي الْيُتْمِ(١١٣)

اللَّهُ قَسَّمَ بَيْنَ النّاسِ رِزْقَهُمُ ... وأَنْتَ خُيِّرْتَ فِي الأَرْزَاقِ والْقِسَمِ(١١٤)

إنْ قُلْتَ فِي الأَمْرِ لاَ أَوْ قُلْتَ فِيهِ نَعَمْ ... فَخِيرَةُ اللَّهِ فِي لاَ مِنْكَ أَوْ نَعَمِ(١١٥)

أَخُوكَ عِيسَى دَعَا مَيْتاً فَقَامَ لَهُ ... وأَنْتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالاً مِنَ الرِّمَمِ(١١٦)

والْجَهْلُ مَوْتٌ فَإنْ أُوتِيتَ مُعْجِزَةً ... فابْعَثْ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ فابْعَثْ مِنَ الرَّجَمِ(١١٧)

قالُوا غَزَوْتَ وَرُسْلُ اللَّهِ مَا بُعِثُوا ... لِقَتْلِ نَفْسٍ ولاَ جَاءُوا لِسَفْكِ دَمِ(١١٨)

جَهْلٌ وتَضْلِيلُ أَحْلاَمٍ وسَفْسَطَةٌ ... فَتَحْتَ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْفَتْحِ بِالْقَلَمِ(١١٩)

١١١- إنّ وجهك مثل القمر المضيء في الليل المظلم سواء كنتَ ملثماً أو غير ملثم .

١١٢- بدر : قمر - في بدر : موضع غزوة بدر ، وهو بين الحرمين الشريفين .. إنّ وجهك يا رسول اللّه وغُرَّتك الشريفة هي غُرَّة المنتصر الذي يمحو الظلام الشديد .

١١٣- اليتيم مَن فقد أباه وهو صغير ، وذكر في القرآن ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ ، وقيمة اللؤلؤ المكنون في عدم كثرته ، وكذلك اليتم .

١١٤- روى الترمذي عنه ﷺ قال ﴿ عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً فَقُلْتُ : لاَ يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْما ﴾ .

١١٥- إنّ قولك في أي أمر " لا " أو " نعم " فإنه اختيار اللّه ؛ حيث قال اللّه تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ .

١١٦- لقد أحييتَ أجيالاً من الأمم برسالتك العظيمة وبالقرآن الكريم الذي أنزله اللّه على قلبك .

١١٧- لقد بعثتَ هذه الأمة من جديد حيث محوتَ جهلهم ، وشَبَّه الجهل بالقبر .

١١٨- إن جميع غزوات الرسول ﷺ لم تكن ابتداءً منه بحرب ، وكانت حربه مع الكفار لكي لا يمنعوه مِن نشر الرسالة فقط ، وليس لِسفك دماء ، وهذه صفات كل الأنبياء عليهم السلام .

١١٩- لقد دعا ﷺ الناس إلى اللّه بحسن الحديث وبالحجة الدامغة ، وجاءت الغزوات بعد ذلك لأنهم منعوه مِن نشر الرسالة .

لَمَّا أَتَى لَكَ عَفْواً كُلُّ ذِي حَسَبٍ   تَكَفَّلَ السَّيْفُ بِالْجُهَّالِ والْعَمَمِ(١٢٠)

والشَّرُّ إنْ تَلْقَهُ بِالْخَيْرِ ضِقْتَ بِهِ   ذَرْعاً وإنْ تَلْقَهُ بِالشَّرِّ يَنْحَسِمِ(١٢١)

سَلِ الْمَسِيحِيَّةَ الْغَرَّاءَ كَمْ شَرِبَتْ   بِالصَّابِ مِنْ شَهَوَاتِ الظَّالِمِ الْغَلِمِ(١٢٢)

طَرِيدَةُ الشِّرْكِ يُؤْذِيهَا ويُوسِعُهَا   فِي كُلِّ حِينٍ قِتَالاً سَاطِعَ الْحَدَمِ(١٢٣)

لَوْلاَ حُمَاةٌ لَهَا هَبُّوا لِنُصْرَتِهَا   بِالسَّيْفِ مَا انْتَفَعَتْ بِالرِّفْقِ والرُّحَمِ(١٢٤)

لَوْلاَ مَكَانٌ لِعِيسَى عِنْدَ مُرْسِلِهِ   وحُرْمَةٌ وَجَبَتْ لِلرُّوحِ فِي الْقِدَمِ(١٢٥)

لَسُمِّرَ الْبَدَنُ الطُّهْرُ الشَّرِيفُ عَلَى   لَوْحَيْنِ لَمْ يَخْشَ مُؤْذِيهِ ولَمْ يَجِمِ(١٢٦)

جَلَّ الْمَسِيحُ وذَاقَ الصَّلْبَ شَانِئُهُ   إنَّ الْعِقَابَ بِقَدْرِ الذَّنْبِ والْجُرُمِ(١٢٧)

أَخُو النَّبِيِّ ورُوحُ اللَّهِ فِي نُزُلٍ   فَوْقَ السَّمَاءِ ودُونَ الْعَرْشِ مُحْتَرَمِ(١٢٨)

١٢٠- العمم : يقصد العامة .. لقد جاءك يؤمن بالرسالة كل عظيم وكل ذي حسب ، ولكن الجهال وعامة الناس والكفار الذين منعوك مِن نشر الرسالة حاربتَهم .

١٢١- إن الشر لا يفلّه إلا الحديد والقوة .. إن الشر لا يهزمه إلا القوة .

١٢٢- الغلم : الثائر الهائج .. يعطينا مثالاً بالسيد المسيح عليه السلام حينما حاربوه وأرادوا قتله .

١٢٣- الحدم : شدة احتراق النار .

١٢٤- طريدة الشرك : أصحاب رسول الله ﷺ في بدء الدعوة ، لقد آذاهم الكفار وحاربوا هؤلاء المسلمين الأوائل ، وهكذا في كل الأديان – مثل المسيحية – كثير من الظالمين ، وقد قاوم المسيحيون هؤلاء الجبابرة ، بل ودخلت المسيحية كثيراً من البلاد على رؤوس الأسنّة .

١٢٥- مكان لِعيسى : منزلة عظيمة لِعيسى عليه السلام عند ربه سبحانه ، وهذه المنزلة كانت منذ القِدَم .

١٢٦- ولولا هذه المنزلة لَكانوا صلبوه على الصليب الذي أُعِدّ لِذلك ، ولكن اللّه ﷻ رفعه إليه كما جاء بالقرآن ﴿ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ .

١٢٧- جل المسيح : تنزه عمّا رماه به شانئوه ومبغضوه ، وإنهم هم الذين يستحقون الصَّلْب والعقاب ، ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ .

١٢٨- إن رسولنا الكريم ﷺ هو بشارة سيدنا عيسى عليه السلام ، وهو روح من اللّه ؛ قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ .

عَلَّمْتَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ يَجْهَلُونَ بِهِ حَتَّى الْقِتَالَ ومَا فِيهِ مِنَ الذِّمَمِ(١٢٩)
دَعَوْتَهُمْ لِجِهَادٍ فِيهِ سُؤْدُدُهُمْ والْحَرْبُ أُسُّ نِظَامِ الْكَوْنِ والأُمَمِ(١٣٠)
لَوْلاَهُ لَمْ نَرَ لِلدَّوْلاَتِ فِي زَمَنٍ مَا طَالَ مِنْ عُمُدٍ أَوْ قَرَّ مِنْ دُهُمِ(١٣١)
تِلْكَ الشَّوَاهِدُ تَتْرَى كُلَّ آوِنَةٍ فِي الأَعْصُرِ الْغُرِّ لاَ فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ(١٣٢)
بالأَمْسِ مالَتْ عُرُوشٌ واعْتَلَتْ سُرُرٌ لَوْلاَ الْقَذَائِفُ لَمْ تَثْلَمْ ولَمْ تَصُمِ(١٣٣)
أَشْيَاعُ عِيسَى أَعَدُّوا كُلَّ قاصِمَةٍ ولَمْ نُعِدَّ سِوَى حالاَتِ مُنْقَصِمِ(١٣٤)
مَهْمَا دُعِيتَ إِلَى الْهَيْجَاءِ قُمْتَ لَهَا تَرْمِي بِأُسْدٍ ويَرْمِي اللّهُ بِالرُّجُمِ(١٣٥)

١٢٩- لقد كان رسول اللّه ﷺ خُلُقه القرآن في السلم أو في الحرب ، وقد علّمهم كيف يتعاملون مع الأسرى ..

قال ابن إسحاق : وحدثني نُبيِّه بن وهب أن رسول اللّه ﷺ حين أقبل بالأسارى فرَّقهم بين أصحابه وقال ﴿اسْتَوْصُوا بِالأُسَارَى خَيْرا﴾ ، فكان الصحابي لا يأكل إلا مع الأسرى ، بل يخصونهم بأطيب الطعام .

١٣٠- لا ترتقي أمة إلا بالجهاد الأكبر والأصغر منه .

١٣١- لقد وضع رسول اللّه ﷺ الأسس التي تقوم عليها الدول : (الشورى ، الحق ، العدل ، المساواة) - وقر : ثبت .

١٣٢- هذه الشواهد نراها في العصور التي تزدهر فيها الأمم بالعلم والعدل والمساواة ، أمّا الزمن المظلم في أي دولة فيسود فيه الظلم والجهل .

١٣٣- إن القوة هي التي ترفع الدول إلى أعلى في التقدم والغلبة ، ولم تَعْلُ الدولة التي انهزمت بالأمس إلا بالقوة .

١٣٤- أشياع عيسى : يقصد بهم دول الغرب وأمريكا وغيرها من الدول الأجنبية التي تدين بالمسيحية ، وهؤلاء كل همهم إنتاج السلاح لِلحرب والقتال ..

أمّا الأمة الإسلامية فلم تهتمّ بهذه الأسلحة ؛ لأن الإسلام دين سلام ، وأهله مسالمون .

١٣٥- الهيجاء : الحرب - الرجم : النجوم والتي تسقط على الشياطين ، وهنا استعارة مكنية : أي أن الكفار مثل الشياطين يُرْمَوْن بالشهب والنجوم ، وأنت يا رسول اللّه إذا دعا داعي الحرب قمتَ لها كأسد الغابة .

عَلَى لِوَائِكَ مِنهُمْ كُلُّ مُنتَقِمٍ ... لِلَّهِ مُسْتَقْتِلٍ فِي اللَّهِ مُعْتَزِمِ[١٣٦]

مُسَبِّحٍ لِلِقَاءِ اللَّهِ مُضْطَرِمٍ ... شَوْقاً عَلَى سابِحٍ كَالْبَرْقِ مُضْطَرِمِ[١٣٧]

لَوْ صادَفَ الدَّهْرَ يَبْغِي نَقْلَةً فَرَمَى ... بِعَزْمِهِ فِي رِحَالِ الدَّهْرِ لَمْ يَرِمِ[١٣٨]

بِيضٌ مَفَالِيلُ مِنْ فِعْلِ الْحُرُوبِ بِهِمْ ... مِنْ أَسْيُفِ اللَّهِ لاَ الْهِنْدِيَّةِ الْخُذُمِ[١٣٩]

كَمْ فِي التُّرَابِ إِذَا فَتَّشْتَ عَنْ رَجُلٍ ... مَنْ ماتَ بِالْعَهْدِ أَوْ مَنْ ماتَ بِالْقَسَمِ[١٤٠]

لَوْلاَ مَوَاهِبُ فِي بَعْضِ الأَنَامِ لَمَا ... تَفَاوَتَ النَّاسُ فِي الأَقْدَارِ وَالْقِيَمِ[١٤١]

شَرِيعَةٌ لَكَ فَجَّرْتَ الْعُقُولَ بِهَا ... عَنْ زاخِرٍ بِصُنُوفِ الْعِلْمِ مُلْتَطِمِ[١٤٢]

يَلُوحُ حَوْلَ سَنَا التَّوْحِيدِ جَوْهَرُهَا ... كَالْحَلْيِ لِلسَّيْفِ أَوْ كَالْوَشْيِ لِلْعَلَمِ[١٤٣]

١٣٦- على لوائك : تحت إمرتك ، وفي الحرب معك يا رسول اللّه رجال يحبون الشهادة في سبيل اللّه ، ولذا فَهُمْ مقاتلون أشداء في سبيل نشر دعوة اللّه .

١٣٧- مسبح : يقصد الجواد السريع كأنه يسبح في ماء - مضطرم : توقد النار وتؤججها ، هؤلاء الأبطال يركبون جيادهم السريعة كالبرق الخاطف وهُمْ نار متوقدة على الأعداء .

١٣٨- لم يرم : لم ينتقل ولم يتحول ؛ إنهم أبطال كالجبال الثابتة الشامخة ، لو أرادهم الدهر أن يتغيروا فلن يستطيع .

١٣٩- هؤلاء الأبطال مثل السيوف الهندية القوية التي لا تثلم أبداً ولا تنقطع ، فَهُمْ سيوف على الأعداء .

١٤٠- بالعهد : أي مَن مات بالشهادة التي عاهدوا اللّه عليها ؛ قال تعالى ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ نزلت في الرسول ﷺ وأصحابه - بالقسم : بانتهاء عمره .

١٤١- لقد أحاط بالرسول ﷺ مجموعة من الرجال لكل منهم موهبة خاصة به : فهذا رجل قتال ، وهذا رجل تخطيط ، وهذا رجل سياسة ... وبهذا تتفاوت أقدار الناس حسب مواهبهم .

١٤٢- إن الإسلام فَجَّر في المؤمنين به مواهب عديدةً في العلم ، فَهُمْ كالبحر المتلاطم في علمهم .

١٤٣- كل هذه المواهب العظيمة يجمعها ويوحدها إيمانها العظيم بالإسلام وبرسولهم الكريم ﷺ .

غَرّاءُ حامَتْ عَلَيْهَا أَنْفُسٌ ونُهىً ... ومَنْ يَجدْ سَلْسَلاً مِنْ حِكْمَةٍ يَحُمِ[١٤٤]

نُورُ السَّبِيلِ يُسَاسُ الْعَالَمُونَ بِهَا ... تَكَفَّلَتْ بِشَبَابِ الدَّهْرِ والْهَرَمِ[١٤٥]

يَجْرِي الزَّمَانُ وأَحْكَامُ الزَّمَانِ عَلَى ... حُكْمٍ لَهَا نافِذٍ فِي الْخَلْقِ مُرْتَسِمِ[١٤٦]

لَمَّا اعْتَلَتْ دَوْلَةُ الإِسْلاَمِ واتَّسَعَتْ ... مَشَتْ مَمَالِكُهُ فِي نُورِهَا التَّمَمِ[١٤٧]

وعَلَّمَتْ أُمَّةً بِالْقَفْرِ نازِلَةً ... رَعْيَ الْقَيَاصِرِ بَعْدَ الشَّاءِ والنَّعَمِ[١٤٨]

كَمْ شَيَّدَ الْمُصْلِحُونَ الْعَامِلُونَ بِهَا ... فِي الشَّرْقِ والْغَرْبِ مُلْكاً باذِخَ الْعِظَمِ[١٤٩]

لِلْعِلْمِ والْعَدْلِ والتَّمْدِينِ مَا عَزَمُوا ... مِنَ الأُمُورِ ومَا شَدُّوا مِنَ الْحُزُمِ[١٥٠]

سُرْعَانَ مَا فَتَحُوا الدُّنْيَا لِمِلَّتِهِمْ ... وأَنْهَلُوا النّاسَ مِنْ سَلْسَالِهَا الشَّبِمِ[١٥١]

سارُوا عَلَيْهَا هُدَاةَ النّاسِ فَهْيَ بِهِمْ ... إِلَى الْفَلاَحِ طَرِيقٌ واضِحُ الْعَظَمِ[١٥٢]

١٤٤– حامت : التفتت ومالت – نُهى : العقل – السلسل : الماء العذب – غراء : يقصد به الإسلام ؛ فقد وجدوا فيه الحكمة والصلاح لدنياهم وأخراهم فالتفوا حوله مثلما يلتف الإنسان حول الماء العذب .

١٤٥– نور السبيل : هدى ونور الإسلام ، هذا النور هو هداية لِلمؤمنين .

١٤٦– إن الزمان يجري كما أراده الله ، وقد جعل الله تعالى حكم الإسلام مسايراً لِحكم الزمان .

١٤٧– حينما ارتفع نور الإسلام واتسعت دولة الإسلام كانت الضياء لِكل العالمين .

١٤٨– هذه الأمة التي كانت ترعى الأغنام والأنعام أصبحت ترعى الأمم وتعلمها الحكمة .

١٤٩– نعم .. كثيراً ما شيد المسلمون الأوائل ملكاً بل ممالك ، وأضاعها مَن جاء بعدهم ، ويشهد على ذلك الأندلس وفلسطين .

١٥٠– نعم .. بالعلم والعدل تُبْنَى الدول ، لم يُبْنَ ملك على جهل وإقلال في المال وفي السياسة .

١٥١– سرعان : ما أسرع – أنهل : أول الشرب – السلسل العذب : الماء العذب – الشبم : البارد .. نعم لقد سار الفتح الإسلامي كالبرق القاطع ، وفتحوا البلدان والممالك في أقلّ من مائة عام من البعثة ، وقد شرب الناس مِن قيم ومبادئ الإسلام .

١٥٢– ساروا عليها : أخذوا بها .. هؤلاء المسلمون الأوائل كانوا هدياً لِلناس ونوراً لهم ، وساروا على هداهم إلى الفلاح .

لاَ يَهْدِمُ الدَّهْرُ رُكْناً شادَ عَدْلَهُمُ ... وحَائِطُ الْبَغْيِ إنْ تَلْمَسْهُ يَنْهَدِمِ(١٥٣)

نالُوا السَّعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ واجْتَمَعُوا ... عَلَى عَمِيمٍ مِنَ الرُّضْوَانِ مُقْتَسَمِ(١٥٤)

دَعْ عَنْكَ رُومَا وَآثِينا ومَا حَوَتَا ... كُلُّ الْيَوَاقِيتِ فِي بَغْدَادَ والتُّوَمِ(١٥٥)

وخَلِّ كِسْرَى وإيوَاناً يَدِلُّ بهِ ... هَوىً عَلَى أَثَرِ النِّيرَانِ والأَيُمِ(١٥٦)

واتْرُكْ رَعْمَسِيسَ إنَّ الْمُلْكَ مَظْهَرُهُ ... فِي نَهْضَةِ الْعَدْلِ لاَ فِي نَهْضَةِ الْهَرَمِ(١٥٧)

دارُ الشَّرَائِعِ رُومَا كُلَّمَا ذُكِرَتْ ... دارُ السَّلاَمِ لَهَا أَلْقَتْ يَدَ السَّلَمِ(١٥٨)

مَا ضارَعَتْهَا بَيَاناً عِنْدَ مُلْتَأَمٍ ... ولاَ حَكَتْهَا قَضَاءً عِنْدَ مُخْتَصَمِ(١٥٩)

ولاَ احْتَوَتْ فِي طِرَازٍ مِنْ قَيَاصِرِهَا ... عَلَى رَشِيدٍ ومَأْمُونٍ ومُعْتَصِمِ(١٦٠)

مَنِ الَّذِينَ إذَا سارَتْ كَتَائِبُهُمْ ... تَصَرَّفُوا بِحُدُودِ الأَرْضِ والتُّخَمِ(١٦١)

١٥٣- نعم إنّ الملك الذي يقام على العدل لا يُهْدَم أبداً ، أمّا الذي يقام على الظلم فإنه كجرف هارٍ .

١٥٤- عميم : كثيرا جداً .. هؤلاء الهداة نالوا سعادة الدنيا والآخرة بأفعالهم العظيمة .

١٥٥- لقد جمعت بغداد كل العظماء في يوم ما ، حيث كانت الخلافة الإسلامية في عظمتها .. لقد برزت روما وأثينا حينذاك ، وكانت بغداد أعظم منهما علماً .

١٥٦- ولنتذكر كيف انطفأت نيران فارس ، وكيف سقطت شرفات أنوشروان .

١٥٧- إن الْمُلْك يُبْنَى على العدل وليس على البنيان العظيم الكبير ، فبناء النفوس العظيمة أصعب وأعظم من بناء الأهرام بكل شموخها وكبريائها .

١٥٨- إنه كلما جاء ذكر بغداد (دار السلام) تراجعت وألقت يد السلم روما .

١٥٩- ملتأم : مجتمع - مختصم : خصام ، والمعنى : أن روما بكل خطبائها وشعرائها لا يمكن أن يدانوا أو يصلوا إلى ما وصلت إليه بغداد في العصر العباسي - مثلاً - الذين قالوا في كل باب فهزّوا النفوس وخلبوا الألباب ، وحتى في العدل لم يدانوها فيه .

١٦٠- الطراز : الجيد من كل شيء ، أو المثال الذي يُحتذى .. إنها - روما - وما حوت أمثال هارون الرشيد أو المأمون ابنه أو المعتصم بن هارون الرشيد في الفضل والعدل والحزم .

١٦١- هذه الكتائب من المسلمين (جيش المسلمين) ليس بباغٍ على أرض أحد ؛ فله حدوده من الأرض .

ويَجْلِسُونَ إلَى عِلْمٍ ومَعْرِفَةٍ فَلاَ يُدَانُوْنَ فِي عَقْلٍ ولاَ فَهَمِ[١٦٢]

يُطَأْطِئُ الْعُلَمَاءُ الْهَامَ إنْ نَبَسُوا مِنْ هَيْبَةِ الْعِلْمِ لاَ مِنْ هَيْبَةِ الْحُكُمِ[١٦٣]

ويُمْطَرُونَ فَمَا بِالأَرْضِ مِنْ مَحَلٍ ولاَ بِمَنْ باتَ فَوْقَ الأَرْضِ مِنْ عُدُمِ[١٦٤]

خَلاَئِفُ اللَّهِ جَلُّوا عَنْ مُوَازَنَةٍ فَلاَ تَقِيسَنَّ أَمْلاَكَ الْوَرَى بِهِمِ[١٦٥]

مَنْ فِي الْبَرِيَّةِ كالْفَارُوقِ مَعْدَلَةً وكَابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَاشِعِ الْحَشِمِ[١٦٦]

وكَالإمَامِ إذَا مَا فَضَّ مُزْدَحِماً بِمَدْمَعٍ فِي مَآقِي الْقَوْمِ مُزْدَحِمِ[١٦٧]

الزّاخِرُ الْعَذْبُ فِي عِلْمٍ وفِي أَدَبٍ والنّاصِرُ النَّدْبُ فِي حَرْبٍ وفِي سَلَمِ[١٦٨]

أَوْ كابْنِ عَفّانَ والْقُرْآنُ فِي يَدِهِ يَحْنُو عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْفُطُمِ[١٦٩]

ويَجْمَعُ الآيَ تَرْتِيباً ويَنْظُمُهَا عِقْداً بِجِيدِ اللَّيَالِي غَيْرَ مُنْفَصِمِ[١٧٠]

١٦٢- هؤلاء المسلمون إذا كانوا في مجلس علم فلا يدانيهم في علمهم أحد .

١٦٣- فإذا تكلموا استمع لهم العلماء مطأطئي الرؤوس من كثرة ما يأخذونه من علم ومن هيبة العلم وليس لأنهم حكام .

١٦٤- ويمطرون : قد يقصد الشاعر صلاة الاستسقاء ، فإذا صلوها ودعوا ربهم فإنه سبحانه يستجيب لِدعائهم فلا يبقى جدب في الأرض .

١٦٥- خلائف اللّه : أي خلفاء اللّه في الأرض ، وهم الخلفاء سواء المتقدمون منهم أو المتأخرون ، وهم ليس لهم شبيه في وعيهم وعدلهم وتقواهم .

١٦٦- هل يقاس عدل عمر ﷺ بعدل أي إنسان بعد رسول اللّه ﷺ ؟! لقد شهد له الأعداء فقالوا :" حكمتَ فعدلتَ فنمتَ نوماً قرير العين يا عمر " ، وهل وُجِد مثل عمر بن عبد العزيز في خشوعه وورعه وعدله ﷺ ؟!

١٦٧ ، ١٦٨- ومَن مثل الإمام عليّ بن أبي طالب - كرم اللّه وجهه - في الشجاعة وفي الحياء ؟! والذي عاش ومات ولم ير عورته حياءً ، وقد سُمِّي لِشجاعته " أسد اللّه الغالب " .

١٦٩- ابن عفان : هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، وهو رسول رسول اللّه إلى مكة يَعرض عليهم الصلح ، وبسبب إشاعة قتله كانت بيعة الرضوان .

١٧٠- وهو عثمان بن عفان ﷺ ، جامع القرآن الكريم مِن حفظتِه ومرتب سُوَرِه .

جُرْحَانِ فِي كَبِدِ الإِسْلاَمِ مَا الْتَأَمَا ... جُرْحُ الشَّهِيدِ وجُرْحٌ بالْكِتَاب دَمِي[١٧١]

ومَا بَلاَءُ أَبِي بَكْرٍ بِمُتَّهَمٍ ... بَعْدَ الْجَلاَئِلِ فِي الأَفْعَالِ والْخِدَمِ[١٧٢]

بالْحَزْمِ والْعَزْمِ حاطَ الدِّينَ فِي مِحَنٍ ... أَضَلَّتِ الْحُلْمَ مِنْ كَهْلٍ ومُحْتَلِمِ[١٧٣]

وحِدْنَ بالرّاشِدِ الْفَارُوقِ عَنْ رُشْدِهِ ... فِي الْمَوْتِ وهْوَ يَقِينٌ غَيْرُ مُنْبَهِمِ[١٧٤]

يُجَادِلُ الْقَوْمَ مُسْتَلاًّ مُهَنَّدَهُ ... فِي أَعْظَمِ الرُّسْلِ قَدْراً كَيْفَ لَمْ يَدُمِ[١٧٥]

لاَ تَعْذُلُوهُ إِذَا طافَ الذُّهُولُ بِهِ ... ماتَ الْحَبِيبُ فَضَلَّ الصَّبُّ عَنْ رَغَمِ[١٧٦]

يَا رَبِّ صَلِّ وسَلِّمْ مَا أَرَدْتَ عَلَى ... نَزِيلِ عَرْشِكَ خَيْرِ الرُّسْلِ كُلِّهِمِ[١٧٧]

١٧١- جرحان : هُمَا قتل سيدنا عثمان ﷺ وهو يمسك بالمصحف الشريف يقرأ فيه ، والآخَر هو جرح القرآن نفسه حينما جاء عليه دم الشهيد عثمان بن عفان ﷺ .

١٧٢- إن جهاد أبي بكر الصديق ﷺ لا ينكره أحد ، وتضحياته بالمال والنفس في سبيل الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام .

١٧٣- لقد كان الحزم الشديد والعزيمة التي لا تلين هما أبو بكر الصديق ﷺ ، وظهر ذلك في حروب الردة وانتصاره فيها .

١٧٤- هذه المحن التي حادت بالفاروق عمر عن رشده هي محنة موت رسول اللّه ﷺ .

١٧٥ ، ١٧٦- حين علم بموته شهر سيفه وقال :" إِنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ تُوُفِّيَ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مَا مَاتَ ، وَلَكِنْ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فَغَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ قِيلَ " مَاتَ " .. وَاللّهِ لَيَرْجعَنَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وأَرْجُلَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَات " ، وقد اضطرب المسلمون لِموت رسول اللّه ﷺ ، ومنهم مَن أُقْعِد فلم يطق القيام ، ومنهم مَن اعتقل لسانه فلم ينطق ، ومنهم مَن أنكر موته وقال :" إنما بُعِث إليه " ، ثم جاء أبو بكر ﷺ على فرسه من السنح ودخل على النبي ﷺ وهو مسجًّى وقَبَّله وقال :" طِبْتَ حَيّاً وَمَيْتا " ، وخرج إلى الناس فقال :" أَمَّا بَعْدُ .. مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللّهَ فَإِنَّ اللّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوت " ثم تلا قول اللّه تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ... ﴾ إلخ الآية .

١٧٧- اللهم صل وسلم على رسول اللّه ﷺ الذي كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه ..

مُحْيِي اللَّيَالِي صَلاَةً لاَ يُقَطِّعُهَا ... إلاَّ بِدَمْعٍ مِنَ الإِشْفَاقِ مُنْسَجِمِ[١٧٨]

مُسَبِّحاً لَكَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُحْتَمِلاً ... ضُرّاً مِنَ السُّهْدِ أَوْ ضُرّاً مِنَ الْوَرَمِ[١٧٩]

رَضِيَّةٌ نَفْسُهُ لاَ تَشْتَكِي سَأَماً ... ومَا مَعَ الْحُبِّ إِنْ أَخْلَصْتَ مِنْ سَأَمِ[١٨٠]

وصَلِّ رَبِّي عَلَى آلٍ لَهُ نُخَبٍ ... جَعَلْتَ فِيهِم لِوَاءَ الْبَيْتِ والْحَرَمِ[١٨١]

بِيضُ الْوُجُوهِ ووَجْهُ الدَّهْرِ ذُو حَلَكٍ ... شُمُّ الأُنُوفِ وأَنْفُ الْحَادِثَاتِ حَمِي[١٨٢]

وأَهْدِ خَيْرَ صَلاَةٍ مِنْكَ أَرْبَعَةً ... فِي الصَّحْبِ صُحْبَتُهُمْ مَرْعِيَّةُ الْحُرَمِ[١٨٣]

الرَّاكِبِينَ إِذَا نَادَى النَّبِيُّ بِهِمْ ... مَا هَالَ مِنْ جَلَلٍ واشْتَدَّ مِنْ عَمَمِ[١٨٤]

الصَّابِرِينَ ونَفْسُ الأَرْضِ واجِفَةٌ ... الضَّاحِكِينَ إِلَى الأَخْطَارِ والْقُحَمِ[١٨٥]

يَا رَبِّ هَبَّتْ شُعُوبٌ مِنْ مَنِيَّتِهَا ... واسْتَيْقَظَتْ أُمَمٌ مِنْ رَقْدَةِ الْعَدَمِ[١٨٦]

سَعْدٌ ونَحْسٌ ومُلْكٌ أَنْتَ مالِكُهُ ... تُدِيلُ مِنْ نِعَمٍ فِيهِ ومِنْ نِقَمِ[١٨٧]

رَأَى قَضَاؤُكَ فِينَا رَأْيَ حِكْمَتِهِ ... أَكْرِمْ بِوَجْهِكَ مِنْ قَاضٍ ومُنْتَقِمِ[١٨٨]

---

١٧٨ ، ١٧٩ – والذي كان دائم الاستغفار لكي يكون عبداً شكوراً وهو راضي النفس ، ومَن يحب لا يتعب أبداً .

١٨٠ – ولا يسأم مِن حبيبه ، وكذلك سيدنا محمد ﷺ لا يملّ ولا يتعب مِن ذكر الله ﷻ .

١٨١ – اللهم صل على رسول الله وعلى آله الذين عقد لهم لواء البيت والحرم .

١٨٢ – هؤلاء القوم كانوا نِعْم الرجال حينما يشتد الْخَطْب وحينما تشتد الأحداث وتَدْلَهِمّ الحادثات .

١٨٣ – اللهم صل على أصحابه الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ .

١٨٤ – هؤلاء الأربعة المستجيبون لِرسول الله ﷺ في كل خَطْب جلل .

١٨٥ – هؤلاء الأربعة الصابرون في البأساء والشدة الذين يقابلون الشدائد والأخطار بنفس راضية .

١٨٦ – لقد قامت شعوب واستيقظت مِن رقدها وكانت كالعدم .

١٨٧ – وكان مِن حكمك على هذه الأمم أن تسعد بعضها وتشقي البعض الآخر ؛ لأنك مالك الملك تعطي الدولة والسلطة والقوة لِهؤلاء وتنزعها مِن هؤلاء .

١٨٨ – وقد دالت دُوَل واندحرت وكانت مِن أكرم الدول وأعظمها .

فالْطُفْ لأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا   ولاَ تَزِدْ قَوْمَهُ خَسْفاً ولاَ تُسِمِ[١٨٩]

يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدْءَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ   فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وامْنَحْ حُسْنَ مُخْتَتَمِ[١٩٠]

١٨٩– يا رب بحق رسول اللّه الطف بنا مما نحن فيه من اندحار وخسف وهوان .

١٩٠– يا رب .. قد أحسنتَ بدء المسلمين وفتحوا العالَم بفضلك يا اللّه ، فاللهم أتمم فضلك يا اللّه ، فاللهم أتمم فضلك على أمة الإسلام يا ربنا وأَقِلْهَا مِن عثرتها واجعلها في حسن خاتمة .

والحمد لِلّه جل في علاه

ذكرى المولد

لأحمد شوقي

سَلُوا قَلْبِي غَدَاةَ سَلاَ وتَابَا لَعَلَّ عَلَى الْجَمَالِ لَهُ عِتَابَا
ويُسْأَلُ فِي الْحَوَادِثِ ذُو صَوَابٍ فَهَلْ تَرَكَ الْجَمَالُ لَهُ صَوَابَا ؟!
وكُنْتُ إذَا سَأَلْتُ الْقَلْبَ يَوْماً تَوَلَّى الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي الْجَوَابَا
ولِي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌ ولَحْمٌ هُمَا الْوَاهِي الَّذِي ثَكِلَ الشَّبَابَا[1]
تَسَرَّبَ فِي الدُّمُوعِ فَقُلْتُ : وَلَّى وصَفَّقَ فِي الضُّلُوعِ فَقُلْتُ : ثَابَا[2]
ولَوْ خُلِقَتْ قُلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ لَمَا حَمَلَتْ كَمَا حَمَلَ الْعَذَابَا
وأَحْبَابٍ سُقِيتُ بِهِمْ سُلاَفاً وكَانَ الْوَصْلُ مِنْ قِصَرٍ حَبَابَا[3]
ونَادَمْنَا الشَّبَابَ عَلَى بِسَاطٍ مِنَ اللَّذَّاتِ مُخْتَلِفٍ شَرَابَا
وكُلُّ بِسَاطِ عَيْشٍ سَوْفَ يُطْوَى وإنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وطَابَا
كَأَنَّ الْقَلْبَ بَعْدَهُمُ غَرِيبٌ إذَا عادَتْهُ ذِكْرَى الأَهْلِ ذابَا
ولاَ يُنْبِيكَ عَنْ خُلُقِ اللَّيَالِي كَمَنْ فَقَدَ الأَحِبَّةَ والصِّحَابَا
أَخَا الدُّنْيَا أَرَى دُنْيَاكَ أَفْعَى تُبَدِّلُ كُلَّ آونَةٍ إهَابَا
وأَنَّ الرُّقْطَ أَيْقَظُ هاجِعَاتٍ وأَتْرَعُ فِي ظِلاَلِ السِّلْمِ نابَا[4]
ومِنْ عَجَبٍ تُشَيِّبُ عاشِقِيهَا وتُفْنِيهِمْ ومَا بَرِحَتْ كَعَابَا[5]
فَمَنْ يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا فَإِنِّي لَبِسْتُ بِهَا فَأَبْلَيْتُ الثِّيَابَا

---

(١) الواهي : الضعيف – ثكل الشباب : فقده ، والمقصود بالدم واللحم هنا القلب .

(٢) ثاب : رجع بعد ذهاب .

(٣) السلاف : خالص الخمر – حباب الماء : نفاخاته التي تعلوه .

(٤) الرقط : جمع " رقطاء " ، وهي الحية على جلدها سواد مشوب بالبياض – أترع : أسرع إلى الشر .

(٥) الكعاب : الجارية الناهد .

لَهَا ضَحِكُ الْقِيَانِ إِلَى غَبِيٍّ ولِي ضَحِكُ اللَّبِيبِ إِذَا تَغَابَى[١]
جَنَيْتُ بِرَوْضِهَا وَرْداً وشَوْكاً وذُقْتُ بِكَأْسِهَا شَهْداً وصَابَا
فَلَمْ أَرَ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْماً ولَمْ أَرَ دُونَ بَابِ اللَّهِ بَابَا
ولاَ عَظَّمْتُ فِي الأَشْيَاءِ إِلاَّ صَحِيحَ الْعِلْمِ والأَدَبَ اللُّبَابَا[٢]
ولاَ كَرَّمْتُ إِلاَّ وَجْهَ حُرٍّ يُقَلِّدُ قَوْمَهُ الْمِنَنَ الرِّغَابَا[٣]
ولَمْ أَرَ مِثْلَ جَمْعِ الْمَالِ دَاءً ولاَ مِثْلَ الْبَخِيلِ بِهِ مُصَابَا
فَلاَ تَقْتُلْكَ شَهْوَتُهُ وزِنْهَا كَمَا تَزِنُ الطَّعَامَ أَوِ الشَّرَابَا
وخُذْ لِبَنِيكَ والأَيَّامِ ذُخْراً وأَعْطِ اللَّهَ حِصَّتَهُ احْتِسَابَا[٤]
فَلَوْ طَالَعْتَ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي وَجَدْتَ الْفَقْرَ أَقْرَبَهَا انْتِيَابَا[٥]
وأَنَّ الْبِرَّ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ وأَبْقَى بَعْدَ صَاحِبِهِ ثَوَابَا
وأَنَّ الشَّرَّ يَصْدَعُ فَاعِلِيهِ ولَمْ أَرَ خَيِّراً بِالشَّرِّ آبَا
فَرِفْقاً بِالْبَنِينِ إِذَا اللَّيَالِي عَلَى الأَعْقَابِ أَوْقَعَتِ الْعِقَابَا
ولَمْ يَتَقَلَّدُوا شُكْرَ الْيَتَامَى ولاَ ادَّرَعُوا الدُّعَاءَ الْمُسْتَجَابَا[٦]
عَجِبْتُ لِمَعْشَرٍ صَلُّوا وصَامُوا عَوَاهِرَ خَشْيَةً وتُقىً كِذَابَا[٧]
وتُلْفِيهِمْ حِيَالَ الْمَالِ صُمّاً إِذَا دَاعِي الزَّكَاةِ بِهِمْ أَهَابَا[٨]
لَقَدْ كَتَمُوا نَصِيبَ اللَّهِ مِنْهُ كَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحْصِ النِّصَابَا

---

(١) القيان : جمع " قينة " ، وهي الأمة المغنية .
(٢) اللباب : المختار الخالص .
(٣) الأرض الرغاب : التي لا تسيل إلا من مطر كثير .
(٤) احتسب عند اللّه أمراً : قدّمه .
(٥) انتابه : أتاه مرّةً بعد أخرى .
(٦) ادرع : لبس الدرع .
(٧) الكِذاب : الكذب .
(٨) أهاب به : دعاه .

وَمَنْ يَعْدِلْ بِحُبِّ اللَّهِ شَيْئاً ... كَحُبِّ الْمَالِ ضَلَّ هَوىً وخَابَا
أَرَادَ اللَّهُ بِالْفُقَرَاءِ بِرّاً ... وبالأَيْتَامِ حُبّاً وارْتِبَابَا[١]
فَرُبَّ صَغِيرِ قَوْمٍ عَلَّمُوهُ ... سَمَا وحَمَى الْمُسَوَّمَةَ الْعِرَابَا[٢]
وكَانَ لِقَوْمِهِ نَفْعاً وفَخْراً ... ولَوْ تَرَكُوهُ كانَ أَذىً وعَابَا[٣]
فَعَلِّمْ مَا اسْتَطَعْتَ لَعَلَّ جِيلاً ... سَيَأْتِي يُحْدِثُ الْعَجَبَ الْعُجَابَا
ولاَ تُرْهِقْ شَبَابَ الْحَيِّ يَأْساً ... فَإِنَّ الْيَأْسَ يَخْتَرِمُ الشَّبَابَا[٤]
يُرِيدُ الْخَالِقُ الرِّزْقَ اشْتِرَاكاً ... وإِنْ يَكُ خَصَّ أَقْوَاماً وحَابَى[٥]
فَمَا حَرَمَ الْمُجِدَّ جَنَى يَدَيْهِ ... ولاَ نَسِيَ الشَّقِيَّ ولاَ الْمُصَابَا[٦]
ولَوْلاَ الْبُخْلُ لَمْ يَهْلِكْ فَرِيقٌ ... عَلَى الأَقْدَارِ تَلْقَاهُمْ غِضَابَا
تَعِبْتُ بِأَهْلِهِ لَوْماً وقَبْلِي ... دُعَاةُ الْبِرِّ قَدْ سَئِمُوا الْخِطَابَا
ولَوْ أَنِّي خَطَبْتُ عَلَى جَمَادٍ ... فَجَرْتُ بِهِ الْيَنَابِيعَ الْعِذَابَا
أَلَمْ تَرَ لِلْهَوَاءِ جَرَى فَأَفْضَى ... إِلَى الأَكْوَاخِ واخْتَرَقَ الْقِبَابَا ؟![٧]
وأَنَّ الشَّمْسَ فِي الآفَاقِ تَغْشَى ... حِمَى كِسْرَى كَمَا تَغْشَى الْيَبَابَا ؟![٨]
وأَنَّ الْمَاءَ تَرْوَى الأُسْدُ مِنْهُ ... ويَشْفِي مِنْ تَلَعْلُعِهَا الْكِلاَبَا ؟![٩]
وسَوَّى اللَّهُ بَيْنَكُمُ الْمَنَايَا ... ووَسَّدَكُمْ مَعَ الرُّسْلِ التُّرَابَا[١٠]

---

(١) ارتبّ الصبي ارتباباً : رباه حتى أدرك .
(٢) الخيل المسومة : المرعية ، والخيل العراب : الكرائم .
(٣) العاب : العيب .
(٤) أرهقه طغياناً : أغشاه إياه ، ويخترم الشباب : يستأصله .
(٥) حاباه : اختصه ومال إليه .
(٦) الجنى : ما يُجْنَى من الشجر .
(٧) أفضى : بلغ .
(٨) اليباب : القفر .
(٩) تلعلع الكلب : دلع لسانه عطشاً .
(١٠) سوّى : جعلكم فيها سواءً .

وأَرْسَلَ عائِلا مِنكُمْ يَتِيماً دَنَا مِنْ ذِي الْجَلاَلِ فَكَانَ قَابَا[١]
نَبِيُّ الْبِرِّ بَيَّنَهُ سَبِيلاً وسَنَّ خِلاَلَهُ وهَدَى الشِّعَابَا[٢]
تَفَرَّقَ بَعْدَ عِيسَى النّاسُ فِيهِ فَلَمَّا جاءَ كانَ لَهُمْ مَتَابَا[٣]
وشَافِي النَّفسِ مِنْ نَزَعَاتِ شَرٍّ كَشَافٍ مِنْ طَبَائِعِهَا الذِّئَابَا[٤]
وكَانَ بَيَانُهُ لِلْهَدْيِ سُبْلاً وكَانَتْ خَيْلُهُ لِلْحَقِّ غَابَا
وعَلَّمَنَا بِنَاءَ الْمَجْدِ حَتَّى أَخَذْنَا إِمْرَةَ الأَرْضِ اغْتِصَابَا
ومَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي ولَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلاَبَا[٥]
ومَا اسْتَعْصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ إِذَا الإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا

****

تَجَلَّى مَوْلِدُ الْهَادِي وعَمَّتْ بَشَائِرُهُ الْبَوَادِيَ والْقِصَابَا[٦]
وأَسْدَتْ لِلْبَرِيَّةِ بِنْتُ وَهْبٍ يَداً بَيْضَاءَ طَوَّقَتِ الرِّقَابَا[٧]
لَقَدْ وَضَعَتْهُ وَهّاجاً مُنِيراً كَمَا تَلِدُ السَّمَاوَاتُ الشِّهَابَا[٨]
فَقَامَ عَلَى سَمَاءِ الْبَيْتِ نُوراً يُضِيءُ جِبَالَ مَكَّةَ والنِّقَابَا[٩]
وضَاعَتْ يَثْرِبُ الْفَيْحَاءُ مِسْكاً وفَاحَ الْقَاعُ أَرْجَاءً وطَابَا[١٠]

---

(١) عائلاً : فقيراً ، وقاب القوس : ما بين المقبض وطرف القوس ، والمراد أنه كان قريباً .
(٢) الشعاب : الطرق .
(٣) الضمير في " فيه " يعود على البرّ .
(٤) النزغات : الوساوس .
(٥) غلاباً : قهراً .
(٦) القصابا : جمع " قصبة " ، وهي المدينة .
(٧) بنت وهب : السيدة آمنة أمه ﷺ .
(٨) الشهاب : الكوكب .
(٩) نقاب : جمع " نقب " ، وهو الطريق في الجبل .
(١٠) ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

أَبَا الزَّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِي بِمَدْحِكَ بَيْدَ أَنَّ لِيَ انْتِسَابَا
فَمَا عَرَفَ الْبَلاَغَةَ ذُو بَيَانٍ إِذَا لَمْ يَتَّخِذْكَ لَهُ كِتَابَا
مَدَحْتُ الْمَالِكِينَ فَزِدْتُ قَدْراً فَحِينَ مَدَحْتُكَ اقْتَدْتُ السَّحَابَا
سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي فَإِنْ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا
ومَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ إِذَا مَا الضُّرُّ مَسَّهُمُ ونَابَا[1]
كَأَنَّ النَّحْسَ حِينَ جَرَى عَلَيْهِمْ أَطَارَ بِكُلِّ مَمْلَكَةٍ غُرَابَا
ولَوْ حَفِظُوا سَبِيلَكَ كَانَ نُوراً وكَانَ مِنَ النُّحُوسِ لَهُمْ حِجَابَا[2]
بَنَيْتَ لَهُمْ مِنَ الأَخْلاَقِ رُكْناً فَخَانُوا الرُّكْنَ فَانْهَدَمَ اضْطِرَابَا
وكَانَ جَنَابُهُمْ فِيهَا مَهِيباً ولِلأَخْلاَقِ أَجْدَرُ أَنْ تُهَابَا[3]
فَلَوْلاَهَا لَسَاوَى اللَّيْثُ ذِئْباً وسَاوَى الصَّارِمُ الْمَاضِي قِرَابَا[4]
فَإِنْ قُرِنَتْ مَكَارِمُهَا بِعِلْمٍ تَذَلَّلَتِ الْعُلاَ بِهِمَا صِعَابَا
وفِي هَذَا الزَّمَانِ مَسِيحُ عِلْمٍ يَرُدُّ عَلَى بَنِي الأُمَمِ الشَّبَابَا

---

(١) نابًا : عضهم الشر وآذاهم .

(٢) النحوس : سوء الحظ .

(٣) جنابهم : ركنهم .

(٤) الصارم : السيف ، والقراب : الغمد .

(٥) الليث : الأسد .

الهمزية النبوية

لأحمد شوقي

وُلِدَ الْهُدَى فالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ   وفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وثَنَاءُ

الرُّوحُ والْمَلأُ الْمَلاَئِكُ حَوْلَهُ   لِلدِّينِ والدُّنْيَا بِهِ بُشَرَاءُ[١]

والْعَرْشُ يَزْهُو والْحَظِيرَةُ تَزْدَهِي   والْمُنْتَهَى والسِّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ[٢]

وحَدِيقَةُ الْفُرْقَانِ ضَاحِكَةُ الرُّبَا   بِالتُّرْجُمَانِ شَذِيَّةٌ غَنَّاءُ[٣]

والْوَحْيُ يَقْطُرُ سَلْسَلاً مِنْ سَلْسَلٍ   واللَّوْحُ والْقَلَمُ الْبَدِيعُ رُوَاءُ[٤]

نُظِمَتْ أَسَامِي الرُّسْلِ فَهْيَ صَحِيفَةٌ   فِي اللَّوْحِ واسْمُ مُحَمَّدٍ طُغَرَاءُ[٥]

اسْمُ الْجَلاَلَةِ فِي بَدِيعِ حُرُوفِهِ   أَلِفٌ هُنَالِكَ واسْمُ طَهَ الْبَاءُ

****

يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الْوُجُودَ تَحِيَّةً   مِنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الْهُدَى بِكَ جَاءُوا

بَيْتُ النَّبِيِّينَ الَّذِي لاَ يَلْتَقِي   إِلاَّ الْحَنَائِفُ فِيهِ والْحُنَفَاءُ[٦]

خَيْرُ الأُبُوَّةِ حَازَهُمْ لَكَ آدَمٌ   دُونَ الأَنَامِ وأَحْرَزَتْ حَوَّاءُ

هُمْ أَدْرَكُوا عِزَّ النُّبُوَّةِ وانْتَهَتْ   فِيهَا إِلَيْكَ الْعِزَّةُ الْقَعْسَاءُ[٧]

---

(١) الروح الأمين : لقب جبريل ، والملأ : الأشراف ، والملائك : الملائكة ، وبشراء : جمع " بشير " .

(٢) يزهو : يشرق ، وسدرة المنتهى : يقال إنها شجرة نبق على يمين العرش .

(٣) الربا : جمع " ربوة " ، وهي ما ارتفع من الأرض .

(٤) الرواء : ماء الوجه وحسن المنظر .

(٥) الطغراء : ما يسميه العامة " طرة " ، وأصلها " طغرى " بالقصر ، وهي التي تُكتب بالقلم الغليظ في صدر الأوامر ، وهي الظاهرة والواضحة .

(٦) الحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام ، وكل من كان على دين إبراهيم عليه السلام ، والجمع " حنفاء " ، والمؤنث " حنيفة " ، وجمعها " حنائف " .

(٧) القعساء : المنيعة الثابتة .

خُلِقَتْ لِبَيْتِكَ وهْوَ مَخْلُوقٌ لَهَا إنَّ الْعَظَائِمَ كُفْؤُهَا الْعُظَمَاءُ
بِكَ بَشَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَزُيِّنَتْ وتَضَوَّعَتْ مِسْكاً بِكَ الْغَبْرَاءُ[١]
وبَدَا مُحَيَّاكَ الَّذِي قَسَمَاتُهُ حَقٌّ وغُرَّتُهُ هُدىً وحَيَاءُ[٢]
وعَلَيْهِ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ رَوْنَقٌ ومِنَ الْخَلِيلِ وهَدْيِهِ سِيمَاءُ[٣]
أَثْنَى الْمَسِيحُ عَلَيْهِ خَلْفَ سَمَائِهِ وتَهَلَّلَتْ واهْتَزَّتِ الْعَذْرَاءُ[٤]
يَوْمٌ يَتِيهُ عَلَى الزَّمَانِ صَبَاحُهُ ومَسَاؤُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضَّاءُ
الْحَقُّ عالِي الرُّكْنِ فِيهِ مُظَفَّرٌ فِي الْمُلْكِ لاَ يَعْلُو عَلَيْهِ لِوَاءُ
ذُعِرَتْ عُرُوشُ الظَّالِمِينَ فَزُلْزِلَتْ وعَلَتْ عَلَى تِيجَانِهِمْ أَصْدَاءُ
والنَّارُ خاوِيَةُ الْجَوَانِبِ حَوْلَهُمْ خَمَدَتْ ذَوَائِبُهَا وغَاضَ الْمَاءُ[٥]
والآيُ تَتْرَى والْخَوَارِقُ جَمَّةٌ جِبْرِيلُ رَوَّاحٌ بِهَا غَدَّاءُ[٦]
نِعْمَ الْيَتِيمُ بَدَتْ مَخَايِلُ فَضْلِهِ والْيُتْمُ رِزْقٌ بَعْضُهُ وذَكَاءُ[٧]
فِي الْمَهْدِ يُسْتَسْقَى الْحَيَا بِرَجَائِهِ وبِقَصْدِهِ تُسْتَدْفَعُ الْبَأْسَاءُ[٨]
بِسِوَى الأَمَانَةِ فِي الصِّبَا والصِّدْقِ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ الصِّدْقِ والأُمَنَاءُ
يَا مَنْ لَهُ الأَخْلاَقُ مَا تَهْوَى الْعُلاَ مِنْهَا ومَا يَتَعَشَّقُ الْكُبَرَاءُ
لَوْ لَمْ تُقِمْ دِيناً لَقَامَتْ وَحْدَهَا دِيناً تُضِيءُ بِنُورِهِ الآنَاءُ
زَانَتْكَ فِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلٌ يُغْرَى بِهِنَّ ويُولَعُ الْكُرَمَاءُ

(١) تضوع المسك : انتشرت رائحته ، والغبراء : الأرض .
(٢) القسمة : ما بين الوجنتين والأنف ، وجمعها " قسمات " .
(٣) الخليل : سيدنا إبراهيم عليه السلام .
(٤) العذراء : السيدة مريم عليها السلام .
(٥) خمدت النار : سكن لهيبها ، والذوائب : جمع " ذؤابة " ، وهي أعلى كل شيء ، والمراد بالذوائب هنا ألسنة اللهب .
(٦) تترى : تتوالى ، ورَوّاح غدّاء : أي يروح ويغدو .
(٧) المخيلة : المظنة .
(٨) استسقى الرجل : طلب السقي ، والحيا : المطر .

أَمَّا الْجَمَالُ فَأَنْتَ شَمْسُ سَمَائِهِ ... ومَلاَحَةُ الصِّدِّيقِ مِنْكَ أَيَاءُ[١]

والْحُسْنُ مِنْ كَرَمِ الْوُجُوهِ وخَيْرُهُ ... مَا أُوتِيَ الْقُوّادُ والزُّعَمَاءُ

فَإِذَا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَى ... وفَعَلْتَ مَا لاَ تَفْعَلُ الأَنْوَاءُ[٢]

وإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِراً ومُقَدَّراً ... لاَ يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الْجُهَلاَءُ

وإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ ... هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ

وإِذَا غَضِبْتَ فَإِنَّمَا هِيَ غَضْبَةٌ ... فِي الْحَقِّ لاَ ضِغْنٌ ولاَ بَغْضَاءُ[٣]

وإِذَا رَضِيتَ فَذَاكَ فِي مَرْضَاتِهِ ... ورِضَا الْكَثِيرِ تَحَلُّمٌ ورِيَاءُ[٤]

وإِذَا خَطَبْتَ فَلِلْمَنَابِرِ هِزَّةٌ ... تَعْرُو النَّدِيَّ ولِلْقُلُوبِ بُكَاءُ[٥]

وإِذَا قَضَيْتَ فَلاَ ارْتِيَابَ كَأَنَّمَا ... جاءَ الْخُصُومَ مِنَ السَّمَاءِ قَضَاءُ

وإِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يُورَدْ ولَوْ ... أَنَّ الْقَيَاصِرَ والْمُلُوكَ ظِمَاءُ

وإِذَا أَجَرْتَ فَأَنْتَ بَيْتُ اللَّهِ لَمْ ... يَدْخُلْ عَلَيْهِ الْمُسْتَجِيرَ عَدَاءُ

وإِذَا مَلَكْتَ النَّفْسَ قُمْتَ بِبِرِّهَا ... ولَوَ انَّ مَا مَلَكَتْ يَدَاكَ الشَّاءُ

وإِذَا بَنَيْتَ فَخَيْرُ زَوْجٍ عِشْرَةً ... وإِذَا ابْتَنَيْتَ فَدُونَكَ الآبَاءُ[٦]

وإِذَا صَحِبْتَ رَأَى الْوَفَاءَ مُجَسَّماً ... فِي بُرْدِكَ الأَصْحَابُ والْخُلَطَاءُ

وإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ أَوْ أَعْطَيْتَهُ ... فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ ووَفَاءُ

وإِذَا مَشَيْتَ إِلَى الْعِدَا فَغَضَنْفَرٌ ... وإِذَا جَرَيْتَ فَإِنَّكَ النَّكْبَاءُ[٧]

وتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلسَّفِيهِ مُدَارِياً ... حَتَّى يَضِيقَ بِعَرْضِكَ السُّفَهَاءُ

---

(١) أياء الشمس وآياها : نورها وحسنها .

(٢) النوء : المطر .

(٣) الضغن : الحقد .

(٤) التحلم : تكلف الحلم .

(٥) الندي : النادي .

(٦) بنى بأهله : زف إليهم ، وابتنى : صار له بنون .

(٧) غضنفر : أسد ، والنكباء : ريح بين ريحين .

فِي كُلِّ نَفسٍ مِنْ سُطَاكَ مَهَابَةٌ ... ولِكُلِّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَجَاءُ[١]

والرَّأْيُ لَمْ يُنْضَ الْمُهَنَّدُ دُونَهُ ... كالسَّيْفِ لَمْ تَضْرِبْ بِهِ الآرَاءُ[٢]

****

يَا أَيُّهَا الأُمِّيُّ حَسْبُكَ رُتْبَةً ... فِي الْعِلْمِ أَنْ دانَتْ بِكَ الْعُلَمَاءُ[٣]

الذِّكْرُ آيَةُ رَبِّكَ الْكُبْرَى الَّتِي ... فِيهَا لِبَاغِي الْمُعْجِزَاتِ غَنَاءُ[٤]

صَدْرُ الْبَيَانِ لَهُ إِذَا الْتَقَتِ اللُّغَى ... وتَقَدَّمَ الْبُلَغَاءُ والْفُصَحَاءُ[٥]

نُسِخَتْ بِهِ التَّوْرَاةُ وهْيَ وَضِيئَةٌ ... وتَخَلَّفَ الإِنْجِيلُ وهْوَ ذُكَاءُ[٦]

لَمَّا تَمَشَّى فِي الْحِجَازِ حَكِيمُهُ ... فُضَّتْ عُكَاظُ بِهِ وقَامَ حِرَاءُ[٧]

أَزْرَى بِمَنْطِقِ أَهْلِهِ وبَيَانِهِمْ ... وَحْيٌ يُقَصِّرُ دُونَهُ الْبُلَغَاءُ[٨]

حَسَدُوا فَقَالُوا شاعِرٌ أَوْ ساحِرٌ ... ومِنَ الْحَسُودِ يَكُونُ الاسْتِهْزَاءُ

قَدْ نالَ بِالْهَادِي الْكَرِيمِ وبِالْهُدَى ... مَا لَمْ تَنَلْ مِنْ سُؤْدُدٍ سَيْنَاءُ

أَمْسَى كَأَنَّكَ مِنْ جَلاَلِكَ أُمَّةٌ ... وكَأَنَّهُ مِنْ أُنْسِهِ بَيْدَاءُ

يُوحَى إِلَيْكَ الْفَوْزُ فِي ظُلُمَاتِهِ ... مُتَتَابِعاً تُجْلَى بِهِ الظَّلْمَاءُ

دِينٌ يُشَيَّدُ آيَةً فِي آيَةٍ ... لَبِنَاتُهُ السُّورَاتُ والأَضْوَاءُ

الْحَقُّ فِيهِ هُوَ الأَسَاسُ وكَيْفَ لاَ ... واللَّهُ جَلَّ جَلاَلُهُ الْبَنَّاءُ

أَمَّا حَدِيثُكَ فِي الْعُقُولِ فَمَشْرَعٌ ... والْعِلْمُ والْحِكَمُ الْغَوَالِي الْمَاءُ[٩]

---

(١) سطا : جمع " سطوة " .

(٢) نضا السيف من غمده : سلّه ، والمهند : السيف المطبوع من حديد .

(٣) دان به : اتخذه ديناً .

(٤) الباغي : الطالب ، والغناء : مما يُغني .

(٥) اللغى : جمع " لغة " .

(٦) ذُكاء : من أسماء الشمس .

(٧) حراء : الغار الذي كان يتعبد فيه النبي ﷺ ونزل عليه فيه الوحي .

(٨) أزرى به : عابه .

(٩) مشرع : مورد .

هُوَ صِبْغَةُ الْفُرْقَانِ نَفْحَةُ قُدْسِهِ والسِّينُ مِنْ سَوْرَاتِهِ والرّاءُ[(١)]
جَرَتِ الْفَصَاحَةُ مِنْ يَنَابِيعَ النُّهَى مِنْ دَوْحِهِ وتَفَجَّرَ الإِنْشَاءُ[(٢)]
فِي بَحْرِهِ لِلسّابِحِينَ بِهِ عَلَى أَدَبِ الْحَيَاةِ وعِلْمِهَا إِرْسَاءُ
أَتَتِ الدُّهُورُ عَلَى سُلاَفَتِهِ ولَمْ تَفْنَ السُّلاَفُ ولاَ سَلاَ النُّدَمَاءُ[(٣)]
بِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللّهِ قامَتْ سَمْحَةٌ بِالْحَقِّ مِنْ مِلَلِ الْهُدَى غَرّاءُ[(٤)]
بُنِيَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ وهْيَ حَقِيقَةٌ نادَى بِهَا سُقْرَاطُ والْقُدَمَاءُ
وَجَدَ الزُّعَافَ مِنَ السُّمُومِ لأَجْلِهَا كالشَّهْدِ ثُمَّ تَتَابَعَ الشُّهَدَاءُ
ومَشَى عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ بِنُورِهَا كُهّانُ وادِي النِّيلِ والْعُرَفَاءُ[(٥)]
إِيزِيسُ ذاتُ الْمُلْكِ حِينَ تَوَحَّدَتْ أَخَذَتْ قِوَامَ أُمُورِهَا الأَشْيَاءُ[(٦)]
لَمَّا دَعَوْتَ النّاسَ لَبَّى عاقِلٌ وأَصَمَّ مِنْكَ الْجاهِلِينَ نِدَاءُ
أَبَوُا الْخُرُوجَ إِلَيْكَ مِنْ أَوْهَامِهِمْ والنّاسُ فِي أَوْهَامِهِمْ سُجَنَاءُ
ومِنَ الْعُقُولِ جَدَاوِلٌ وجَلاَمِدٌ ومِنَ النُّفُوسِ حَرَائِرٌ وإِمَاءُ[(٧)]
داءُ الْجَمَاعَةِ مِنْ أَرِسْطَالِيسَ لَمْ يُوصَفْ لَهُ حَتَّى أَتَيْتَ دَوَاءُ
فَرَسَمْتَ بَعْدَكَ لِلْعِبَادِ حُكُومَةً لاَ سُوقَةٌ فِيهَا ولاَ أُمَرَاءُ
اللّهُ فَوْقَ الْخَلْقِ فِيهَا وَحْدَهُ والنّاسُ تَحْتَ لِوَائِهَا أَكْفَاءُ
والدِّينُ يُسْرٌ والْخِلاَفَةُ بَيْعَةٌ والأَمْرُ شُورَى والْحُقُوقُ قَضَاءُ

---

(١) الصبغة : النوع .
(٢) الدوح : الشجر العظيم المتسع .
(٣) السلاف والسلافة : أفضل الخمر .
(٤) السمحة : الملة التي ليس فيها ضيق .
(٥) العراف : المنجم ، والجمع " عرفاء " .
(٦) إيزيس : من آلهة المصريين القدماء .
(٧) الجدول : النهر الصغير ، والجلمود : الصخر .

الاشْتِرَاكِيُّونَ أَنْتَ إمَامُهُمْ لَوْلاَ دَعَاوَى الْقَوْمِ والْغُلْوَاءُ[١]
داوَيْتَ مُتَّئِداً وداوَوْا طَفْرَةً وأَخَفُّ مِنْ بَعْضِ الدَّوَاءِ الدّاءُ[٢]
الْحَرْبُ فِي حَقٍّ لَدَيْكَ شَرِيعَةٌ ومِنَ السُّمُومِ النّاقِعَاتِ دَوَاءُ[٣]
والْبِرُّ عِنْدَكَ ذِمَّةٌ وفَرِيضَةٌ لاَ مِنَّةٌ مَمْنُونَةٌ وجَبَاءُ[٤]
جاءَتْ فَوَحَّدَتِ الزَّكَاةُ سَبِيلَهُ حَتَّى الْتَقَى الْكُرَمَاءُ والْبُخَلاَءُ
أَنْصَفْتَ أَهْلَ الْفَقْرِ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى فالْكُلُّ فِي حَقِّ الْحَيَاةِ سَوَاءُ
فَلَوَ انَّ إنْسَاناً تَخَيَّرَ مِلَّةً مَا اخْتَارَ إلاَّ دِينَكَ الْفُقَرَاءُ

****

يَا أَيُّهَا الْمُسْرَى بِهِ شَرَفاً إِلَى مَا لاَ تَنَالُ الشَّمْسُ والْجَوْزَاءُ[٥]
يَتَسَاءَلُونَ وأَنْتَ أَطْهَرُ هَيْكَلٍ بِالرُّوحِ أَمْ بِالْهَيْكَلِ الإسْرَاءُ ؟![٦]
بِهِمَا سَمَوْتَ مُطَهَّرَيْنِ كِلاَهُمَا نُورٌ ورَيْحَانِيَّةٌ وبَهَاءُ
فَضْلٌ عَلَيْكَ لِذِي الْجَلاَلِ ومِنَّةٌ واللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرَى ويَشَاءُ
تَغْشَى الْغُيُوبَ مِنَ الْعَوَالِمِ كُلَّمَا طُوِيَتْ سَمَاءٌ قُلِّدَتْكَ سَمَاءُ[٧]
فِي كُلِّ مِنْطَقَةٍ حَوَاشِي نُورُهَا نُونٌ وأَنْتَ النُّقْطَةُ الزَّهْرَاءُ
أَنْتَ الْجَمَالُ بِهَا وأَنْتَ الْمُجْتَلَى والْكَفُّ والْمِرْآةُ والْحَسْنَاءُ
اللَّهُ هَيَّأَ مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِهِ نُزُلاً لِذَاتِكَ لَمْ يَجُزْهُ عَلاَءُ
الْعَرْشُ تَحْتَكَ سُدَّةً وقَوَائِماً ومَنَاكِبُ الرُّوحِ الأَمِينِ وِطَاءُ

(١) الغلواء : الغلو .
(٢) متئداً : متأنياً .
(٣) الناقعات : القاتلات .
(٤) البر : الإحسان ، وذمة : عهد ، والمنة : العطية ، والممنونة : المتبوعة بالمن .
(٥) الإسراء : السير ليلاً .
(٦) الهيكل : الجسم والصورة والشخص .
(٧) غشي المكان يغشاه : أتاه .

والرُّسْلُ دُونَ الْعَرْشِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ حاشا لِغَيْرِكَ مَوْعِدٌ ولِقَاءُ

****

الْخَيْلُ تَأْبَى غَيْرَ أَحْمَدَ حامِياً وبِهَا إذَا ذُكِرَ اسْمُهُ خُيَلاءُ
شَيْخُ الْفَوَارِسِ يَعْلَمُونَ مَكَانَهُ إِنْ هَيَّجَتْ آسَادَهَا الْهَيْجَاءُ
وإِذَا تَصَدَّى لِلظُّبَى فَمُهَنَّدٌ أَوْ لِلرِّمَاحِ فَصَعْدَةٌ سَمْرَاءُ[١]
وإِذَا رَمَى عَنْ قَوْسِهِ فَيَمِينُهُ قَدَرٌ ومَا تَرْمِي الْيَمِينُ قَضَاءُ
مِنْ كُلِّ داعِي الْحَقِّ هِمَّةُ سَيْفِهِ فَلِسَيْفِهِ فِي الرَّاسِيَاتِ مَضَاءُ[٢]
ساقِي الْجَرِيحِ ومُطْعِمُ الأَسْرَى ومَنْ أَمِنَتْ سَنَابِكَ خَيْلِهِ الأَشْلاَءُ
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الرِّجَالِ غَلاَظَةٌ مَا لَمْ تَزِنْهَا رَأْفَةٌ وسَخَاءُ
والْحَرْبُ مِنْ شَرَفِ الشُّعُوبِ فَإِنْ بَغَوْا فالْمَجْدُ مِمَّا يَدَّعُونَ بَرَاءُ
والْحَرْبُ يَبْعَثُهَا الْقَوِيُّ تَجَبُّراً ويَنُوءُ تَحْتَ بَلاَئِهَا الضُّعَفَاءُ
كَمْ مِنْ غُزَاةٍ لِلرَّسُولِ كَرِيمَةٍ فِيهَا رِضاً لِلْحَقِّ أَوْ إِعْلاَءُ
كانَتْ لِجُنْدِ اللَّهِ فِيهَا شِدَّةٌ فِي إِثْرِهَا لِلْعَالَمِينَ رَخَاءُ
ضَرَبُوا الضَّلاَلَةَ ضَرْبَةً ذَهَبَتْ بِهَا فَعَلَى الْجَهَالَةِ والضَّلاَلِ عَفَاءُ
دَعَمُوا عَلَى الْحَرْبِ السَّلاَمَ وطَالَمَا حَقَنَتْ دِمَاءً فِي الزَّمَانِ دِمَاءُ

****

الْحَقُّ عِرْضُ اللَّهِ كُلُّ أَبِيَّةٍ بَيْنَ النُّفُوسِ حِمىً لَهُ ووِقَاءُ
هَلْ كانَ حَوْلَ مُحَمَّدٍ مِنْ قَوْمِهِ إِلاَّ صَبِيٌّ واحِدٌ ونِسَاءُ ؟!
فَدَعَا فَلَبَّى فِي الْقَبَائِلِ عُصْبَةٌ مُسْتَضْعَفُونَ قَلاَئِلٌ أَنْضَاءُ[٣]
رَدُّوا بِبَأْسِ الْعَزْمِ عَنْهُ مِنَ الأَذَى مَا لاَ تَرُدُّ الصَّخْرَةُ الصَّمَّاءُ

---

(١) الظبى : جمع " ظبة " ، وهي حد السيف ، والصعدة : القناة المستوية .

(٢) مضى لسيف مضاءً : قطع .

(٣) النضو : المهزول من الإبل وغيرها .

والْحَقُّ والإِيمَانُ إنْ صُبَّا عَلَى بُرْدٍ فَفِيهِ كَتِيبَةٌ خَرْسَاءُ[١]
نَسَفُوا بِنَاءَ الشِّرْكِ فَهْوَ خَرَائِبٌ واسْتَأْصَلُوا الأَصْنَامَ فَهْيَ هَبَاءُ[٢]
يَمْشُونَ تُغْضِي الأَرْضُ مِنْهُمْ هَيْبَةً وبِهِمْ حِيَالَ نَعِيمِهَا إغْضَاءُ
حَتَّى إذَا فُتِحَتْ لَهُمْ أَطْرَافُهَا لَمْ يُطْغِهِمْ تَرَفٌ ولاَ نَعْمَاءُ

****

يَا مَنْ لَهُ عِزُّ الشَّفَاعَةِ وَحْدَهُ وهُوَ الْمُنَزَّهُ مَا لَهُ شُفَعَاءُ
عَرْشُ الْقِيَامَةِ أَنْتَ تَحْتَ لِوَائِهِ والْحَوْضُ أَنْتَ حِيَالَهُ السَّقَّاءُ
تَرْوِي وتَسْقِي الصَّالِحِينَ ثَوَابَهُمْ والصَّالِحَاتُ ذَخَائِرٌ وجَزَاءُ
أَلِمِثْلِ هَذَا ذُقْتَ فِي الدُّنْيَا الطَّوَى والْشَقَّ مِنْ خَلَقٍ عَلَيْكَ رِدَاءُ ؟!
لِي فِي مَدِيحِكَ يَا رَسُولُ عَرَائِسٌ تُيِّمْنَ فِيكَ وشَاقَهُنَّ جَلاَءُ[٣]
هُنَّ الْحِسَانُ فَإنْ قَبِلْتَ تَكَرُّماً فَمُهُورُهُنَّ شَفَاعَةٌ حَسْنَاءُ
أَنْتَ الَّذِي نَظَمَ الْبَرِيَّةَ دِينُهُ مَاذَا يَقُولُ ويَنْظُمُ الشُّعَرَاءُ ؟!
الْمُصْلِحُونَ أَصَابِعٌ جُمِعَتْ يَداً هِيَ أَنْتَ بَلْ أَنْتَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
مَا جِئْتُ بَابَكَ مَادِحاً بَلْ دَاعِياً ومِنَ الْمَدِيحِ تَضَرُّعٌ ودُعَاءُ
أَدْعُوكَ عَنْ قَوْمِي الضِّعَافِ لأَزْمَةٍ فِي مِثْلِهَا يُلْقَى عَلَيْكَ رَجَاءُ
أَدَرَى رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ نُفُوسَهُمْ رَكِبَتْ هَوَاهَا والْقُلُوبُ هَوَاءُ ؟!
مُتَفَكِّكُونَ فَمَا تَضُمُّ نُفُوسَهُمْ ثِقَةٌ ولاَ جَمَعَ الْقُلُوبَ صَفَاءُ
رَقَدُوا وغَرَّهُمُ نَعِيمٌ بَاطِلٌ ونَعِيمُ قَوْمٍ فِي الْقُيُودِ بَلاَءُ

****

ظَلَمُوا شَرِيعَتَكَ الَّتِي نِلْنَا بِهَا مَا لَمْ يَنَلْ فِي رُومَةِ الْفُقَهَاءُ

(١) الكتيبة الخرساء : التي لا يُسمع فيها صوت .
(٢) الهباء : الغبار .
(٣) شاقه الحب : هاجه .

مَشَتِ الْحَضَارَةُ فِي سَنَاهَا واهْتَدَى فِي الدِّينِ والدُّنْيَا بِهَا السُّعَدَاءُ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا صَحِبَ الدُّجَى حادٍ وحَنَّتْ بالْفَلاَ وَجْنَاءُ[1]
واسْتَقْبَلَ الرِّضْوَانَ فِي غُرُفَاتِهِمْ بِجِنَانِ عَدْنٍ آلُكَ السُّمَحَاءُ
خَيْرُ الْوَسَائِلِ مَنْ يَقَعْ مِنْهُمْ عَلَى سَبَبٍ إِلَيْكَ فَحَسْبِيَ الزَّهْرَاءُ

(١) الوجناء : الناقة الشديدة .

كشف الغمة في مدح سيد الأمة

للشاعر محمود سامي البارودي

* مقدمة البارودي لِديوانه :

لقد أعجبتُ أيما إعجاب بالمقدمة الجميلة التي قدَّم بها البارودي ديوانه لِعشاق الشعر ، وأحببتُ أن يشاركني القارئ الكريم متعة قراءتها ؛ لأنها تحفة فنية أدبية ودراسة موجزة لِماهية الشعر وتعريفه ، وقد نقلتُها كما هي ..

يقول رب السيف والقلم الشاعر المجدد باعث نهضة الشعر : محمود سامي البارودي :

قال الفقير إلى رحمة الله تعالى محمود البارودي :

اللّهُمّ إني أَحْمَدُك على ما هَدَيْتَ ، وأَشْكُرُك على جَزيل ما أَسْدَيْتَ ، وأَسْتَعِينُك على رِعَايَةِ ما أَسْبَغْتَ مِنَ النِّعَم ، وأَسْتَهْدِيك لِشُكْرِ ما أَثْبَتَّ مِنَ الدِّعَم ، وأَعُوذ بك مِنْ عَثَرَات اللِّسَان وغَفَلاَت الْجَنَان ، كَمَا أَعُوذ بك مِنْ غَدَرَاتِ الزَّمَان وبَغَتَات الْحَدَثَان ، وأَسْأَلُك اللُّطْفَ فِيمَا قَضَيْتَ ، والْمَعُونَةَ على ما أَمْضَيْتَ ، وأَسْتَغْفِرُك مِنْ قَوْلٍ يَعْقُبُه النَّدَم ، أَوْ فِعْلٍ تَزِلُّ به الْقَدَم ، فَأَنْتَ الثِّقَة لِمنْ تَوَكَّلَ عَلَيْك ، والْعِصْمَة لِمَنْ فَوَّض أَمْرَه إِلَيْك .

وأَشْهَد أنّ مُحَمّداً رَسُولُكَ الأَمِين وشَفِيعُكَ الضَّمِين ، الذي بَعَثْتَه بالنُّور الباهر والبرهان القاهر ، فَقَام بالْحَقّ صادعاً ولِلضَّلاَلة رادِعاً حتّى ثَبَتَ الدِّين ووَضَح اليقين .. اللّهُمّ فَصَلِّ عَلَيْه ما أَشْرَق النَّجْم وأَوْرَق الشَّجَر والنَّجْم[1] ، وعلى آلِه بُدُور الْمَحَافِل ، وأَصْحَابه صُدُور الْجَحَافِل ، صلاةً يَهْتَزّ لها الْفَلَك ويَتَنَزَّل برضوانها الْمَلَك ، واحْشُرْنَا في زُمْرَتِهِمْ مع القوم الفائزين ، ولا تَجْعَلْنَا من المغضوب عَلَيْهِمْ ولا الضَّالِّين .. آمين .

وبعــدُ .. فإنّ الشِّعْر لُمْعَة خيالِيّة يتأَلّق وَمِيضُهَا في سَمَاوة الفِكْر ، فتَنْبَعِث

(١) النجم من النبات : ما يقوم على ساق .

أَشِعَّتُهَا إلى صَحِيفَة القلب ، فيفيض بلألائِها نوراً يتّصل خَيْطُه بأَسَلَة اللِّسَان[١] ، فينفث بألوان مِنَ الْحِكْمَة ينبلج بها الحالك ويهتدي بدليلها السالك .

وخير الكلام ما ائْتَلَفَتْ ألفاظه وائْتَلَقَتْ مَعانيه ، وكان قَرِيبَ المأخذ بَعِيدَ الْمَرْمَى ، سليماً مِن وَصْمَة التَّكلُّف بريئاً من عَشْوَة التَّعَسُّف ، غَنيّاً عن مراجَعَة الفكرة .. فهذه صفة الشِّعْر الجيِّد ، فَمَنْ آتاه اللّه منه حَظّاً وكان كريمَ الشمائل طاهرَ النَّفْس فقد مَلَك أعِنَّة القلوب ونال مَوَدّة النُّفُوس وصار بين قومِه كالْغُرَّة في الجواد الأَدْهَم والبدر في الظلام الأَيْهَم[٢] .

ولو لم يَكُنْ مِن حَسَنَات الشِّعْر الحكيم إلا تهذيب النفوس وتدريب الأفهام وتنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق لكان قد بَلَغ الغايةَ التي ليس وراءها لِذِي رغبَةٍ مَسْرَح ، وارْتَبَأ[٣] الصَّهْوَةَ التي ليس دونها لِذِي هِمَّةٍ مَطْمَح .

ومِن عجائبه : تنافُسُ الناسِ فيه ، وتغايُر الطباع عليه ، وصغو الأسماع إليه ، كأنّما هو مخلوق مِن كُلّ نفس ، أو مطبوع مِن كُلّ قلب ؛ فإنّكَ ترى الأمم - على اختلاف ألسنتهم وتبايُن أخلاقهم وتعدُّد مشاربهم - لَهِجِين به عاكفين عليه ، لا يخلو منه جيل دون جيل، ولا يَخْتَصُّ به قبيل دون قبيل ، ولا غَرْوَ ؛ فإنّه مَعْرِض الصفات ومتجر الكمالات .

ولقد سمع عمر بن الخطاب ﷺ قول زهير بن أبي سُلْمَى :

فَـــإنَّ الْحَـــقَّ مَقْطَعُـــهُ ثَـــلاَثٌ يَمِـــينٌ أَوْ نِفَـــارٌ أَوْ جَـــلاَءُ

فجَعَل يَعْجَبُ مِن معرفته بمقاطع الحكمة وتفصيلها .

وللشعر رتبةٌ لا يجهلها إلا مَن جَفَا طبْعُه ونَبَا عن قَبُول الحكمة سَمْعُه ؛ فهو حِلْيَةٌ يزدانُ بجمالِها العاطِل ، وعَوْذَة لا يتطَرَّقُ إليها الباطل .

ولقد كنتُ في ريعان الفتوة واندفاع القريحة بتيار القوة أَلْهَجُ به لَهَجَ الحمام بهديلِه وآنَسُ به أُنسَ العديل بعديلِه ، لا تذرُّعاً إلى وجه أنتويه ، ولا تطلعاً إلى

---

(١) أسلة اللسان : طَرْفُه .

(٢) الأيهم : الصعب الشديد الحالك الذي لا يهتدي فيه .

(٣) ارتبأ : علا وأشرف .

غُنْم أحتويه ؛ وإنما هي أغراض حرَّكتني وإباء جمح بي وغرام سال على قلبي فلم أتمالك أن أَهَّبْتُ فحرَّكْتُ به جرسي ، أو هَتَفْتُ فسَرَّيْتُ به عن نفسي ، كما قُلْتُ :

تَكَلَّمْتُ كالْمَاضِينَ قَبْلِي بِمَا جَـرَتْ بِــهِ عـــادَةُ الإنْسَـــانِ أَنْ يَتَكَلَّمَـــا
فَـــلاَ يَعْتَمِـــدْنِي بِالإِسَـــاءَةِ غافِـــلٌ فَلاَ بُـــدَّ لاِبْـــنِ الأَيْـــكِ أَنْ يَتَرَنَّمَـــا

وقد يقف الناظر في ديواني على أبيات قلتُها في شكوى الزمان فيظن بي سوءاً مِن غير رويَّة يجيلها ولا عذرة يستبينها ؛ فإني إن ذكرتُ الدهر فإنما أقصد به العالَم الأرضي لكونه فيه ، مِن قبيل ذِكْر الشيء باسْم غيرِه لمجاورته إياه : كقوله تعالى ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1] أي أهل القرية ، وكما قال أبو كبير عامر بن حُلَيْس الْهُذَلِيّ :

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الــدَّهْرِ بَيْنِــي وبَيْنَهَـــا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنا سَـــكَنَ الـــدَّهْرُ

فإنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالنمائم والوشايات ، فلَمّا انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية ، ولهذا أمثلة كثيرة .

لا أقول هذا تبرؤاً من الوهم ولا اعتماداً على صحة الفهم ؛ فإن المرء – وإن كثر إحسانه – لا يسلم من الزلة لسانه ، وقلّ مَن توغل في حرجات القريض فنجا قبل أن يغصّ بالجريض[2] .

ولقد ذكرتُ مرّةً قولَ أبي المنهال بن بُقَيْلَة الأكبر[3] :

وإنَّمَا الشِّعْرُ لُـــبُّ الْمَـــرْءِ يَعْرِضُـــهُ عَلَى الْمَجَالِسِ إنْ كَيْساً وإنْ حُمُقَـــا
وإنَّ أَشْـــعَرَ بَيْـــتٍ أَنْـــتَ قائِلُـــهُ بَيْـــتٌ يُقَـــالُ إذَا أَنْشَـــدْتَهُ صَـــدَقَا

---

(١) سورة يوسف : ٨٢

(٢) الجريض : الريق ، والمراد بقوله " قبل أن يغصّ بالجريض " : قبل أن يصيبه التقصير والعي .

(٣) اسمه بقيلة الأكبر أبو المنهال .. شاعر أشجعيّ إسلاميّ ، وكان في زمن عمر ابن الخطاب ﷺ .

ثم عرض لي قول الْحُطَيْئَة[١] :

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطَوِيلٌ سُلَّمُهْ ... إذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهْ ... والشِّعْرُ لاَ يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهْ

فعزمتُ على الاقتصار قبل الإحصار[٢] ؛ تفادياً مِن خطأ ربما عَرَض أو ناقِد ربما اعترض ، بَيْدَ أني راجعتُ المخيلة لأَسْبُر هذه الدخيلة ، عالِماً أنّ لِلنفس طفرةً ولِلوهم عند التوجس نفرةً ، فأشفقتُ مِن هذا العزم بعد الإصرار والجزم .

ولستُ بأول مَن عَدَل عن رأيه وثاب عن متابعة وأيه[٣] ؛ فهذا عمر بن أبي ربيعة لم يطق أن يغالب الطبيعة ، وقد كان ركب مِن قحمة[٤] اليمين عَقَبَةً : ألاَّ يلوك بيتاً إلا أعتق ربقةً ، فلم يلبث أن هاج به الحنين وعَلِق بِمَدارج أنفاسه الأنين ، فقال كَلِمَتَه التي أولها :

تَقُولُ وَلِيدَتِي لَمَّا رَأَتْنِي ... طَرِبْتُ وكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا

ثم أعتق لِكل بيت عبداً ولم يجد مِن المقال بُدّاً ، ولا بِدْعَ ؛ فلِلإنسان فتون بشِعْرِه وولوع ببنات فكره ، ولولا ذلك ما دَوَّن الناس أشعارَهم ولا اتّخذوا حلية الأدب شعارَهم ..

كيف لا وبقاء الذكرى حياة الأبد وحُبُّ الخلود أطمع لقمانَ في لبد[٥] ؟!

---

(١) هو أبو مليكة جَرْوَل الحطيئة العبسي .. مِن فحول المخضرمين ، عمّر طويلاً ، ومات سنة ٥٩ هجرية .

(٢) الإحصار : العي والعجز .

(٣) الوأي : الوعد الذي يوثقه المرء على نفسه .

(٤) القحمة : الأمر الشاق .

(٥) لبد : آخِر نسور لقمان ، ظن أنه لبد أي أقام وخلد فلا يموت ، ولقمان هذا رجل مؤمِن مِن قوم عاد ، قيل إنه عمّر طويلاً ، واختار أن يبقى في الدنيا لقاءَ سبعة أنسر ؛ كلما هلك نسر خلفه نسر ، وكان لبد آخِرَ هذه النسور ، فكان لقمان يطمع في خلود ذلك النسر لِيبقى حيّاً ببقائه .

وإني وإن لم أكن مِن فرسان هذه الغارة ولا مِن رماة الحدق[١] في مثل هذه القارة[٢] فالتخلق بأخلاق الكرام محمدة ، والتعلق بأذيال الخمول مفسدة ..

ولِلّه دَرّ مَن قال :

عَلَيَّ السَّعْيُ فِـي طَلَـبِ الْمَعَـالِي ولَـيْسَ عَلَـيَّ إدْرَاكُ الْمَـرَامِ

واللّهَ أسأل أن يلهمني الصواب ولا يحرمني الثواب ؛ إنه أكرم مسئول وأفضل مأمول .. آمين .

هذا .. وتُعَدّ قصيدة (كشف الغمة في مدح سيد الأمة) مِن أبدع قصائد المديح النبوية وأطولها ، وهذه القصيدة لا توجد في ديوان البارودي ، وقد حصلتُ عليها مِن النت ، ولم أقم بشرحها ؛ لأنها تحتاج – إذا أردنا شرحها – إلى كتاب مستقلّ ، وقد اضطررنا لِذلك لِوجود قصائد طويلة – مثل نسق البردة – قد تم شرحها فأخذت حيزاً كبيراً مِن الكتاب ..

هذا .. وبالله ﷻ التوفيق .

جمال نصر بكر

(١) الحدق : جمع " حَدَقَة " ، وهي مِن العين سوادها الأعظم ، ورماة الحدق : هم المهرة في النصال .

(٢) القارة : الأرض ذات الحجارة السوداء ، وقوم رماة من العرب .

* تعريف بالشاعر كما جاء في ديوانه :

وُلِد محمود سامي البارودي بمصر لأبوين من الجراكسة في السابع والعشرين مِن شهر رجب سنة ١٢٥٥ هجرية (١٨٣٩ ميلادية) ، وكان أبوه حسن حسني بك البارودي من أمراء المدفعية ، ثم صار مدير البربر ودنقلة في عهد محمد علي باشا والي مصر ، وكان عبد اللّه بك الجركسي جده لأبيه ، أمّا لقب " البارودي " فنسبة إلى بلدة ايتاي البارود إحدى بلاد مديرية البحيرة ، ذلك أن أحد أجداده - الأمير مراد بن يوسف البارودي - كان ملتزماً لها ، وكان كل ملتزم في ذلك العهد يُنسَب إلى التزامه ، فاسمه إذن : محمود سامي بن حسن حسني عبد اللّه بك .

وقد حُرِم البارودي مِن العطف الأبوي منذ نعومة أظفاره ؛ فقد مات أبوه بدنقلة وهو في السابعة من عمره ، فكفله بعض أهله وضمّوه إليهم ، وقد تلقى في بيتهم دراسته الأولى إلى الثانية عشرة مِن عمره ، ثم التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والتُّرْك وأبناء الطبقة الحاكمة ، فقد كانت الجندية مظهر السيادة والعزة ، ومِن ثَمّ كان لزاماً على أبناء هذه الطبقة أن يتعلموا فنونها لِينهضوا بالمناصب الرئيسية بالدولة .

هذا .. إلى جانب أن مصر كانت يومئذ في أوج النشاط الذي بثه فيها محمد علي ، والذي كان الجيش أساسه وقوامه ، وحين أطل عهد سعيد وذلك بعد تخرجه من المدرسة الحربية عام ١٨٥٤ ميلادية ، وبعد أن كانت مصر في أوج نشاطها الذي بثه فيها محمد علي جاء عهد سعيد فسرّح الجيش وركن رجال الجيش إلى الدعة والخمول ، فكانت فرصةً لِلبارودي أن يندفع في قراءة الشعر العربي القديم ، وهذا الشعر لا يقف عند الحروب والميادين وما تخلعه على الأبطال مِن مجد ؛ بل يتناول الحياة كلها : جدها وهزلها ، حلوها ومُرّها ، ففيه الغزل والوصف والحكمة وكل ما يطمع الإنسان أن يجده فيه ، وأنت كلما ازددتَ إمعاناً في قراءته وتدقيقاً في معانيه انفسحَت لك آماده فازددتَ به شغفاً وبحفظه تعلقاً .

وتحركَت نفس الشاب لقول الشعر بعد أن توفر على مطالعته واستظهاره ، وكانت دولة الشعر ناشئةً إذ ذاك ، فكان عبد اللّه فكري ومحمود صفوت الساعاتي وعبد اللّه نديم وقليلون غيرهم يقولونه في أغراض شتى ، لكن البارودي الناشئ كان مِن طراز غير هؤلاء جميعاً بموهبته في الشعر ؛ فهو يتعلم النحو والصرف والعَروض والقوافي ، وهو لم يقل الشعر يبغي بقوله مأرباً ؛ إنما سجع به لأنه في سليقته ، ولا بد لابن الأيك أن يترنَّمَ ، وسجع به على عادة الشعراء مِن قبله لِيخلق مِن بحوره ميادين لِمَجْد يعوِّضه مما فات سيفه في ميادين القتال بعد أن ردّت الأقدار سيفَ مصر إلى غمده .

وفي شِعْر البارودي ظاهرة لم يلتفت إليها أولَ الأمر أحد ؛ فهو قد اعتمد في تصويره الواقعَ على حاسة النظر أكثرَ مِن اعتماده على سواها ، وفي قصيدتيه عن حرب أقريطش ترى تصوير المرئيات واضحاً فيهما كل الوضوح ، ويمكن الرجوع إلى قصائده في الديوان لِتستبين هذا الأمر .

إن البارودي لم يتجه بالشعر العربي غير وجهة الأقدمين الذين عارضهم وراض القول على مثالهم ، وإن كان مِن الحق كذلك أنه لم يَفْنَ فيهم ولم يقصر هَمَّه على النقل عنهم ؛ بل بدت شخصيته بارزةً في شعره ، وبدا شعره مرآةَ بيئته وزمانه ، فلو أنه عاصر الأقدمين وعاش بينهم لَكان له ما لِلأخطل ولِلفرزدق ولأبي نواس ولِبشّار مِن ذاتية يمتاز بها عن غيره ويقف بها في الصف الأول مِن هؤلاء الأقران المبرزين .

إن هذا الشعر كان في عصره جديداً كله ، كانت محاكاته الأقدمين جديدةً ، وكانت معارضته إياهم جديدةً ، وكانت رياضته القولَ على مثالهم جديدةً ؛ فقد هوى الشعر العربي قبله إلى درك مِن الانحلال جعله بالنسبة إلينا نسياً منسياً ، وجعلنا نكاد نُسْقِط مِن حسابنا هذا الألْف الذي انقضى مِن السنين بين الشعر العربي بدء انحلاله وبين هذا الشاعر الذي بعث الشعر العربي إلى الحياة مِن جديد .

هذه بعض مقتطفات مِن مقدمة الأستاذ محمد حسين هيكل لِديوان الشاعر محمود سامي البارودي ، وعلى مَن يريد الاستزادة أن يرجع إلى ديوان البارودي .

كشف الغمة في مدح سيد الأمة

يَا رائدَ الْبَرْقِ يَمِّمْ دارَةَ الْعَلَمِ   واحْدُ الْغَمَامَ إلَى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ
وإنْ مَرَرْتَ عَلَى الرَّوْحَاءِ فامْرِ لَهَا   أَخْلاَفَ سارِيَةٍ هَتَّانَةِ الدِّيَمِ
مِنَ الْغِزَارِ اللَّوَاتِي فِي حَوَالِبِهَا   رِيُّ النَّوَاهِلِ مِنْ زَرْعٍ ومِنْ نَعَمِ
إذَا اسْتَهَلَّتْ بِأَرْضٍ نَمْنَمَتْ يَدُهَا   بُرْداً مِنَ النَّوْرِ يَكْسُو عارِيَ الأَكَمِ
تَرَى النَّبَاتَ بِهَا خُضْراً سَنَابِلُهُ   يَخْتَالُ فِي حُلَّةٍ مَوْشِيَّةِ الْعَلَمِ
أَدْعُو إلَى الدّارِ بِالسُّقْيَا وبِي ظَمَأٌ   أَحَقُّ بِالرِّيِّ لَكِنِّي أَخُو كَرَمِ
مَنَازِلٌ لِهَوَاهَا بَيْنَ جانِحَتِي   وَدِيعَةٌ سِرُّهَا لَمْ يَتَّصِلْ بِفَمِي
إذَا تَنَسَّمْتُ مِنْهَا نَفْحَةً لَعِبَتْ   بِيَ الصَّبَابَةُ لِعْبَ الرِّيحِ بِالْعَلَمِ
أَدِرْ عَلَى السَّمْعِ ذِكْرَاهَا فَإنَّ لَهَا   فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةً مَرْعِيَّةَ الذِّمَمِ
عَهْدٌ تَوَلَّى وأَبْقَى فِي الْفُؤَادِ لَهُ   شَوْقاً يَفُلُّ شَبَاةَ الرَّأْيِ والْهِمَمِ
إذَا تَذَكَّرْتُهُ لاَحَتْ مَخَائِلُهُ   لِلْعَيْنِ حَتَّى كَأَنِّي مِنْهُ فِي حُلُمِ
فَمَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ رَقَّتْ شَمَائِلُهُ   فَعَادَ بِالْوَصْلِ أَوْ أَلْقَى يَدَ السَّلَمِ
تَكَاءَدَتْنِي خُطُوبٌ لَوْ رَمَيْتُ بِهَا   مَنَاكِبَ الأَرْضِ لَمْ تَثْبُتْ عَلَى قَدَمِ
فِي بَلْدَةٍ مِثْلِ جَوْفِ الْعَيْرِ لَسْتُ أَرَى   فِيهَا سِوَى أُمَمٍ تَحْنُو عَلَى صَنَمِ
لاَ أَسْتَقِرُّ بِهَا إلاَّ عَلَى قَلَقٍ   ولاَ أَلَذُّ بِهَا إلاَّ عَلَى أَلَمِ
إذَا تَلَفَّتُّ حَوْلِي لَمْ أَجِدْ أَثَراً   إلاَّ خَيَالِي ولَمْ أَسْمَعْ سِوَى كَلِمِي
فَمَنْ يَرُدُّ عَلَى نَفْسِي لُبَانَتَهَا   أَوْ مَنْ يُجِيرُ فُؤَادِي مِنْ يَدِ السَّقَمِ
لَيْتَ الْقَطَا حِينَ سارَتْ غُدْوَةً حَمَلَتْ   عَنِّي رَسَائِلَ أَشْوَاقِي إلَى إضَمِ
مَرَّتْ عَلَيْنَا خِمَاصاً وهْيَ قارِبَةٌ   مَرَّ الْعَوَاصِفِ لاَ تَلْوِي عَلَى إرَمِ
لاَ تُدْرِكُ الْعَيْنُ مِنْهَا حِينَ تَلْمَحُهَا   إلاَّ مِثَالاً كَلَمْعِ الْبَرْقِ فِي الظُّلَمِ
كَأَنَّهَا أَحْرُفٌ بَرْقِيَّةٌ نَبَضَتْ   بِالسِّلْكِ فانْتَشَرَتْ فِي السَّهْلِ والْعَلَمِ
لاَ شَيْءَ يَسْبِقُهَا إلاَّ إذَا اعْتَقَلَتْ   بَنَانَتِي فِي مَدِيحِ الْمُصْطَفَى قَلَمِي

مُحَمَّدٌ خاتَمُ الرُّسْلِ الَّذِي خَضَعَتْ   لَهُ الْبَرِيَّةُ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ
سَمِيرُ وَحْيٍ ومَجْنَى حِكْمَةٍ ونَدَى   سَمَاحَةٍ وقِرَى عافٍ وريُّ ظَمِ
قَدْ أَبْلَغَ الْوَحْيُ عَنْهُ قَبْلَ بِعْثَتِهِ   مَسَامِعَ الرُّسْلِ قَوْلاً غَيْرَ مُنْكَتِمِ
فَذَاكَ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ خالِقَهُ   وسِرُّ مَا قالَهُ عِيسَى مِنَ الْقِدَمِ
أَكْرِمْ بِهِ وبِآبَاءٍ مُحَجَّلَةٍ   جاءَتْ بِهِ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ
قَدْ كانَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ مُدَّخَراً   لِدَعْوَةٍ كانَ فِيهَا صاحِبَ الْعَلَمِ
نُورٌ تَنَقَّلَ فِي الأَكْوَانِ ساطِعُهُ   تَنَقُّلَ الْبَدْرِ مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمِ
حَتَّى اسْتَقَرَّ بِعَبْدِ اللَّهِ فَانْبَلَجَتْ   أَنْوَارُ غُرَّتِهِ كالْبَدْرِ فِي الْبُهَمِ
واخْتَارَ آمِنَةَ الْعَذْرَاءَ صاحِبَةً   لِفَضْلِهَا بَيْنَ أَهْلِ الْحِلِّ والْحَرَمِ
كِلاَهُمَا فِي الْعُلاَ كُفْءٌ لِصَاحِبِهِ   والْكُفْءُ فِي الْمَجْدِ لاَ يُسْتَامُ بِالْقِيَمِ
فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ   شِيدَتْ دَعَائِمُهُ فِي مَنْصِبٍ سَنِمِ
وحِينَمَا حَمَلَتْ بِالْمُصْطَفَى وَضَعَتْ   يَدُ الْمَشِيئَةِ عَنْهَا كُلْفَةَ الْوَجَمِ
ولاَحَ مِنْ جِسْمِهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا   قُصُورَ بُصْرَى بِأَرْضِ الشَّأْمِ مِنْ أَمَمِ
ومُذْ أَتَى الْوَضْعُ وهْوَ الرَّفْعُ مَنْزِلَةً   جاءَتْ بِرُوحٍ بِنُورِ اللَّهِ مُتَّسِمِ
ضاءَتْ بِهِ غُرَّةُ الإِثْنَيْنِ وابْتَسَمَتْ   عَنْ حُسْنِهِ فِي رَبِيعٍ رَوْضَةُ الْحَرَمِ
وأَرْضَعَتْهُ ولَمْ تَيْأَسْ حَلِيمَةُ مِنْ   قَوْلِ الْمَرَاضِعِ إِنَّ الْبُؤْسَ فِي الْيَتَمِ
فَفَاضَ بِالدَّرِّ ثَدْيَاهَا وقَدْ غَنِيَتْ   لَيَالِياً وهْيَ لَمْ تَطْعَمْ ولَمْ تَنَمِ
وانْهَلَّ بَعْدَ انْقِطَاعٍ رِسْلُ شارِفِهَا   حَتَّى غَدَتْ مِنْ رَفِيهِ الْعَيْشِ فِي طُعَمِ
فَيَمَّمَتْ أَهْلَهَا مَمْلُوَّةً فَرَحاً   بِمَا أُتِيحَ لَهَا مِنْ أَوْفَرِ النِّعَمِ
وقَلَّصَ الْجَدْبُ عَنْهَا فَهْيَ طاعِمَةٌ   مِنْ خَيْرِ مَا رَفَدَتْهَا ثَلَّةُ الْغَنَمِ
وكَيْفَ تَمْحَلُ أَرْضٌ حَلَّ ساحَتَهَا   مُحَمَّدٌ وهْوَ غَيْثُ الْجُودِ والْكَرَمِ ؟!
فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهَا يَنْمُو وتَكْلَؤُهُ   رِعَايَةُ اللَّهِ مِنْ سُوءٍ ومِنْ وَصَمِ
حَتَّى إِذَا تَمَّ مِيقَاتُ الرَّضَاعِ لَهُ   حَوْلَيْنِ أَصْبَحَ ذَا أَيْدٍ عَلَى الْفُطُمِ

وجَاءَ كالْغُصْنِ مَجْدُولاً تَرِفُّ عَلَى جَبِينِهِ لَمَحاتُ الْمَجْدِ والْفَهَمِ
قَدْ تَمَّ عَقْلاً ومَا تَمَّتْ رَضَاعَتُهُ وفَاضَ حِلْماً ولَمْ يَبْلُغْ مَدَى الْحُلُمِ
فَبَيْنَما هُوَ يَرْعَى الْبَهْمَ طافَ بِهِ شَخْصَانِ مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ ذِي الْعِظَمِ
فَأَضْجَعَاهُ وشَقَّا صَدْرَهُ بِيَدٍ رَفِيقَةٍ لَمْ يَبِتْ مِنْهَا عَلَى أَلَمِ
وبَعْدَمَا قَضَيَا مِنْ قَلْبِهِ وَطَراً تَوَلَّيَا غَسْلَهُ بِالسَّلْسَلِ الشَّبِمِ
مَا عالَجَا قَلْبَهُ إلاَّ لِيَخْلُصَ مِنْ شَوْبِ الْهَوَى ويَعِي قُدْسِيَّةَ الْحِكَمِ
فَيَا لَهَا نِعْمَةً لِلَّهِ خَصَّ بها حَبِيبَهُ وهْوَ طِفلٌ غَيْرُ مُحْتَلِمِ
وقَالَ عَنْهُ بَحِيرَا حِينَ أَبْصَرَهُ بِأَرْضِ بُصْرَى مَقَالاً غَيْرَ مُتَّهَمِ
إذْ ظَلَّلَتْهُ الْغَمَامُ الْغُرُّ وانْهَصَرَتْ عَطْفاً عَلَيْهِ فُرُوعُ الضَّالِ والسَّلَمِ
بِأَنَّهُ خاتَمُ الرُّسْلِ الْكِرَامِ ومَنْ بِهِ تَزُولُ صُرُوفُ الْبُؤْسِ والنِّقَمِ
هَذَا وكَمْ آيَةٍ سارَتْ لَهُ فَمَحَتْ بِنُورِهَا ظُلْمَةَ الأَهْوَالِ والْقُحَمِ
مَا مَرَّ يَوْمٌ لَهُ إلاَّ وقَلَّدَهُ صَنَائِعاً لَمْ تَزَلْ فِي الدَّهْرِ كالْعَلَمِ
حَتَّى اسْتَتَمَّ ولاَ نُقْصَانَ يَلْحَقُهُ خَمْساً وعِشْرِينَ سِنُّ الْبَارِعِ الْفَهِمِ
ولَقَّبَتْهُ قُرَيْشٌ بالأَمِينِ عَلَى صِدْقِ الأَمَانَةِ والإِيفَاءِ بِالذِّمَمِ
وَدَّتْ خَدِيجَةُ أَنْ يَرْعَى تِجَارَتَهَا ودَادَ مُنْتَهِزٍ لِلْخَيْرِ مُغْتَنِمِ
فَشَدَّ عَزْمَتَهَا مِنْهُ بِمُقْتَدِرٍ ماضِي الْجَنَانِ إذَا مَا هَمَّ لَمْ يَخِمِ
وسَارَ مُعْتَزِماً لِلشَّأْمِ يَصْحَبُهُ فِي السَّيْرِ مَيْسُرَةُ الْمَرْضِيُّ فِي الْحَشَمِ
فَمَا أَنَاخَ بِهَا حَتَّى قَضَى وَطَراً مِنْ كُلِّ مَا رامَهُ فِي الْبَيْعِ والسَّلَمِ
وكَيْفَ يَخْسَرُ مَنْ لَوْلاَهُ مَا رَبِحَتْ تِجَارَةُ الدِّينِ فِي سَهْلٍ وفِي عَلَمِ ؟!
فَقَصَّ مَيْسُرَةُ الْمَأْمُونُ قِصَّتَهُ عَلَى خَدِيجَةَ سَرْداً غَيْرَ مُنْعَجِمِ
ومَا رَوَاهُ لَهُ كَهْلٌ بِصَوْمَعَةٍ مِنَ الرَّهَابِينِ عَنْ أَسْلاَفِهِ الْقُدُمِ
فِي دَوْحَةٍ عاجَ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ بِهَا مِنْ قَبْلِ بَعْثَتِهِ لِلْعُرْبِ والْعَجَمِ
هَذَا نَبِيٌّ ولَمْ يَنْزِلْ بِسَاحَتِهَا إلاَّ نَبِيٌّ كَرِيمُ النَّفْسِ والشِّيَمِ

وسِيرَةَ الْمَلَكَيْنِ الحَائِمَيْنِ عَلَى جَبِينِهِ لِيُظِلاَّهُ مِنَ التُّهَمِ
فَكَانَ مَا قَصَّهُ أَصْلاً لِمَا وَصَلَتْ بِهِ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ قَصْدٍ ومُعْتَزَمِ
أَحْسِنْ بِهَا وُصْلَةً فِي اللَّهِ قَدْ أَخَذَتْ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ عَقْداً غَيْرَ مُنْفَصِمِ
فَأَصْبَحَا فِي صَفَاءٍ غَيْرِ مُنْقَطِعٍ عَلَى الزَّمَانِ ووِدٍّ غَيْرِ مُنْصَرِمِ
وحِينَمَا أَجْمَعَتْ أَمْراً قُرَيْشُ عَلَى بِنَايَةِ الْبَيْتِ ذِي الْحُجّابِ والْخَدَمِ
تَجَمَّعَتْ فِرَقُ الأَحْلاَفِ واقْتَسَمَتْ بِنَاءَهُ عَنْ تَرَاضٍ خَيْرَ مُقْتَسَمِ
حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْبُنْيَانُ غَايَتَهُ مِنْ مَوْضِعِ الرُّكْنِ بَعْدَ الْكَدِّ والْجُشَمِ
تَسَابَقُوا طَلَباً لِلأَجْرِ واخْتَصَمُوا فِيمَنْ يَشُدُّ بِنَاهُ كُلُّ مُخْتَصَمِ
وأَقْسَمَ الْقَوْمُ أَنْ لاَ صُلْحَ يَعْصِمُهُمْ مِنِ اقْتِحَامِ الْمَنَايَا أَيَّمَا قَسَمِ
وأَدْخَلُوا حِينَ جَدَّ الأَمْرُ أَيْدِيَهُمْ لِلشَّرِّ فِي جَفْنَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِدَمِ
فَقَالَ ذُو رَأْيِهِمْ لاَ تَعْجَلُوا وخُذُوا بِالْحَزْمِ فَهْوَ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْحَزَمِ
لِيَرْضَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا بِأَوَّلِ مَنْ يَأْتِي فَيَقْسِطُ فِينَا قِسْطَ مُحْتَكِمِ
فَكَانَ أَوَّلَ آتٍ بَعْدَمَا اتَّفَقُوا مُحَمَّدٌ وهْوَ فِي الْخَيْرَاتِ ذُو قَدَمِ
فَقَالَ كُلٌّ رَضِينَا بِالأَمِينِ عَلَى عِلْمٍ فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ عَادِلٍ حَكَمِ
فَأَعْلَمُوهُ بِمَا قَدْ كَانَ واحْتَكَمُوا إِلَيْهِ فِي حَلِّ هَذَا الْمُشْكِلِ الْعَمَمِ
فَمَدَّ ثَوْباً وحَطَّ الرُّكْنَ فِي وَسَطٍ مِنْهُ وقَالَ ارْفَعُوهُ جَانِبَ الرَّضَمِ
فَنَالَ كُلُّ امْرِئٍ حَظّاً بِمَا حَمَلَتْ يَدَاهُ مِنْهُ ولَمْ يَعْتِبْ عَلَى الْقِسَمِ
حَتَّى إِذَا اقْتَرَبُوا تِلْقَاءَ مَوْضِعِهِ مِنَ جَانِبِ الْبَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ والدِّعَمِ
مَدَّ الرَّسُولُ يَداً مِنْهُ مُبَارَكَةً بَنَتْهُ فِي صَدَفٍ مِنْ بَاذِخٍ سَنِمِ
فَلْيَزْدَدِ الرُّكْنُ تِيهاً حَيْثُ نَالَ بِهِ فَخْراً أَقَامَ لَهُ الدُّنْيَا عَلَى قَدَمِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ يَدُهُ مَسَّتْهُ حِينَ بَنَى مَا كَانَ أَصْبَحَ مَلْثُوماً بِكُلِّ فَمِ
يَا لَيْتَنِي والأَمَانِي رُبَّمَا صَدَقَتْ أَحْظَى بِمُعْتَنَقٍ مِنْهُ ومُلْتَزَمِ
يَا حَبَّذَا صِبْغَةٌ مِنْ حُسْنِهِ أَخَذَتْ مِنْهَا الشَّبِيبَةُ لَوْنَ الْعُذْرِ واللِّمَمِ

كالْخَالِ فِي وَجْنَةٍ زِيدَتْ مَحَاسِنُهَا   بِنُقْطَةٍ مِنْهُ أَضْعَافاً مِنَ الْقِيَمِ

وكَيْفَ لاَ يَفْخَرُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ بِهِ   وقَدْ بَنَتْهُ يَدٌ فَيّاضَةُ النِّعَمِ

أَكْرِمْ بِهِ وازِعاً لَوْلاَ هِدَايَتُهُ   لَمْ يَظْهَرِ الْعَدْلُ فِي أَرْضٍ ولَمْ يَقُمِ

هَذَا الَّذِي عَصَمَ اللّهُ الأَنَامَ بِهِ   مِنْ كُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُخْتَرِمِ

وحِينَ أَدْرَكَ سِنَّ الأَرْبَعِينَ ومَا   مِنْ قَبْلِهِ مَبْلَغٌ لِلْعِلْمِ والْحِكَمِ

حَبَاهُ ذُو الْعَرْشِ بُرْهَاناً أَرَاهُ بِهِ   آيَاتِ حِكْمَتِهِ فِي عالَمِ الْحُلُمِ

فَكَانَ يَمْضِي لِيَرْعَى أُنْسَ وَحْشَتِهِ   فِي شاسِعٍ مَا بِهِ لِلْخَلْقِ مِن أَرِمِ

فَمَا يَمُرُّ عَلَى صَخْرٍ ولاَ شَجَرٍ   إلاَّ وحَيّاهُ بالتَّسْلِيمِ مِنْ أَمَمِ

حَتَّى إذَا حانَ أَمْرُ الْغَيْبِ وانْحَسَرَتْ   أَسْتَارُهُ عَنْ ضَمِيرِ اللَّوْحِ والْقَلَمِ

نادَى بِدَعْوَتِهِ جَهْراً فَأَسْمَعَهَا   فِي كُلِّ ناحِيَةٍ مَنْ كانَ ذَا صَمَمِ

فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ فِي الدِّين تابَعَهُ   خَدِيجَةٌ وعَلِيٌّ ثابِتُ الْقَدَمِ

ثُمَّ اسْتَجَابَتْ رِجَالٌ دُونَ أُسْرَتِهِ   وفِي الأَبَاعِدِ مَا يُغْنِي عَنِ الرَّحِمِ

ومَنْ أَرَادَ بِهِ الرَّحْمَنُ مَكْرُمَةً   هَدَاهُ لِلرُّشْدِ فِي داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

ثُمَّ اسْتَمَرَّ رَسُولُ اللّهِ مُعْتَزِماً   يَدْعُو إلَى رَبِّهِ فِي كُلِّ مُلْتَأَمِ

والنّاسُ مِنْهُمْ رَشِيدٌ يَسْتَجِيبُ لَهُ   طَوْعاً ومِنْهُمْ غَوِيٌّ غَيْرُ مُحْتَشِمِ

حَتَّى اسْتَرَابَتْ قُرَيْشٌ واسْتَبَدَّ بِهَا   جَهْلٌ تَرَدَّتْ بِهِ فِي مارِجٍ ضَرِمِ

وعَذَّبُوا أَهْلَ دِينِ اللّهِ وانْتَهَكُوا   مَحَارِماً أَعْقَبَتْهُمْ لَهْفَةَ النَّدَمِ

وقَامَ يَدْعُو أَبُو جَهْلٍ عَشِيرَتَهُ   إلَى الضَّلالِ ولَمْ يَجْنَحْ إلَى سَلَمِ

يُبْدِي خِدَاعاً ويُخْفِي مَا تَضَمَّنَهُ   ضَمِيرُهُ مِنْ غَرَاةِ الْحِقْدِ والسَّدَمِ

لاَ يَسْلَمُ الْقَلْبُ مِنْ غِلٍّ أَلَمَّ بِهِ   يَنْقَى الأَدِيمُ ويَبْقَى مَوْضِعُ الْحَلَمِ

والْحِقْدُ كالنّارِ إنْ أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَتْ   مِنْهُ عَلاَئِمُ فَوْقَ الْوَجْهِ كالْحُمَمِ

لاَ يُبْصِرُ الْحَقَّ مَنْ جَهْلٌ أَحَاطَ بِهِ   وكَيْفَ يُبْصِرُ نُورَ الْحَقِّ وهْوَ عَمٍ ؟!

كُلُّ امْرِئٍ واجِدٌ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ   إذَا اسْتَوَى قائِماً مِنْ هُوَّةِ الأَدَمِ

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ فِي الدُّنْيَا مُكَافَأَةٌ وَالنَّفْسُ مَسْؤُولَةٌ عَنْ كُلِّ مُجْتَرَمِ
فَلاَ يَنَمْ ظَالِمٌ عَمَّا جَنَتْ يَدُهُ عَلَى الْعِبَادِ فَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمِ
وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ دِينِ اللَّهِ فِي نَصَبٍ مِمَّا يُلاَقُونَ مِنْ كَرْبٍ وَمِنْ زَأَمِ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَعُدْ فِي الأَمْرِ مَنْزَعَةٌ وَأَصْبَحَ الشَّرُّ جَهْراً غَيْرَ مُنْكَتِمِ
سَارُوا إِلَى الْهِجْرَةِ الأُولَى وَمَا قَصَدُوا غَيْرَ النَّجَاشِيِّ مَلِكاً صَادِقَ الذِّمَمِ
فَأَصْبَحُوا عِنْدَهُ فِي ظِلِّ مَمْلَكَةٍ حَصِينَةٍ وَذِمَامٍ غَيْرِ مُنْجَذِمِ
مَنْ أَنْكَرَ الضَّيْمَ لَمْ يَأْنَسْ بِصُحْبَتِهِ وَمَنْ أَحَاطَتْ بِهِ الأَهْوَالُ لَمْ يُقِمِ
وَمُذْ رَأَى الْمُشْرِكُونَ الدِّينَ قَدْ وَضَحَتْ سَمَاؤُهُ وَانْجَلَتْ عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ
تَأَلَّبُوا رَغْبَةً فِي الشَّرِّ وَائْتَمَرُوا عَلَى الصَّحِيفَةِ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ وَغَمِ
صَحِيفَةٌ وَسَمَتْ بِالْغَدْرِ أَوْجُهَهُمْ وَالْغَدْرُ يَعْلَقُ بِالأَعْرَاضِ كَالدَّسَمِ
فَكَشَّفَ اللَّهُ مِنْهَا غُمَّةً نَزَلَتْ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَبِّي كَاشِفُ الْغُمَمِ
مَنْ أَضْمَرَ السُّوءَ جَازَاهُ الإِلَهُ بِهِ وَمَنْ رَعَى الْبَغْيَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ النِّقَمِ
كَفَى الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو لُمْعَةٌ ظَهَرَتْ فِي سَوْطِهِ فَأَنَارَتْ سُدْفَةَ الْقَتَمِ
هَدَى بِهَا اللَّهُ دَوْساً مِن ضَلاَلَتِهَا فَتَابَعَتْ أَمْرَ دَاعِيهَا وَلَمْ تَهِمِ
وَفِي الإِرَاشِيِّ لِلأَقْوَامِ مُعْتَبَرٌ إِذْ جَاءَ مَكَّةَ فِي ذَوْدٍ مِنَ النَّعَمِ
فَبَاعَهَا مِنْ أَبِي جَهْلٍ فَمَاطَلَهُ بِحَقِّهِ وَتَمَادَى غَيْرَ مُحْتَشِمِ
فَجَاءَ مُنْتَصِراً يَشْكُو ظُلاَمَتَهُ إِلَى النَّبِيِّ وَنِعْمَ الْعَوْنُ فِي الإِزَمِ
فَقَامَ مُبْتَدِراً يَسْعَى لِنُصْرَتِهِ وَنُصْرَةُ الْحَقِّ شَأْنُ الْمَرْءِ ذِي الْهِمَمِ
فَدَقَّ بَابَ أَبِي جَهْلٍ فَجَاءَ لَهُ طَوْعاً يَجُرُّ عِنَانَ الْخَائِفِ الزَّرِمِ
فَحِينَ لاَقَى رَسُولَ اللَّهِ لاَحَ لَهُ فَحْلٌ يَحُدُّ إِلَيْهِ النَّابَ مِنْ أَطَمِ
فَهَالَهُ مَا رَأَى فَارْتَدَّ مُنْزَعِجاً وَعَادَ بِالنَّقْدِ بَعْدَ الْمَطْلِ عَنْ رَغَمِ
أَتِلْكَ أَمْ حِينَ نَادَى سَرْحَةً فَأَتَتْ إِلَيْهِ مَنْشُورَةَ الأَغْصَانِ كَالْجُمَمِ ؟!
حَنَتْ عَلَيْهِ حُنُوَّ الأُمِّ مِنْ شَفَقٍ وَرَفْرَفَتْ فَوْقَ ذَاكَ الْحُسْنِ مِنْ رَخَمِ

جاءَتْهُ طَوْعاً وعَادَتْ حِينَ قالَ لَهَا   عُودِي ولَوْ خُلِّيَتْ لِلشَّوْقِ لَمْ تَرِمِ
وحَبَّذَا لَيْلَةُ الإسْرَاءِ حِينَ سَرَى   لَيْلاً إلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى بلاَ أَتَمِ
رَأَى بِهِ مِنْ كِرَامِ الرُّسْلِ طائِفَةً   فَأَمَّهُمْ ثُمَّ صَلَّى خاشِعاً بِهِمِ
بَلْ حَبَّذَا نَهْضَةُ الْمِعْرَاجِ حِينَ سَمَا   بِهِ إلَى مَشْهَدٍ فِي الْعِزِّ لَمْ يُرَمِ
سَمَا إلَى الْفَلَكِ الأَعْلَى فَنَالَ بِهِ   قَدْراً يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ فِي الْعِظَمِ
وسَارَ فِي سُبُحَاتِ النُّورِ مُرْتَقِياً   إلَى مَدَارِجَ أَعْيَتْ كُلَّ مُعْتَزِمِ
وفَازَ بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ مِنْ كَلِمٍ   لَيْسَتْ إذَا قُرِنَتْ بِالْوَصْفِ كالْكَلِمِ
سِرٌّ تَحَارُ بِهِ الأَلْبَابُ قاصِرَةً   ونِعْمَةٌ لَمْ تَكُنْ فِي الدَّهْرِ كالنِّعَمِ
هَيْهَاتَ يَبْلُغُ فَهْمٌ كُنْهَ مَا بَلَغَتْ   قُرْبَاهُ مِنْهُ وقَدْ ناجَاهُ مِنْ أَمَمِ
فَيَا لَهَا وُصْلَةً نالَ الْحَبِيبُ بِهَا   مَا لَمْ يَنَلْهُ مِنَ التَّكْرِيمِ ذُو نَسَمِ
فاقَتْ جَمِيعَ اللَّيَالِي فَهْيَ زاهِرَةٌ   بِحُسْنِهَا كَزُهُورِ النّارِ فِي الْعَلَمِ
هَذَا وقَدْ فَرَضَ اللّهُ الصَّلاةَ عَلَى   عِبَادِهِ وهَدَاهُمْ واضِحَ اللَّقَمِ
فَسَارَعُوا نَحْوَ دِينِ اللّهِ وانْتَصَبُوا   إلَى الْعِبَادَةِ لاَ يَأْلُونَ مِنْ سَأَمِ
ولَمْ يَزَلْ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ مُنْتَصِباً   لِدَعْوَةِ الدِّينِ لَمْ يَفْتُرْ ولَمْ يَجِمِ
يَسْتَقْبِلُ النّاسَ فِي بَدْوٍ وفِي حَضَرٍ   ويَنْشُرُ الدِّينَ فِي سَهْلٍ وفِي عَلَمِ
حَتَّى اسْتَجَابَتْ لَهُ الأَنْصَارُ واعْتَصَمُوا   بِحَبْلِهِ عَنْ تَرَاضٍ خَيْرَ مُعْتَصَمِ
فَاسْتَكْمَلَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا نَضَارَتَهَا   وأَصْبَحَ الدِّينُ فِي جَمْعٍ بِهِمْ تَمَمِ
قَوْمٌ أَقَرُّوا عِمَادَ الْحَقِّ واصْطَلَمُوا   بِبَأْسِهِمْ كُلَّ جَبّارٍ ومُصْطَلِمِ
فَكَمْ بِهِمْ أَشْرَقَتْ أَسْتَارُ داجِيَةٍ   وكَمْ بِهِمْ خَمَدَتْ أَنْفَاسُ مُخْتَصِمِ
فَحِينَ وافَى قُرَيْشاً ذِكْرُ بَيْعَتِهِمْ   ثارُوا إلَى الشَّرِّ فِعْلَ الْجَاهِلِ الْعَرِمِ
وبَادَهُوا أَهْلَ دِينِ اللّهِ واهْتَضَمُوا   حُقُوقَهُمْ بِالتَّمَادِي شَرَّ مُهْتَضَمِ
فَكَمْ تَرَى مِنْ أَسِيرٍ لاَ حِرَاكَ بِهِ   وشَارِدٍ سارَ مِنْ فَجٍّ إلَى أَكَمِ
فَهَاجَرَ الصَّحْبُ إذْ قالَ الرَّسُولُ لَهُمْ   سِيرُوا إلَى طَيْبَةَ الْمَرْعِيَّةِ الْحُرَمِ

وظَلَّ فِي مَكَّةَ الْمُخْتَارُ مُنْتَظِراً إذْناً مِنَ اللّهِ فِي سَيْرٍ ومُعْتَزَمِ
فَأَوْجَسَتْ خِيفَةً مِنْهُ قُرَيْشُ ولَمْ تَقْبَلْ نَصِيحاً ولَمْ تَرْجِعْ إلَى فَهَمِ
فاسْتَجْمَعَتْ عُصَباً فِي دارِ نَدْوَتِهَا تَبْغِي بِهِ الشَّرَّ مِنْ حِقْدٍ ومِنْ أَضَمِ
ولَو دَرَتْ أَنَّهَا فِيمَا تُحَاوِلُهُ مَخْذُولَةٌ لَمْ تَسُمْ فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ
أَوْلَى لَهَا ثُمَّ أَوْلَى أَنْ يَحِيقَ بِهَا مَا أَضْمَرَتْهُ مِنَ الْبَأْسَاءِ والشَّجَمِ
إنِّي لأَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ أُولِي فِطَنٍ باعُوا النُّهَى بِالْعَمَى والسَّمْعَ بالصَّمَمِ
يَعْصُونَ خالِقَهُم جَهْلاً بِقُدْرَتِهِ ويَعْكُفُونَ عَلَى الطّاغُوتِ والصَّنَمِ
فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ أَنْ يَبْغَتُوهُ إذَا جَنَّ الظَّلامُ وخَفَّتْ وَطْأَةُ الْقَدَمِ
وأَقْبَلُوا مَوْهِناً فِي عُصْبَةٍ غُدُرٍ مِنَ الْقَبَائِلِ باعُوا النَّفْسَ بِالزَّعَمِ
فَجَاءَ جِبْرِيلُ لِلْهَادِي فَأَنْبَأَهُ بِمَا أَسَرُّوهُ بَعْدَ الْعَهْدِ والْقَسَمِ
فَمُذْ رَآهُمْ قِيَاماً حَوْلَ مَأْمَنِهِ يَبْغُونَ ساحَتَهُ بِالشَّرِّ والْفَقَمِ
نادَى عَلِيّاً فَأَوْصَاهُ وقَالَ لَهُ لاَ تَخْشَ والْبَسْ رِدَائِي آمِناً ونَمِ
ومَرَّ بِالْقَوْمِ يَتْلُو وهْوَ مُنْصَرِفٌ يَس وهْيَ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ وَصَمِ
فَلَمْ يَرَوْهُ وزَاغَتْ عَنْهُ أَعْيُنُهُمْ وهَلْ تَرَى الشَّمْسَ جَهْراً أَعْيُنُ الْحَنَمِ ؟!
وجَاءَهُ الْوَحْيُ إيذَاناً بِهِجْرَتِهِ فَيَمَّمَ الْغَارَ بِالصِّدِّيقِ فِي الْغَسَمِ
فَمَا اسْتَقَرَّ بِهِ حَتَّى تَبَوَّأَهُ مِنَ الْحَمَائِمِ زَوْجٌ بارِعُ الرَّنَمِ
بَنَى بِهِ عُشَّهُ واحْتَلَّهُ سَكَناً يَأْوِي إلَيْهِ غَدَاةَ الرِّيحِ والرِّهَمِ
إلْفَانِ مَا جَمَعَ الْمِقْدَارُ بَيْنَهُمَا إلاَّ لِسِرٍّ بِصَدْرِ الْغَارِ مُكْتَتَمِ
كِلاَهُمَا دَيْدَبَانٌ فَوْقَ مَرْبَأَةٍ يَرْعَى الْمَسَالِكَ مِنْ بُعْدٍ ولَمْ يَنَمِ
إنْ حَنَّ هَذَا غَرَاماً أَوْ دَعَا طَرَباً باسْمِ الْهَدِيلِ أَجَابَتْ تِلْكَ بِالنَّغَمِ
يَخَالُهَا مَنْ يَرَاهَا وهْيَ جاثِمَةٌ فِي وَكْرِهَا كُرَةً مَلْسَاءَ مِنْ أَدَمِ
إنْ رَفْرَفَتْ سَكَنَتْ ظِلاً وإنْ هَبَطَتْ رَوَتْ غَلِيلَ الصَّدَى مِنْ حائِرٍ شَبِمِ
مَرْقُومَةُ الْجِيدِ مِنْ مِسْكٍ وغَالِيَةٍ مَخْضُوبَةُ السّاقِ والْكَفَّيْنِ بِالْعَنَمِ

كَأَنَّما شَرَعَتْ فِي قانِئٍ سَرِبٍ ... مِنْ أَدْمُعِي فَغَدَتْ مُحْمَرَّةَ الْقَدَمِ

وسَجَفَ الْعَنْكَبُوتُ الْغَارَ مُحْتَفِياً ... بِخَيْمَةٍ حاكَهَا مِنْ أَبْدَعِ الْخِيَمِ

قَدْ شَدَّ أَطْنَابَهَا فَاسْتَحْكَمَتْ ورَسَتْ ... بالأَرْضِ لَكِنَّهَا قامَتْ بلاَ دِعَمِ

كَأَنَّهَا سابِرِيٌّ حاكَهُ لَبِقٌ ... بأَرْضِ سابُورَ فِي بُحْبُوحَةِ الْعَجَمِ

وارَتْ فَمَ الْغَارِ عَنْ عَيْنٍ تُلِمُّ بِهِ ... فَصَارَ يَحْكِي خَفَاءً وَجْهَ مُلْتَثِمِ

فَيَا لَهُ مِنْ سِتَارٍ دُونَهُ قَمَرٌ ... يَجْلُو الْبَصائِرَ مِنْ ظُلْمٍ ومِنْ ظُلَمِ

فَظَلَّ فِيهِ رَسُولُ اللّهِ مُعْتَكِفاً ... كالدُّرِّ فِي الْبَحْرِ أَوْ كالشَّمْسِ فِي الْغُسَمِ

حَتَّى إذَا سَكَنَ الإرْجَافُ واحْتَرَقَتْ ... أَكْبَادُ قَوْمٍ بِنَارِ الْيَأْسِ والْوَغَمِ

أَوْحَى الرَّسُولُ بِإعْدَادِ الرَّحِيلِ إلَى ... مَنْ عِنْدَهُ السِّرُّ مِنْ خِلٍّ ومِنْ حَشَمِ

وسَارَ بَعْدَ ثَلاثٍ مِنْ مَبَاءَتِهِ ... يَؤُمُّ طَيْبَةَ مَأْوَى كُلِّ مُعْتَصِمِ

فَحِينَ وافَى قُدَيْداً حَلَّ مَوْكِبُهُ ... بأُمِّ مَعْبَدَ ذاتِ الشَّاءِ والْغَنَمِ

فَلَمْ تَجِدْ لِقِرَاهُ غَيْرَ ضائِنَةٍ ... قَدِ اقْشَعَرَّتْ مَرَاعِيهَا فَلَمْ تَسُمِ

فَمَا أَمَرَّ عَلَيْهَا داعِياً يَدَهُ ... حَتَّى اسْتَهَلَّتْ بِذِي شَخْبَيْنِ كالدِّيَمِ

ثُمَّ اسْتَقَلَّ وأَبْقَى فِي الزَّمَانِ لَهَا ... ذِكْراً يَسِيرُ عَلَى الآفَاقِ كالنَّسَمِ

فَبَيْنَمَا هُوَ يَطْوِي الْبِيدَ أَدْرَكَهُ ... رَكْضاً سُرَاقَةُ مِثْلَ الْقَشْعَمِ الضَّرِمِ

حَتَّى إذَا مَا دَنَا ساخَ الْجَوَادُ بِهِ ... فِي بُرْقَةٍ فَهَوَى لِلسّاقِ والْقَدَمِ

فَصَاحَ مُبْتَهِلاً يَرْجُو الأَمَانَ ولَوْ ... مَضَى عَلَى عَزْمِهِ لانْهَارَ فِي رَجَمِ

وكَيْفَ يَبْلُغُ أَمْراً دُونَهُ وَزَرٌ ... مِنَ الْعِنَايَةِ لَمْ يَبْلُغْهُ ذُو نَسَمِ ؟!

فَكَفَّ عَنْهُ رَسُولُ اللّهِ وهْوَ بِهِ ... أَدْرَى وكَمْ نِقَمٍ تَفْتَرُّ عَنْ نِعَمِ

ولَمْ يَزَلْ سائِراً حَتَّى أَنَافَ عَلَى ... أَعْلاَمِ طَيْبَةَ ذاتِ الْمَنْظَرِ الْعَمَمِ

أَعْظِمْ بِمَقْدَمِهِ فَخْراً ومَنْقَبَةً ... لِمَعْشَرِ الأَوْسِ والأَحْيَاءِ مِنْ جُشَمِ

فَخْرٌ يَدُومُ لَهُمْ فَضْلٌ بِذِكْرَتِهِ ... مَا سارَتِ الْعِيسُ بالزُّوّارِ لِلْحَرَمِ

يَوْمٌ بِهِ أَرَّخَ الإسْلامُ غُرَّتَهُ ... وأَدْرَكَ الدِّينُ فِيهِ ذِرْوَةَ النُّجُمِ

ثُمَّ ابْتَنَى سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ مَسْجِدَهُ بُنْيَانَ عِزٍّ فَأَضْحَى قائِمَ الدِّعَمِ
واخْتَصَّ فِيهِ بِلالاً بالأَذَانِ ومَا يُلْفَى نَظِيرٌ لَهُ فِي نَبْرَةِ النَّغَمِ
حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ واجْتَمَعَتْ لَهُ الْقَبَائِلُ مِنْ بُعْدٍ ومِنْ زَمَمِ
قامَ النَّبِيُّ خَطِيباً فِيهِمُ فَأَرَى نَهْجَ الْهُدَى ونَهَى عَنْ كُلِّ مُجْتَرَمِ
وعَمَّهُمْ بِكِتَابٍ حَضَّ فِيهِ عَلَى مَحَاسِنِ الْفَضْلِ والآدَابِ والشِّيَمِ
فَأَصْبَحُوا فِي إِخَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ عَلَى الزَّمَانِ وعِزٍّ غَيْرِ مُنْهَدِمِ
وحِينَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَهُمُ آخَى عَلِيّاً ونِعْمَ الْعَوْنُ فِي الْقُحَمِ
هُوَ الَّذِي هَزَمَ اللَّهُ الطُّغَاةَ بِهِ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ بِالْبِيضِ مُحْتَدِمِ
فَاسْتَحْكَمَ الدِّينُ واشْتَدَّتْ دَعَائِمُهُ حَتَّى غَدَا واضِحَ الْعِرْنِينِ ذَا شَمَمِ
وأَصْبَحَ النَّاسُ إِخْوَاناً وعَمَّهُمُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ أَحْيَاهُمْ مِنَ الْعَدَمِ
هَذَا وقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الْجِهَادَ عَلَى رَسُولِهِ لِيَبُثَّ الدِّينَ فِي الأُمَمِ
فَكَانَ أَوَّلُ غَزْوٍ سارَ فِيهِ إِلَى وَدَّانَ ثُمَّ أَتَى مِنْ غَيْرِ مُصْطَدَمِ
ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ سَرَايَا الدِّينِ سابِحَةً بِالْخَيْلِ جامِحَةً تَسْتَنُّ بِاللُّجُمِ
سَرِيَّةٌ كانَ يَرْعَاهَا عُبَيْدَةُ فِي صَوْبٍ وحَمْزَةُ فِي أُخْرَى إِلَى التُّهَمِ
وغَزْوَةٌ سارَ فِيهَا الْمُصْطَفَى قُدُماً إِلَى بُوَاطٍ بِجَمْعٍ ساطِعِ الْقَتَمِ
ومِثْلُهَا يَمَّمَتْ ذاتَ الْعُشَيْرَةِ فِي جَيْشٍ لُهَامٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُلْتَطِمِ
وسَارَ سَعْدٌ إِلَى الْخَرَّارِ يَقْدُمُهُ سَعْدٌ ولَمْ يَلْقَ فِي مَسْرَاهُ مِنْ بَشَمِ
ويَمَّمَتْ سَفَوَانَ الْخَيْلُ سابِحَةً بِكُلِّ مُعْتَزِمٍ لِلْقِرْنِ مُلْتَزِمِ
وتَابَعَ السَّيْرَ عَبْدُ اللَّهِ مُتَّجِهاً تِلْقَاءَ نَخْلَةَ مَصْحُوباً بِكُلِّ كَمِي
وحُوِّلَتْ قِبْلَةُ الإِسْلامِ وَقْتَئِذٍ عَنْ وِجْهَةِ الْقُدْسِ نَحْوَ الْبَيْتِ ذِي الْعِظَمِ
ويَمَّمَ الْمُصْطَفَى بَدْراً فَلاحَ لَهُ بَدْرٌ مِنَ النَّصْرِ جَلَّى ظُلْمَةَ الْوَخَمِ
يَوْمٌ تَبَسَّمَ فِيهِ الدِّينُ وانْهَمَلَتْ عَلَى الضَّلالِ عُيُونُ الشِّرْكِ بِالسَّجَمِ
أَبْلَى عَلِيٌّ بِهِ خَيْرَ الْبَلاءِ بِمَا حَبَاهُ ذُو الْعَرْشِ مِنْ بَأْسٍ ومِنْ هِمَمِ

وجَالَ حَمْزَةُ بالصَّمْصَامِ يَكْسَؤُهُمْ كَسْأً يُفَرِّقُ مِنهُمْ كُلَّ مُزْدَحَمِ
وغَادَرَ الصَّحْبُ والأَنْصَارُ جَمْعَهُمُ ولَيْسَ فِيهِ كَمِيٌّ غَيْرُ مُنْهَزِمِ
تَقَسَّمَتْهُمْ يَدُ الْهَيْجَاءِ عادِلَةً فالْهَامُ لِلْبِيضِ والأَبْدَانُ لِلرَّخَمِ
كَأَنَّمَا الْبِيضُ بالأَيْدِي صَوَالِجَةٌ يَلْعَبْنَ فِي ساحَةِ الْهَيْجَاءِ بالْقِمَمِ
لَمْ يَبْقَ مِنهُمْ كَمِيٌّ غَيْرُ مُنْجَدِلٍ عَلَى الرَّغَامِ وعُضْوٌ غَيْرُ مُنْحَطِمِ
فَمَا مَضَتْ ساعَةٌ والْحَرْبُ مُسْعَرَةٌ حَتَّى غَدَا جَمْعُهُمْ نَهْباً لِمُقْتَسِمِ
قَدْ أَمْطَرَتْهُمْ سَمَاءُ الْحَرْبِ صائِبَةً بالْمَشْرَفِيَّةِ والْمُرَّانِ كالرُّجُمِ
فَأَيْنَ مَا كانَ مِنْ زَهْوٍ ومِنْ صَلَفٍ وأَيْنَ مَا كانَ مِنْ فَخْرٍ ومِنْ شَمَمِ ؟!
جاءُوا ولِلشَّرِّ وَسْمٌ فِي مَعَاطِسِهِمْ فَأُرْغِمُوا والرَّدَى فِي هَذِهِ السِّيَمِ
مَنْ عارَضَ الْحَقَّ لَمْ تَسْلَمْ مَقَاتِلُهُ ومَنْ تَعَرَّضَ لِلأَخْطَارِ لَمْ يَنَمِ
فَمَا انْقَضَى يَوْمُ بَدْرٍ بالَّتِي عَظُمَتْ حَتَّى مَضَى غازِياً بالْخَيْلِ فِي الشُّكُمِ
فَيَمَّمَ الْكُدْرَ بالأَبْطَالِ مُنْتَحِياً بَنِي سُلَيْمٍ فَوَلَّتْ عَنْهُ بالرَّغَمِ
وسَارَ فِي غَزْوَةٍ تُدْعَى السَّوِيقَ بِمَا أَلْقَاهُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ عُظْمِ زادِهِمِ
ثُمَّ انْتَحَى بِوُجُوهِ الْخَيْلِ ذَا أَمَرٍ فَفَرَّ ساكِنُهُ رُعْباً إِلَى الرَّقَمِ
وأَمَّ فَرْعاً فَلَمْ يَثْقَفْ بِهِ أَحَداً ومَنْ يُقِيمُ أَمَامَ الْعارِضِ الْهَزِمِ ؟!
ولَفَّ بالْجَيْشِ حَيَّيْ قَيْنُقَاعَ بِمَا جَنَوْا فَتَعْساً لَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ قَزَمِ
وسَارَ زَيْدٌ بِجَمْعٍ نَحْوَ قَرْدَةَ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ فَلَمْ يَثْقَفْ سِوَى النَّعَمِ
ثُمَّ اسْتَدَارَتْ رَحَا الْهَيْجَاءِ فِي أُحُدٍ بِكُلِّ مُفْتَرِسٍ لِلْقِرْنِ مُلْتَهِمِ
يَوْمٌ تَبَيَّنَ فِيهِ الْجِدُّ واتَّضَحَتْ جَلِيَّةُ الأَمْرِ بَعْدَ الْجَهْدِ والسَّأَمِ
قَدْ كانَ خُبْراً وتَمْحِيصاً ومَغْفِرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وهَلْ بُرْءٌ بِلاَ سَقَمِ ؟!
مَضَى عَلِيٌّ بِهِ قُدُماً فَزَلْزَلَهُمْ بِحَمْلَةٍ أَوْرَدَتْهُمْ مَوْرِدَ الشَّجَمِ
وأَظْهَرَ الصَّحْبُ والأَنْصَارُ بَأْسَهُمُ والْبَأْسُ فِي الْفِعْلِ غَيْرُ الْبَأْسِ فِي الْكَلِمِ
خاضُوا الْمَنَايَا فَنَالُوا عِيشَةً رَغَداً ولَذَّةُ النَّفْسِ لاَ تَأْتِي بِلاَ أَلَمِ

مَنْ يَلْزَمِ الصَّبْرَ يَسْتَحْسِنْ عَوَاقِبَهُ   والْمَاءُ يَحْسُنُ وَقْعاً عِنْدَ كُلِّ ظَمِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي احْتِمَالِ الصَّبْرِ مَنْقَبَةٌ   لَمْ يَظْهَرِ الْفَرْقُ بَيْنَ اللُّؤْمِ والْكَرَمِ

فَكَانَ يَوْماً عَتِيدَ الْبَأْسِ نالَ بِهِ   كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ جَهْداً وارِيَ الْحَدَمِ

أَوْدَى بِهِ حَمْزَةُ الصِّنْدِيدُ فِي نَفَرٍ   نالُوا الشَّهَادَةَ تَحْتَ الْعَارِضِ الرَّزِمِ

أَحْسِنْ بِهَا مِيْتَةً أَحْيَوْا بِهَا شَرَفاً   والْمَوْتُ فِي الْحَرْبِ فَخْرُ السَّادَةِ الْقُدُمِ

لاَ عَارَ بِالْقَوْمِ مِنْ مَوْتٍ ومِنْ سَلَبٍ   وهَلْ رَأَيْتَ حُسَاماً غَيْرَ مُنْثَلِمِ ؟!

فَكَانَ يَوْمَ جَزَاءٍ بَعْدَ مُخْتَبَرٍ   لِمَنْ وَفَا وجَفَا بِالْعِزِّ والرَّغَمِ

قامَ النَّبِيُّ بِهِ فِي مَأْزِقٍ حَرِجٍ   تَرْعَى الْمَنَاصِلُ فِيهِ مَنْبِتَ الْجُمَمِ

فَلَمْ يَزَلْ صابِراً فِي الْحَرْبِ يَفْثَؤُهَا   بِالْبِيضِ حَتَّى اكْتَسَتْ ثَوْباً مِنَ الْعَنَمِ

ورَدَّ عَيْنَ ابْنِ نُعْمَانٍ قَتَادَةَ إِذْ   سالَتْ فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ بِلاَ لَتَمِ

وقَدْ أَتَى بَعْدَ ذَا يَوْمُ الرَّجِيعِ بِمَا   فِيهِ مِنَ الْغَدْرِ بَعْدَ الْعَهْدِ والْقَسَمِ

وثَارَ نَقْعُ الْمَنَايَا فِي مَعُونَةَ مِنْ   بَنِي سُلَيْمٍ بِأَهْلِ الْفَضْلِ والْحِكَمِ

ثُمَّ اشْرَأَبَّتْ لِخَفْرِ الْعَهْدِ مِنْ سَفَهٍ   بَنُو النَّضِيرِ فَأَجْلاَهُمْ عَنِ الأُطُمِ

وسَارَ مُنْتَحِياً ذاتَ الرِّقَاعِ فَلَمْ   تَلْقَ الْكَتَائِبُ فِيهَا كَيْدَ مُصْطَدِمِ

وحَلَّ مِنْ بَعْدِهَا بَدْراً لِوَعْدِ أَبِي   سُفْيَانَ لَكِنَّهُ وَلَّى ولَمْ يَحُمِ

وأَمَّ دَوْمَةَ فِي جَمْعٍ وعَادَ إِلَى   مَكَانِهِ وسَمَاءُ النَّقْعِ لَمْ تَغِمِ

ثُمَّ اسْتَثَارَتْ قُرَيْشٌ وهْيَ ظَالِمَةٌ   أَحْلاَفَهَا وأَتَتْ فِي جَحْفَلٍ لَهِمِ

تَسْتَمْرِئُ الْبَغْيَ مِنْ جَهْلٍ وما عَلِمَتْ   أَنَّ الْجَهَالَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى الثَّلَمِ

وقَامَ فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ حَنَقٍ   يَدْعُو إِلَى الشَّرِّ مِثْلَ الْفَحْلِ ذِي الْقَطَمِ

فَخَنْدَقَ الْمُؤْمِنُونَ الدَّارَ وانْتَصَبُوا   لِحَرْبِهِمْ كَضَوَارِي الأُسْدِ فِي الأَجَمِ

فَمَا اسْتَطَاعَتْ قُرَيْشٌ نَيْلَ مَا طَلَبَتْ   وهَلْ تَنَالُ الثُّرَيَّا كَفُّ مُسْتَلِمِ ؟!

رامَتْ بِجَهْلَتِهَا أَمْراً ولَوْ عَلِمَتْ   ماذَا أُعِدَّ لَهَا فِي الْغَيْبِ لَمْ تَرُمِ

فَخَيَّبَ اللَّهُ مَسْعَاهَا وغَادَرَهَا   نَهْبَ الرَّدَى والصَّدَى والرِّيحِ والطَّسَمِ

فَقَوَّضَتْ عُمُدَ التَّرْحَالِ وانْصَرَفَتْ   لَيْلاً إلَى حَيْثُ لَمْ تَسْرَحْ ولَمْ تَسُمِ

وكَيْفَ تَحْمَدُ عُقْبَى مَا جَنَتْ يَدُهَا   بَغْياً وقَدْ سَرَحَتْ فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ ؟!

قَدْ أَقْبَلَتْ وهْيَ فِي فَخْرٍ وفِي جَذَلٍ   وأَدْبَرَتْ وهْيَ فِي خِزْيٍ وفِي سَدَمِ

مَنْ يركَبِ الْغَيَّ لاَ يَحْمَدْ عَوَاقِبَهُ   ومَنْ يُطِعْ قَلْبُهُ أَمْرَ الْهَوَى يَهِمِ

ثُمَّ انْتَحَى بِوُجُوهِ الْخَيْلِ ساهِمَةً   بَنِي قُرَيْظَةَ فِي رَجْرَاجَةٍ حُطَمِ

خانُوا الرَّسُولَ فَجَازَاهُمْ بِمَا كَسَبُوا   وفِي الْخِيَانَةِ مَدْعَاةٌ إلَى النِّقَمِ

وسَارَ يَنْحُو بَنِي لِحْيَانَ فاعْتَصَمُوا   خَوْفَ الرَّدَى بِالْعَوَالِي كُلَّ مُعْتَصَمِ

وأَمَّ ذَا قَرَدٍ فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ   يَسْتَنُّ فِي لاَحِبٍ بادٍ وفِي نَسَمِ

وزَارَ بِالْجَيْشِ غَزْواً أَرْضَ مُصْطَلِقٍ   فَمَا اتَّقَوْهُ بِغَيْرِ الْبِيضِ فِي الْخَدَمِ

وفِي الْحُدَيْبِيَةِ الصُّلْحُ اسْتَتَبَّ إلَى   عَشْرٍ ولَمْ يَجْرِ فِيهَا مِنْ دَمٍ هَدَمِ

وجَاءَ خَيْبَرَ فِي جَأْوَاءَ كالحَرَّةِ   بِالْخَيْلِ كالسَّيْلِ والأَسْيَافِ كالضَّرَمِ

حَتَّى إذَا امْتَنَعَتْ شُمُّ الْحُصُونِ عَلَى   مَنْ رامَهَا بَعْدَ إيغَالٍ ومُقْتَحَمِ

قالَ النَّبِيُّ سَأُعْطِي رايَتِي رَجُلاً   يُحِبُّنِي ويُحِبُّ اللَّهَ ذَا الْكَرَمِ

ذَا مِرَّةٍ يَفْتَحُ اللَّهُ الْحُصُونَ عَلَى   يَدَيْهِ لَيْسَ بِفَرّارٍ ولاَ بَرِمِ

فَمَا بَدَا الْفَجْرُ إلاَّ والزَّعِيمُ عَلَى   جَيْشِ الْقِتَالِ عَلِيٌّ رافِعُ الْعَلَمِ

وكَانَ ذَا رَمَدٍ فَارْتَدَّ ذَا بَصَرٍ   بِنَفْثَةٍ أَبْرَأَتْ عَيْنَيْهِ مِنْ وَرَمِ

فَسَارَ مُعْتَزِماً حَتَّى أَنَافَ عَلَى   حُصُونِ خَيْبَرَ بِالمَسْلُولَةِ الْخُذُمِ

يَمْضِي بِمُنْصُلِهِ قُدْماً فَيَلْحَمُهُ   مَجْرَى الْوَرِيدِ مِنَ الأَعْنَاقِ واللِّمَمِ

حَتَّى إذَا طاحَ مِنْهُ التُّرْسُ تاحَ لَهُ   بابٌ فَكَانَ لَهُ تُرْساً إلَى الْعَتَمِ

بابٌ أَبَتْ قَلْبَهُ جَهْداً ثَمَانِيَةٌ   مِنَ الصَّحَابَةِ أَهْلِ الْجِدِّ والْعَزَمِ

فَلَمْ يَزَلْ صائِلاً فِي الْحَرْبِ مُقْتَحِماً   غَيَابَةَ النَّقْعِ مِثْلَ الْحَيْدَرِ الْقَرِمِ

حَتَّى تَبَلَّجَ فَجْرُ النَّصْرِ وانْتَشَرَتْ   بِهِ الْبَشَائِرُ بَيْنَ السَّهْلِ والْعَلَمِ

أَبْشِرْ بِهِ يَوْمَ فَتْحٍ قَدْ أَضَاءَ بِهِ   وَجْهُ الزَّمَانِ فَأَبْدَى بِشْرَ مُبْتَسِمِ

أَتَى بِهِ جَعْفَرُ الطَّيَّارُ فابْتَهجَتْ بعَوْدِهِ أَنْفُسُ الأَصْحَابِ والْعُزَمِ
فَكَانَ يَوْماً حَوَى عِيدَيْنِ فِي نَسَقٍ فَتْحاً وعَوْدَ كَرِيمٍ طَاهِرِ الشِّيَمِ
وعَادَ بالنَّصْرِ مَوْلَى الدِّينِ مُنْصَرِفاً يَؤُمُّ طَيْبَةَ فِي عِزٍّ وفِي نِعَمِ
ثُمَّ اسْتَقَامَ لِبَيْتِ اللَّهِ مُعْتَمِراً لِنَيْلِ مَا فَاتَهُ بالْهَدْيِ لِلْحَرَمِ
وسَارَ زَيْدٌ أَمِيراً نَحْوَ مُؤْتَةَ فِي بَعْثٍ فَلاَقَى بِهَا الأَعْدَاءَ مِنْ كَثَمِ
فَعَبَّأَ الْمُسْلِمُونَ الْجُنْدَ واقْتَتَلُوا قِتَالَ مُنْتَصِرٍ لِلْحَقِّ مُنْتَقِمِ
فَطَاحَ زَيْدٌ وأَوْدَى جَعْفَرٌ وقَضَى تَحْتَ الْعَجَاجَةِ عَبْدُ اللَّهِ فِي قُدُمِ
لاَ عارَ بِالْمَوْتِ فالشَّهْمُ الْجَرِيءُ يَرَى أَنَّ الرَّدَى فِي الْمَعَالِي خَيْرُ مُغْتَنَمِ
وحِينَ خاسَتْ قُرَيْشٌ بالْعُهُودِ ولَمْ تُنْصِفْ وسَارَتْ مِنَ الأَهْوَاءِ فِي نَقَمِ
وظَاهَرَتْ مِنْ بَنِي بَكْرٍ حَلِيفَتَهَا عَلَى خُزَاعَةَ أَهْلِ الصِّدْقِ فِي الذِّمَمِ
قَامَ النَّبِيُّ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُعْتَزِماً بِجَحْفَلٍ لِجُمُوعِ الشِّرْكِ مُخْتَرِمِ
تَبْدُو بِهِ الْبِيضُ والْقَسْطَالُ مُنْتَشِرٌ كالشُّهْبِ فِي اللَّيْلِ أَوْ كالنَّارِ فِي الْفَحَمِ
لَمْعُ السُّيُوفِ وتَصْهَالُ الْخُيُولِ بِهِ كالْبَرْقِ والرَّعْدِ فِي مُغْدَوْدِقٍ هَزِمِ
عَرَمْرَمٌ يَنْسِفُ الأَرْضَ الْفَضَاءَ إِذَا سَرَى بِهَا ويَدُكُّ الْهَضْبَ مِنْ خِيَمِ
فِيهِ الْكُمَاةُ الَّتِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهَا مَعَاطِسٌ لَمْ تُذَلَّلْ قَبْلُ بالْخُطُمِ
مِنْ كُلِّ مُعْتَزِمٍ بالصَّبْرِ مُحْتَزِمٍ لِلْقِرْنِ مُلْتَزِمٍ فِي الْبَأْسِ مُهْتَزِمِ
طَالَتْ بِهِمْ هِمَمٌ نالُوا السِّمَاكَ بِهَا عَنْ قُدْرَةٍ وعُلُوُّ النَّفْسِ بالْهِمَمِ
بِيضٌ أَسَاوِرَةٌ غُلْبٌ قَسَاوِرَةٌ شُكْسٌ لَدَى الْحَرْبِ مِطْعَامُونَ فِي الأُزُمِ
طَابَتْ نُفُوسُهُمُ بالْمَوْتِ إِذْ عَلِمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي يَبْغُونَ فِي الْعَدَمِ
سَاسُوا الْجِيَادَ فَظَلَّتْ فِي أَعِنَّتِهَا طَوْعَ الْبَنَانَةِ فِي كَرٍّ ومُقْتَحَمِ
تَكَادُ تَفْقَهُ لَحْنَ الْقَوْلِ مِنْ أَدَبٍ وتَسْبِقُ الْوَحْيَ والإِيمَاءَ مِنْ فَهَمِ
كَأَنَّ أَذْنَابَهَا فِي الْكَرِّ أَلْوِيَةٌ عَلَى سَفِينٍ لأَمْرِ الرِّيحِ مُرْتَسِمِ
مِنْ كُلِّ مُنْجَرِدٍ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ بَيْنَ الْعَجَاجِ هَوِيَّ الأَجْدَلِ اللَّحِمِ

وَالْبِيضُ تَرْجُفُ فِي الأَغْمَادِ مِنْ ظَمَأٍ والسُّمْرُ تَرْعَدُ فِي الأَيْمَانِ مِنْ قَرَمِ

مِنْ كُلِّ مُطَّرِدٍ لَوْلاَ عَلاَئِقُهُ لَسَابَقَ الْمَوْتَ نَحْوَ الْقِرْنِ مِنْ ضَرَمِ

كَأَنَّهُ أَرْقَمٌ فِي رَأْسِهِ حُمَةٌ يَسْتَلُّ كَيْدَ الأَعَادِي بِابْنَةِ الرَّقَمِ

فَلَمْ يَزَلْ سائِراً حَتَّى أَنَافَ عَلَى أَرْبَاضِ مَكَّةَ بِالْفُرْسَانِ والْبُهَمِ

ولَفَّهُمْ بِخَمِيسٍ لَوْ يُشَدُّ عَلَى أَرْكَانِ رَضْوَى لأَضْحَى مائِلَ الدِّعَمِ

فَأَقْبَلُوا يَسْأَلُونَ الصَّفْحَ حِينَ رَأَوْا أَنَّ اللَّجَاجَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى النَّدَمِ

رِيعُوا فَذَلُّوا ولَوْ طاشُوا لَوَقَّرَهُمْ ضَرْبٌ يُفَرِّقُ مِنْهُمْ مَجْمَعَ اللِّمَمِ

ذاقُوا الرَّدَى جُرَعاً فاسْتَسْلَمُوا جَزَعاً لِلصُّلْحِ والْحَرْبُ مَرْقَاةٌ إِلَى السَّلَمِ

وَأَقْبَلَ النَّصْرُ يَتْلُو وهْوَ مُبْتَسِمٌ الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ

يَا حائِرَ اللُّبِّ هَذَا الْحَقُّ فَامْضِ لَهُ تَسْلَمْ وهَذَا سَبِيلُ الرُّشْدِ فَاسْتَقِمِ

لاَ يَصْرَعَنَّكَ وَهْمٌ بِتَّ تَرْقُبُهُ إِنَّ التَّوَهُّمَ حَتْفُ الْعَاجِزِ الْوَخِمِ

هَذَا النَّبِيُّ وذَاكَ الْجَيْشُ مُنْتَشِرٌ مِلْءَ الْفَضَا فاسْتَبِقْ لِلْخَيْرِ تَغْتَنِمِ

فالْزَمْ حِمَاهُ تَجِدْ مَا شِئْتَ مِنْ أَرَبٍ وشِمْ نَدَاهُ إِذَا مَا الْبَرْقُ لَمْ يُشَمِ

واحْلُلْ رِحَالَكَ والْزِلْ نَحْوَ سُدَّتِهِ فَإِنَّهَا عِصْمَةٌ مِنْ أَوْثَقِ الْعِصَمِ

أَحْيَا بِهِ اللَّهُ أَمْوَاتَ الْقُلُوبِ كَمَا أَحْيَا النَّبَاتَ بِفَيْضِ الْوَابِلِ الرَّذِمِ

حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُ الصُّلْحِ وانْتَظَمَتْ بِهِ عُقُودُ الأَمَانِي أَيَّ مُنْتَظَمِ

قَامَ النَّبِيُّ بِشُكْرِ اللَّهِ مُنْتَصِباً والشُّكْرُ فِي كُلِّ حالٍ كافِلُ النِّعَمِ

وطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعاً فَوْقَ راحِلَةٍ قَوْدَاءَ ناجِيَةٍ أَمْضَى مِنَ النَّسَمِ

فَمَا أَشَارَ إِلَى بُدٍّ بِمِحْجَنِهِ إِلاَّ هَوَى لِيَدٍ مَغْلُولَةٍ وفَمِ

وفِي حُنَيْنٍ إِذِ ارْتَدَّتْ هَوَازِنُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ولَمْ تَرْجِعْ إِلَى الْحَكَمِ

سَرَى إِلَيْهَا بِبَحْرٍ مِنْ مُلَمْلَمَةٍ طامِي السَّرَاةِ بِمَوْجِ الْبِيضِ مُلْتَطِمِ

حَتَّى اسْتَذَلَّتْ وعَادَتْ بَعْدَ نَخْوَتِهَا تُلْقِي إِلَى كُلِّ مَنْ تَلْقَاهُ بِالسَّلَمِ

ويَمَّمَ الطَّائِفَ الْغَنَّاءَ ثُمَّ مَضَى عَنْهَا إِلَى أَجَلٍ فِي الْغَيْبِ مُكْتَتَمِ

وحِينَ أَوْفَى عَلَى وادِي تَبُوكَ سَعَى إلَيْهِ ساكِنُهَا طَوْعاً بِلاَ رَغَمِ
فَصَالَحُوهُ وأَدَّوْا جزْيَةً ورَضُوا بحُكْمِهِ وتَبِيعُ الرُّشْدِ لَمْ يَهِمِ
أَلْفَى بِهَا عَيْنَ ماءٍ لاَ تَبِضُّ فَمُذْ دَعَا لَهَا انْفَجَرَتْ عَنْ سائِغٍ سَنِمِ
وراوَدَ الْغَيْثَ فانْهَلَّتْ بَوادِرُهُ بَعْدَ الْجُمُودِ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ
وأَمَّ طَيْبَةَ مَسْرُوراً بعَوْدَتِهِ يَطْوِي الْمَنَازِلَ بالْوَخَّادَةِ الرُّسُمِ
ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ وُفُودُ النّاسِ قاطِبَةً إلَى حِمَاهُ فَلاَقَتْ وافِرَ الْكَرَمِ
فَكَانَ عامَ وُفُودٍ كُلَّمَا انْصَرَفَتْ عِصَابَةٌ أَقْبَلَتْ أُخْرَى عَلَى قَدَمِ
وأَرْسَلَ الرُّسْلَ تَتْرَى لِلْمُلُوكِ بِمَا فِيهِ بَلاَغٌ لأَهْلِ الذِّكْرِ والْفَهَمِ
وأَمَّ غالِبُ أَكْنَافَ الْكَدِيدِ إلَى بَنِي الْمُلَوَّحِ فَاسْتَوْلَى عَلَى النَّعَمِ
وحِينَ خانَتْ جُذَامٌ فَلَّ شَوْكَتَهَا زَيْدٌ بِجَمْعٍ لِرَهْطِ الشِّرْكِ مُقْتَثِمِ
وسَارَ مُنْتَحِياً وادِي الْقُرَى فَمَحَا بَنِي فَزارَةَ أَصْلَ اللُّؤْمِ والْقَزَمِ
وأَمَّ خَيْبَرَ عَبْدُ اللّهِ فِي نَفَرٍ إلَى الْيَسِيرِ فَأَرْدَاهُ بِلاَ أَثَمِ
ويَمَّمَ ابْنُ أُنَيْسٍ عُرْضَ نَخْلَةَ إذْ طَغَا ابْنُ ثَوْرٍ فَأَصْمَاهُ ولَمْ يَخِمِ
ثُمَّ اسْتَقَلَّ ابْنُ حِصْنٍ فاحْتَوَتْ يَدُهُ عَلَى بَنِي الْعَنْبَرِ الطُّرّارِ والشُّجُمِ
وسَارَ عَمْرُو إلَى ذاتِ السَّلاَسِلِ فِي جَمْعٍ لُهَامٍ لِجَيْشِ الشِّرْكِ مُصْطَلِمِ
وغَزْوَتَانِ لِعَبْدِ اللّهِ واحِدَةٌ إلَى رِفَاعَةَ والأُخْرَى إلَى إضَمِ
وسَارَ جَمْعُ ابْنِ عَوْفٍ نَحْوَ دَوْمَةَ كَيْ يَفُلَّ سَوْرَةَ أَهْلِ الزُّورِ والتُّهَمِ
وأَمَّ بِالْخَيْلِ سَيْفَ الْبَحْرِ مُعْتَزِماً أَبُو عُبَيْدَةَ فِي صُيَّابَةٍ حُشُمِ
وسَارَ عَمْرُو إلَى أُمِّ الْقُرَى لأَبِي سُفْيَانَ لَكِنْ عَدَتْهُ مُهْلَةُ الْقِسَمِ
وأَمَّ مَدْيَنَ زَيْدٌ فَاسْتَوَتْ يَدُهُ عَلَى الْعَدُوِّ وسَاقَ السَّبْيَ كالْغَنَمِ
وقَامَ سالِمُ بالْعَضْبِ الْجُرَازِ إلَى أَبِي عُفَيْكٍ فَأَرْدَاهُ ولَمْ يَجِمِ
وانْقَضَّ لَيْلاً عُمَيْرٌ بالْحُسَامِ عَلَى عَصْمَاءَ حَتَّى سَقَاهَا عَلْقَمَ الْعَدَمِ
وسَارَ بَعْثٌ فَلَمْ يُخْطِئْ ثُمَامَةَ إذْ رَآهُ فاحْتَازَهُ غُنْماً ولَمْ يُلَمِ

ذاكَ الْهُمَامُ الَّذِي لَبَّى بِمَكَّةَ إِذْ   أَتَى بِهَا مُعْلِناً فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ
وبَعْثُ عَلْقَمَةَ اسْتَقْرَى الْعَدُوَّ ضُحىً   فَلَمْ يَجِدْ فِي خِلاَلِ الْحَيِّ مِنْ أَرِمِ
ورَدَّ كُرْزٌ إِلَى الْعَذْرَاءِ مَنْ غَدَرُوا   يَسَارَ حَتَّى لَقَوْا بَرْحاً مِنَ الشَّجَمِ
وسَارَ بَعْثُ ابْنِ زَيْدٍ لِلشَّأْمِ فَلَمْ   يَلْبَثْ أَنِ انْقَضَّ كالْبَازِي عَلَى الْيَمَمِ
فَهَذِهِ الْغَزَوَاتُ الْغُرُّ شامِلَةً   جَمْعَ الْبُعُوثِ كَدُرٍّ لاَحَ فِي نُظُمِ
نَظَمْتُهَا راجياً نَيْلَ الشَّفَاعَةِ مِنْ   خَيْرِ الْبَرَايَا ومَوْلَى الْعُرْبِ والْعَجَمِ
هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي لَوْلاَهُ مَا قُبِلَتْ   رَجَاةُ آدَمَ لَمَّا زَلَّ فِي الْقِدَمِ
حَسْبِي بِطَلْعَتِهِ الْغَرَّاءِ مَفْخَرَةً   لَمَّا الْتَقَيْتُ بِهِ فِي عالَمِ الْحُلُمِ
وقَدْ حَبَانِي عَصَاهُ فاعْتَصَمْتُ بِهَا   فِي كُلِّ هَوْلٍ فَلَمْ أَفْزَعْ ولَمْ أَهِمِ
فَهْيَ الَّتِي كانَ يَحْبُو مِثْلَهَا كَرَماً   لِمَنْ يَوَدُّ وحَسْبِي نِسْبَةً بِهِمِ
لَمْ أَخْشَ مِنْ بَعْدِهَا مَا كُنْتُ أَحْذَرُهُ   وكَيْفَ وهْيَ الَّتِي تُنْجِي مِنَ الْغُمَمِ ؟!
كَفَى بِهَا نِعْمَةً تَغْلُو بِقِيمَتِهَا   نَفْسِي وإِنْ كُنْتُ مَسْلُوباً مِنَ الْقِيَمِ
ومَا أُبَرِّئُ نَفْسِي وهْيَ آمِرَةٌ   بالسُّوءِ مَا لَمْ تَعُقْهَا خِيفَةُ النَّدَمِ
فَيَا نَدَامَةَ نَفْسِي فِي الْمَعَادِ إِذَا   تَعَوَّذَ الْمَرْءُ خَوْفَ النُّطْقِ بِالْبَكَمِ
لَكِنَّنِي واثِقٌ بِالْعَفْوِ مِنْ مَلِكٍ   يَعْفُو بِرَحْمَتِهِ عَنْ كُلِّ مُجْتَرِمِ
وسَوْفَ أَبْلُغُ آمَالِي وإِنْ عَظُمَتْ   جَرَائِمِي يَوْمَ أَلْقَى صاحِبَ الْعَلَمِ
هُوَ الَّذِي يَنْعَشُ الْمَكْرُوبَ إِذْ عَلِقَتْ   بِهِ الرَّزَايَا ويُغْنِي كُلَّ ذِي عَدَمِ
هَيْهَاتَ يَخْذُلُ مَوْلاَهُ وشَاعِرَهُ   فِي الْحَشْرِ وهْوَ كَرِيمُ النَّفْسِ والشِّيَمِ
فَمَدْحُهُ رَأْسُ مالِي يَوْمَ مُفْتَقَرِي   وحُبُّهُ عِزُّ نَفْسِي عِنْدَ مُهْتَضَمِي
وَهَبْتُ نَفْسِي لَهُ حُبّاً وتَكْرِمَةً   فَهَلْ تَرَانِي بَلَغْتُ السُّؤْلَ مِنْ سَلَمِي ؟
إِنِّي وإِنْ مالَ بِي دَهْرِي وبَرَّحَ بِي   ضَيْمٌ أَشَاطَ عَلَى جَمْرِ النَّوَى أَدَمِي
لَثَابِتُ الْعَهْدِ لَمْ يَحْلُلْ قُوَى أَمَلِي   يَأْسٌ ولَمْ تَخْطُ بِي فِي سَلْوَةٍ قَدَمِي
لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ لِي مَا أَسْتَعِينُ بِهِ   عَلَى التَّجَمُّلِ إِلاَّ ساعِدِي وفَمِي

هَذَا يُحَبِّرُ مَدْحِي فِي الرَّسُولِ وذَا ... يَتْلُو عَلَى النَّاسِ مَا أُوحِيهِ مِنْ كَلِمِي

يَا سَيِّدَ الْكَوْنِ عَفواً إنْ أَثِمْتُ فَلِي ... بحُبِّكُمْ صِلَةٌ تُغْنِي عَنِ الرَّحِمِ

كَفَى بِسَلْمَانَ لِي فَخْراً إذَا انْتَسَبَتْ ... نَفْسِي لَكُمْ مِثْلَهُ فِي زُمْرَةِ الْحَشَمِ

وحُسْنُ ظَنِّي بِكُمْ إنْ مُتُّ يَكْلَؤُنِي ... مِنْ هَوْلِ مَا أَتَّقِي فِي ظُلْمَةِ الرَّجَمِ

تاللّهِ مَا عاقَنِي عَنْ حَيِّكُمْ شَجَنٌ ... لَكِنَّنِي مُوثَقٌ فِي رِبْقَةِ السَّلَمِ

فَهَلْ إلَى زَوْرَةٍ يَحْيَا الْفُؤَادُ بِهَا ... ذَرِيعَةٌ أَبْتَغِيهَا قَبْلَ مُخْتَرَمِي

شَكَوْتُ بَثِّي إلَى رَبِّي لِيُنْصِفَنِي ... مِنْ كُلِّ باغٍ عَتِيدِ الْجَوْرِ أَوْ هَكِمِ

وكَيْفَ أَرْهَبُ حَيْفاً وهْوَ مُنْتَقِمٌ ... يَهَابُهُ كُلُّ جَبّارٍ ومُنْتَقِمِ ؟!

لاَ غَرْوَ إنْ نِلْتُ مَا أَمَّلْتُ مِنْهُ فَقَدْ ... أَنْزَلْتُ مُعْظَمَ آمَالِي بِذِي كَرَمِ

يَا مالِكَ الْمُلْكِ هَبْ لِي مِنْكَ مَغْفِرَةً ... تَمْحُو ذُنُوبِي غَدَاةَ الْخَوْفِ والنَّدَمِ

وامْنُنْ عَلَيَّ بِلُطْفٍ مِنْكَ يَعْصِمُنِي ... زَيْغَ النُّهَى يَوْمَ أَخْذِ الْمَوْتِ بِالْكَظَمِ

لَمْ أَدْعُ غَيْرَكَ فِيمَا نابَنِي فَقِنِي ... شَرَّ الْعَوَاقِبِ واحْفَظْنِي مِنَ التُّهَمِ

حاشَا لِرَاجِيكَ أَنْ يَخْشَى الْعِثارَ ومَا ... بَعْدَ الرَّجَاءِ سِوَى التَّوْفِيقِ لِلسَّلَمِ

وكَيْفَ أَخْشَى ضَلاَلاً بَعْدَمَا سَلَكَتْ ... نَفْسِي بِنُورِ الْهُدَى فِي مَسْلَكٍ قِيَمِ ؟!

ولِي بِحُبِّ رَسُولِ اللّهِ مَنْزِلَةٌ ... أَرْجُو بِهَا الصَّفْحَ يَوْمَ الدِّينِ عَنْ جُرُمِي

لاَ أَدَّعِي عِصْمَةً لَكِنْ يَدِي عَلِقَتْ ... بِسَيِّدٍ مَنْ يَرِدْ مَرْعَاتَهُ يَسُمِ

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِي فاعْتَلَوْتُ عَلَى ... هامِ السِّمَاكِ وصَارَ السَّعْدُ مِنْ خَدَمِي

وكَيْفَ أَرْهَبُ ضَيْماً بَعْدَ خِدْمَتِهِ ... وخَادِمُ السَّادَةِ الأَجْوَادِ لَمْ يُضَمِ ؟!

أَمْ كَيْفَ يَخْذُلُنِي مِنْ بَعْدِ تَسْمِيَتِي ... باسْمٍ لَهُ فِي سَمَاءِ الْعَرْشِ مُحْتَرَمِ

أَبْكَانِيَ الدَّهْرُ حَتَّى إذْ لَجِئْتُ بِهِ ... حَنَا عَلَيَّ وأَبْدَى ثَغْرَ مُبْتَسِمِ

فَهْوَ الَّذِي يَمْنَحُ الْعَافِينَ مَا سَأَلُوا ... فَضْلاً ويَشْفَعُ يَوْمَ الدِّينِ فِي الأُمَمِ

نُورٌ لِمُقْتَبِسٍ ذُخْرٌ لِمُلْتَمِسٍ ... حِرْزٌ لِمُبْتَئِسٍ كَهْفٌ لِمُعْتَصِمِ

بَثَّ الرَّدَى والنَّدَى شَطْرَيْنِ فانْبَعَثَا ... فِيمَنْ غَوَى وهَدَى بِالْبُؤْسِ والنِّعَمِ

فالْكُفْرُ مِنْ بَأسِهِ الْمَشْهُورِ فِي حَرَبٍ ... والدِّينُ مِنْ عَدْلِهِ الْمَأْثُورِ فِي حَرَمِ

هَذَا ثَنَائِي وإنْ قَصَّرْتُ فِيهِ فَلِي ... عُذْرٌ وأَيْنَ السُّهَا مِنْ كَفِّ مُسْتَلِمِ ؟!

هَيْهَاتَ أَبْلُغُ بالأَشْعَارِ مِدْحَتَهُ ... وإنْ سَلَكْتُ سَبِيلَ الْقَالَةِ الْقُدُمِ

ماذَا عَسَى أَنْ يَقُولَ الْمَادِحُونَ وقَدْ ... أَثْنَى عَلَيْهِ بِفَضْلٍ مُنْزِلُ الْكَلِمِ

فَهَاكَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ زاهِرَةً ... تُهْدِي إِلَى النَّفْسِ رَيَّا الآسِ والْبَرَمِ

وَسَمْتُهَا باسْمِكَ الْعَالِي فَأَلْبَسَهَا ... ثَوْباً مِنَ الْفَخْرِ لاَ يَبْلَى عَلَى الْقِدَمِ

غَرِيبَةٌ فِي إِسَارِ الْبَيْنِ لَوْ أَنِسَتْ ... بِنَظْرَةٍ مِنْكَ لاَسْتَغْنَتْ عَنِ النَّسَمِ

لَمْ أَلْتَزِمْ نَظْمَ حَبَّاتِ الْبَدِيعِ بِهَا ... إِذْ كانَ صَوْغُ الْمَعَانِي الْغُرِّ مُلْتَزَمِي

وإنَّمَا هِيَ أَبْيَاتٌ رَجَوْتُ بِهَا ... نَيْلَ الْمُنَى يَوْمَ تَحْيَا بَذَّةُ الرِّمَمِ

نَثَرْتُ فِيهَا فَرِيدَ الْمَدْحِ فانْتَظَمَتْ ... أَحْسِنْ بِمُنْتَثِرٍ مِنْهَا ومُنْتَظِمِ

صَدَّرْتُهَا بِنَسِيبٍ شَفَّ باطِنُهُ ... عَنْ عِفَّةٍ لَمْ يَشِنْهَا قَوْلُ مُتَّهِمِ

لَمْ أَتَّخِذْهُ جُزَافاً بَلْ سَلَكْتُ بِهِ ... فِي الْقَوْلِ مَسْلَكَ أَقْوَامٍ ذَوِي قَدَمِ

تابَعْتُ كَعْباً وحَسّاناً ولِي بِهِمَا ... فِي الْقَوْلِ أُسْوَةُ بَرٍّ غَيْرِ مُتَّهَمِ

والشِّعْرُ مَعْرَضُ أَلْبَابٍ يَرُوجُ بِهِ ... مَا نَمَّقَتْهُ يَدُ الآدَابِ والْحِكَمِ

فَلاَ يَلُمْنِي عَلَى التَّشْبِيبِ ذُو عَنَتٍ ... فَبُلْبُلُ الرَّوْضِ مَطْبُوعٌ عَلَى النَّغَمِ

ولَيْسَ لِي رَوْضَةٌ أَلْهُو بِزَهْرَتِهَا ... فِي مَعْرِضِ الْقَوْلِ إلاَّ رَوْضَةُ الْحَرَمِ

فَهْيَ الَّتِي تَيَّمَتْ قَلْبِي وهِمْتُ بِهَا ... وَجْداً وإنْ كُنْتُ عَفَّ النَّفْسِ لَمْ أَهِمِ

مَعَاهِدٌ نَقَشَتْ فِي وَجْنَتَيَّ لَهَا ... أَيْدِي الْهَوَى أَسْطُراً مِنْ عَبْرَتِي بِدَمِ

يَا حادِيَ الْعِيسِ إنْ بَلَّغْتَنِي أَمَلِي ... مِنْ قَصْدِهِ فاقْتَرِحْ مَا شِئْتَ واحْتَكِمِ

سِرْ بالْمَطَايَا ولاَ تَرْفُقْ فَلَيْسَ فَتىً ... أَوْلَى بِهَذا السُّرَى مِنْ سائِقٍ حُطَمِ

ولاَ تَخَفْ ضَلَّةً وانْظُرْ فَسَوْفَ تَرَى ... نُوراً يُرِيكَ مَدَبَّ الذَّرِّ فِي الأَكَمِ

وكَيْفَ يَخْشَى ضَلاَلاً مَنْ يَؤُمُّ حِمَى ... مُحَمَّدٍ وهْوَ مِشْكَاةٌ عَلَى عَلَمِ ؟!

هَذِي مُنَايَ وحَسْبِي أَنْ أَفُوزَ بِهَا ... بِنِعْمَةِ اللَّهِ قَبْلَ الشَّيْبِ والْهَرَمِ

ومَنْ يَكُنْ راجياً مَوْلاَهُ نالَ بهِ ... مَا لَمْ يَنَلْهُ بِفَضْلِ الْجِدِّ والْهِمَمِ

فاسْجُدْ لَهُ واقْتَرِبْ تَبْلُغْ بِطَاعَتِهِ ... مَا شِئْتَ فِي الدَّهْرِ مِنْ جاهٍ ومِنْ عِظَمِ

هُوَ الْمَلِيكُ الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ ... أَهْلُ الْمَصَانِعِ مِنْ عادٍ ومِنْ إرَمِ

يُحْيِي الْبَرَايَا إذَا حانَ الْمَعَادُ كَمَا ... يُحْيِي النَّبَاتَ بِشُؤْبُوبٍ مِنَ الدِّيَمِ

يَا غافِرَ الذَّنْبِ والأَلْبَابُ حائِرَةٌ ... فِي الْحَشْرِ والنّارُ تَرْمِي الْجَوَّ بِالضَّرَمِ

حاشَا لِفَضْلِكَ وهْوَ الْمُسْتَعَاذُ بهِ ... أَنْ لاَ تَمُنَّ عَلَى ذِي خَلَّةٍ عَدِمِ

إنِّي لَمُسْتَشْفِعٌ بِالْمُصْطَفَى وكَفَى ... بهِ شَفِيعاً لَدَى الأَهْوَالِ والْقُحَمِ

فاقْبَلْ رَجَائِي فَمَا لِي مَنْ أَلُوذُ بهِ ... سِوَاكَ فِي كُلِّ مَا أَخْشَاهُ مِنْ فَقَمِ

وصَلِّ رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ ... شَمْسُ النَّهارِ ولاَحَتْ أَنْجُمُ الظُّلَمِ

والآلِ والصَّحْبِ والأَنْصَارِ مَنْ تَبِعُوا ... هُدَاهُ واعْتَرَفُوا بِالْعَهْدِ والذِّمَمِ

وامْنُنْ عَلَى عَبْدِكَ الْعَانِي بِمَغْفِرَةٍ ... تَمْحُو خَطَايَاهُ فِي بَدْءٍ ومُخْتَتَمِ

قصيدة فتح البديع في مدح الشفيع

لِلشاعر مرسي شاكر الطنطاوي

* تقـــديم :

لم أجد عندي معلومات عن الشاعر مرسي شاكر الطنطاوي ، ولكني سأكتفي بما وجدتُه عنه في التقديم لِلقصيدة في كتيب تم نشره عام ١٩٤٧ طبعة ثانية بمكتبة القاهرة ..

وقد كتب الأستاذ عبد الرحمن بك الرافعي يقول : وقد جاءت قصيدة الشاعر مرسى شاكر الطنطاوي (فتح البديع في مدح الشفيع) دُرَّةً في بلاغة الشعر وسموّ المعاني ونبل الغاية مِن القريض ، نظمها في نيف ومائتين وخمسين بيتاً على مثال البردة ، فأضاف إلى الثروة الأدبية قصيدةً عصماء على غرار ما جادت به قرائح الشعراء في مدح الرسول ﷺ مِن عهد حسان بن ثابت – شاعر الرسول ﷺ – إلى البوصيري إلى البارودي في (كشف الغمة) ، فأحيا بذلك سُنَّةَ مَن سبقوه إلى هذا الضرب من الشعر الجدير بأن يتجدد في كل عصر لِيجدد في النفوس شعور الإيمان ويحفزها إلى الاقتداء بهدي النبي الكريم ﷺ ويطالعها بما تحتوي رسالته من الكمالات الإنسانية والمبادئ التي تَكفل سعادة البشر وعظمة الأمم .

جاءت القصيدة فيضاً من الإيمان الصحيح ، وقبساً من النظر الصادق والتفكير الناضج ، وثمرةً من الأدب الرفيع ، تقرأ فيها تاريخاً رائعاً لِشخصية الرسول مِن مولده ﷺ إلى نشأته وبيئته وإسرائه وهجرته ثم انتشار دعوته النبوية التي عم نورها الأرجاءَ فكانت فاتحةَ عصر جديد لِلإنسانية وتقدمها .

هذا كلام الأستاذ عبد الرحمن بك الرافعي ، ومنه يتضح لنا أن الشاعر كتب قصيدته قبل قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي (نهج البردة) التي كُتِبَتْ بين عام ١٩١٢ إلى عام ١٩١٥ ؛ وذلك لأن قصيدته (وُلِد الهدى) كُتِبَتْ عام ١٩١٢ ، و(سلوا قلبي) كُتِبَتْ عام ١٩١٤ ، وقد كتب الشاعر مرسي شاكر

الطنطاوي قصيدته (فتح البديع في مدح الشفيع) عام ١٩٤٢ أي أنها كُتِبَتْ بعد (نهج البردة) ، ولكن الأستاذ عبد الرحمن الرافعي لم يشر إليها في مقدمته ، وهذا ما يدعو إلى الاستغراب !!

وكذلك لم يشر إلى قصيدة (بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ) لِلشاعر كعب ابن زهير ، وخاصّةً أنها مِن أعظم القصائد التي كُتِبَتْ في المديح .

وعليه .. فإننا نستطيع أن نجزم بأن ترتيب القصائد الكبرى في المديح هي كالآتي : قصيدة كعب بن زهير (بَانَتْ سُعَاد) التي كُتِبَتْ في عهد الرسول ﷺ ، وقصيدة البردة ، ثم قصيدة نهج البردة التي كُتِبَتْ عام ١٩١٤ م تقريباً ، وقصيدة فتح البديع التي كُتِبَتْ عام ١٩٤٢ م .

وقد قال الأستاذ حسن شاكر – صاحب جريدة البشرى – عن قصيدة فتح البديع : ولقد أُعْجِبْتُ بما حوته مِن جديد معانيها .

وقد أُعْجِب بها كل مَن سمعها مِن أعلام العلم والأدب ، وفي مقدمتهم حضرة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر ، وحضرة المجاهد الإسلامي الحر الحاج مصطفى محمد الراعي المعروف بصدق جهاده الديني والأخلاق ، وكذلك شاعرنا المبدع الكبير السيد حسن القاياتي ، والشاعر الاجتماعي المجيد أحمد أفندي محرم صاحب الإلياذة الإسلامية .

وجدير بالقصيدة أن تقف في مصافّ البردة ونهج البردة وبانت سعاد ونسق البردة التي كُتِبَتْ ما بين عام ١٩٦٠ م إلى ١٩٦٥ م .

ويأتي بعد القصائد السابقة قصيدة الشيخ البرعي ورفاعة رافع الطهطاوي ، ولكن قصيدة الشاعر الكبير محمود سامي البارودي تقف شامخةً لِتتساوى مع بانت سعاد والبردة ونهج البردة وكذا نسق البردة .

أكثر اللّه مِن أمثال هؤلاء الشعراء العظماء .

فتح البديع في مدح الشفيع

أَطْلَقْتُ رُوحِي بَيْنَ الْبَانِ والْعَلَمِ طَيْراً يُرِفُّ بأَشْوَاقِي إِلَى إِضَمِ[١]

أَرْضٌ بَلَوْتُ الْهَوَى فِي ساحِهَا قَدَراً لَمْ أَغْنَ فِي رَدِّهِ بِالْجُنْدِ والْحَشَمِ

ناءَتْ بِهِ فِي مُعَانَاةِ الْجَوَى هِمَمِي فَمِلْتُ والْحُبُّ غَلاَّبٌ عَلَى الْهِمَمِ

حاوَلْتُ كِتْمَانَهُ كِبْراً عَلَى عَذَلِي فَكَانَ أَبْيَنَ مِنْ شَيْبٍ عَلَى كَتَمِ[٢]

وكُنْتُ بَيْنَ مَقَامٍ لاَ يُطَاوِلُهُ بَأْسٌ فَأَحْمِلُ فِيهِ بَأْسَ مُعْتَزِمِ

فَكُلَّمَا أَتَّقِيهِ عَزَّنِي مَدَدٌ يَقْوَى بِجَمْعٍ مِنَ الأَسْرَارِ مُلْتَئِمِ[٣]

عَلَى ظَوَاهِرَ أَسْتَجْلِي أَدِلَّتَهَا فِي النَّبْتِ والْمَاءِ والذَّرَّاتِ والنَّسَمِ[٤]

تَجَرُّدِي فِيهِ أَحْيَانِي فَأَلْبَسَنِي هَذَا الْجَدِيدَ وحَلَّى بالسَّنَى لِمَمِي[٥]

فَصِرْتُ مِنْ فَيْضِ أَنْوَارِ الْمَشِيبِ عَلَى جَوٍّ أُحِيلُ بِهِ جَوىً مِنَ الظُّلَمِ

وقَدْ تَلَمَّسْتُ فِي مَشْبُوبِ ثَوْرَتِهِ نُعْمَى وإِنْ جَشِمَتْ فِي مَوْطِنِ النِّقَمِ

غامَرْتُ فِيهِ ومَنْ يُطْلِقْ إِرَادَتَهُ تَنْسَابُ فِي غَمَرَاتِ الْحُبِّ لَمْ يُلَمِ

ومَا مَلاَمَةُ ذِي عَيْنٍ تُنَازِعُهُ بِاللَّحْظِ قَلْباً يُلَبِّيهَا عَلَى رَغَمِ

---

(١) يؤيد الشاعر بمطلعه صورة الروح عند المصريين القدماء ؛ فقد صوَّرها طائراً يرفرف على جسد المتوفى إلى أجل مسمى ..

ومِن هذا يقول الرئيس ابن سينا في وصف الروح مِن قصيدته المشهورة :

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الأَرْفَعِ وَرْقَاءُ ذاتُ تَعَزُّزٍ وتَمَنُّعِ

إضم : الوادي الذي فيه المدينة المنورة وملحقاتها مِن القرى والآثار المقدسة .

(٢) الْكَتَم : الصبغة .

(٣) ملتئم : مجتمع .

(٤) يُثبِت الشاعر رأي القائلين بأن آثار الحب عُرِفَتْ في كل مخلوق حتى الجماد ، وفيه مِن ظاهرة العلم بالحب ما فيه .

(٥) لمم : جمع " لمة " ، وهي الشعر المجاور شحمة الأذن ، وفيه تكون طلائع الشيب .

يَدْرِي الْهَوَى نابةٌ قاسَ الْهَوَاءَ عَلَـى ... كَفٌّ تُوَازِنُ بَـيْنَ الْبَـازِ والـرَّخَمِ[١]

حقَـائقُ الْحُـبِّ أَحْـوَالٌ مُقَـدَّرَةٌ ... طَبْعاً عَلَى وَحْيِ قَلْبٍ غَيْـرِ مُنْقَسِـمِ

ولِي مِـنَ الْحُـبِّ أَحْـوالٌ مُقَـدَّرَةٌ ... مَسْتُورَةٌ بِوَقَـارِ الشَّـيْبِ والْهَـرَمِ[٢]

فَفِي الضَّرِيحِ كَمَا فِي الْمَهْدِ أُبْصِـرُهَا ... طَيْفـاً يُـذَكِّرُ بِالْعِرْفَـانِ والـذِّمَمِ

وفِي النَّهَارِ كَمَا فِي اللَّيْـلِ أَلْمَحُهَـا ... رَوَائعاً بَـرَزَتْ مِـنْ خـاطِرٍ لِفَـمِ

تَدُورُ بِي فِي مَجَـالٍ كُنْـتُ أَنْشُـدُهُ ... أَيَّامَ أَمْـرَحُ فِـي الـدُّنْيَا بِمُغْتَنَمِـي

وصَفْحَةُ الْعَيْشِ تَبْـدُو فِـي مُقَدِّمَـةٍ ... مِنَ الصَّـبَا بِمَضَـاءٍ غَيْـرِ مُـتَّهَمِ[٣]

حَتَّى انْثَنَيْـتُ بِمِيقَـاتِي إِلَـى أَمَـدٍ ... مِنَ الْكُهُولَةِ لاَ يَضْفَى بِـهِ عَلَمِـي[٤]

هَذَا الصِّبَا لَمْ أَكَـدْ أَحْيَـا بِجَانِبِـه ... حَتَّى نَوَى غُرْبَةً عَـنْ مَنْـزِلٍ أَمَـمِ[٥]

تَجَمَّعَـتْ حَوْلَـهُ الأَحْـزَانُ ماثِلَـةً ... فِي أَدْمُعٍ تَتَحَدَّى مَسْـقَطَ الـدِّيَمِ[٦]

واسْتَرْجَعَتْ بِالأَسَى نَفْـسٌ مُوَزَّعَـةٌ ... فِي هَيْكَـلٍ هَدَّمَتْـهُ رَجْفَـةُ الأَلَـمِ

تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَى الْمَاضِـي فَأَشْـعُرُهُ ... كَالْحُلْمِ يَخْدَعُ بِالسَّلْسَالِ جَوْفَ ظَمِي

تِلْكَ الزُّجَاجَةُ لِـي قَلْـبٌ يُمَاثِلُهَـا ... إِذَا اسْتَبَدَّ بِهِ وَقْـدُ اللَّهِيـبِ حَمِـي

دارَيْتُ نَفْسِي مِمَّا شَبَّ مِـنْ نَفَـسٍ ... مُقَطَّعٍ بِشُـجُونٍ قَـطُّ لَـمْ تَـرِمِ[٧]

مَا طائِرٌ مَلَّ فِي الأَقْفَـاصِ مَحْبَسَـهُ ... كَطَـائِرٍ يَتَـذَرَّى عَـالِيَ القِمَـمِ[٨]

وحَـائِرٍ بَـاتَ بِالأَشْـجَانِ مُنْعَـزِلاً ... عَنْ نَفْسِـهِ بِاتِّصَـالٍ غَيْـرِ مُنْصَـرِمِ

---

(١) الباز والرخم : طائران يمتاز ثانيهما بسرعة الانقضاض وقوة النهوض بالفريسة ، وكلاهما من الجوارح .

(٢) الهرم : نهاية الْكِبَر .

(٣) المضاء : الحدة .

(٤) يضفى : يتسع رونقه .

(٥) أمم : قريب .

(٦) الديم : جمع " ديمة " ، وهي المطر الدائم ليس فيه برق أو رعد .

(٧) لم ترم : فعلها " تريم " أي تبرح .

(٨) يتذرى : يعلو إلى الذروة ، والقمم : جمع " قمة " ، وهي رؤوس الجبال .

إنَّ الْكُهُولَةَ رُؤْيَـا الْمَـوْتِ مُشْـتَبِهاً   عَلَى الْحَيَاةِ بِضَافِي الْهَمِّ والسَّـقَمِ[١]
لَئِنْ سَقِمْتُ فَصَحْوُ الرُّوحِ فِي سَقَمِي   وإنْ نَدِمْتُ فَطُهْرُ النَّفْسِ فِـي النَّـدَمِ
فَلاَ أَجَـلَّ مِـنَ الإِيمَـانِ يَصْـحَبُنِي   فِيمَا أُحَاوِلُ مِنْ خَفْـضٍ ومِـنْ نِعَـمِ
وقَدْ أَخَذْتُ عَلَى الْخَمْسِـينَ عُـدَّتَهَا   أَسْرِي بِهَا هائماً فِي ساحَةِ الْحَـرَمِ[٢]
مُنَزَّهَ الرُّوحِ عَنْ لَهْـوٍ رَكِبْـتُ لَـهُ   طَيْـرَ الْغِوَايَـةِ إنْ طارَدْتُـهُ يَحُـمِ
وشَاهِدِي مَا يَرَى الْعُذَّالُ مِنْ شَـجَنٍ   تُبْدِيهِ حـالِي إذَا لَـمْ يُبْـدِهِ قَلَمِـي
ذَرّاتُ جِسْمِي حالَتْ فِي تَسَلْسُـلِهَا   كَوَاكِباً سَطَعَتْ فِي أُفُـقِ ذِي سَـلَمِ
حَيْثُ انْتَقَيْتُ أَسَالِيبَ الْوُصُولِ إلَـى   ذاتِ الرَّسُولِ بِشَوْقٍ جِـدِّ مُضْـطَرِمِ
شَـفَيْتُهُ بِـدُمُوعٍ كُنْـتُ أَحْبِسُـهَا   لِمَوْعِـدٍ بـانَ فِيـهِ كُـلُّ مُكْتَـتَمِ
أَبْصَرْتُ كُلِّي بِبَعْضِي يَـوْمَ أَلْهَمَنِـي   حُبُّ النَّبِيِّ صَفَاءَ الـنَّفْسِ مِـنْ تُهَمِ
آثَرْتُ عَنْ عَـرَضِ الـدُّنْيَا مَحَبَّتَـهُ   حَتَّى وَقَفْتُ مَعَ الْعُشّاقِ فِي حَـرَمِ[٣]
ومِلْتُ عَنْ حُكْمِ أَهْـوَائِي لِحِكْمَتِـهِ   وقَدْ بَسَـطْتُ عَلَيْهَـا رَأْيَ مُحْـتَكِمِ
وعِفْتُ بَعْدَ الـدِمَاجِي فِـي مَوَاكِبِـهِ   لَذَائذُ الطُّعْمِ لاَ تَحْلُو عَلَـى الْفَقَـمِ[٤]
آبَـى الْخَلاَعَـةَ لاَ أَلْهُـو بِخِلْعَتِهَـا   مَا أَبْعَدَ اللَّهْوَ عَـنْ آدَابِ مُحْتَشِـمِ
فَمَـا غَرَامِـي بِـدُنْيَا لاَ أُصَـوِّرُهَا   إلاَّ جنَـازَةَ رُوحِ الْبَـائِسِ الْغَـرِمِ
مَعْنَى الْحَيَاةِ ومَعْنَى الْمَوْتِ مُخْتَلِـفٌ   إلاَّ إذَا اجْتَمَعَـا فِـي مُجْهَـدٍ سَـئِمِ
كادَتْ لِتُسْـلِمَهُ الأَحْـدَاثُ مُنْـتَقِلاً   مِنَ الْفَضَاءِ إلَى مُسْـتَوْدَعِ الـرِّمَمِ[٥]
لَـوْلاَ التَّوَسُّـلُ بِالْهَـادِي وشِـيعَتِهِ   فِي نَزْعِ ما تَبِسَ الْمَحْزُونُ مِنْ سَـقَمِ

---

(١) يصور الشاعر الكهولةَ بما لم يسبق تصويره ، وإنا لنربأ بإيمان الشاعر أن لا يتعدى هذا الرأي حكم شاعر .

(٢) هي ساحة الحرم المكي صانها اللّه تعالى .

(٣) حرم : مكان مقدس .

(٤) الفقم : امتلاء الجوف بما يثقله من طعام وشراب ونحوهما .

(٥) مستودع الرمم : المدافن .

هَدَى الأَنَـامَ فَأَهْـدَى كُـلَّ مُتَّبِـعٍ ... مِنْهَاجَ شِـرْعَتِهِ حِـرْزاً مِـنَ الـنِّقَمِ
لاَ تُفْضِـيَنَّ إِلَيْـهِ كَـفُّ مُسْـتَلِبٍ ... ولاَ يَصُـرُّ عَلَيْـهِ نَـابُ مُلْـتَهِمِ
وكَيْـفَ لاَ يَـأْمَنُ الأَيّـامَ مُتَّبِـعٌ ... هَدْيَ الرَّسُولِ بِرُوحِ الطُّهْرِ والْعِصَمِ ؟!
هُوَ النَّبِـيُّ الَّـذِي عَمَّـتْ رِسَـالَتُهُ ... بِالْحَقِّ مُخْتَلَفَ الأَصْقَاعِ والـتُّخُمِ[1]
دانَـتْ أُورُوبَّـا وأَمْرِيكَـا لِدَعْوَتِـهِ ... عَلَى مَدِيـدٍ مِـنَ الأَيّامِ مُرْتَسِمِ
مَا زالَ يَجْذِبُ مِغْنَـاطِيسُ حِكْمَتِـهِ ... بِالرِّفْقِ كُلَّ زَمَانٍ لَـجَّ فِـي الْقِـدَمِ
حَضَارَةُ الْفُرْسِ والرُّومَانِ مَا كَمُلَـتْ ... إلاَّ بِأَحْكَـامِ دِيـنٍ ثابِـتِ الـدِّعَمِ
ومَجْدُ فِرْعَوْنَ لَـمْ تَثْبُـتْ قَوَاعِـدُهُ ... إلاَّ بِسَـابِغَةٍ مِـنْ تِلْكُـمُ السِّـيَمِ[2]
إِنْ تَسْأَلِ الْكَوْنَ عَـنْ ذاتٍ تُمَاثِلُـهُ ... أَجَابَ وَحْيُ النُّهَى عَنْـهُ بِـلاَ ولَـمِ
ذاتٌ تَمَثَّلُ فِي مَعْـنىً يَطُـوفُ عَلَـى ... سُرَادِقِ الْعَرْشِ بَيْنَ اللَّـوْحِ والْقَلَـمِ
تُطْوَى الْحَوَادِثُ مِنْ ظَهْرٍ إِلَى رَحِـمٍ ... مِنْ عَهْدِ شِيثٍ أَمِينِ الْعَهْـدِ بِـالرَّحِمِ
وَضّاءَ مُدْرَكَةً فِـي صُـلْبِ مُدْرِكَـةٍ ... كَمَـا تَبَيَّنَـهُ الْكُهّـانُ بِـالرَّقَمِ[3]
عَـزَّتْ بِمِلَّتِـهِ الـدُّنْيَا وفِـي يَـدِهِ ... مِيثَـاقُ كُـلِّ نَبِـيٍّ قَبْـلَ بَعْـثِهِمِ
كُلُّ الْفَضَـائِلِ فَـرْعٌ مِـنْ فَضِـيلَتِهِ ... وفَضْلُهُ الأَصْلُ فِي مُسْتَجْمَعِ الشِّـيَمِ
تَقَدَّمَ الرُّسْلَ عَهْـداً وهْـوَ آخِـرُهُمْ ... أَعْظِمْ بِمُبْتَدَأٍ فِـي الرُّسْـلِ مُخْتَـتَمِ
رَبِيبُ مُلْـكٍ تَعَـالَى مَجْـدُ أُسْـرَتِهِ ... عَلَى الْقَبَائِلِ مِنْ فِهْـرٍ إِلَـى جُشَـمِ
كَمْ مِنْ عَجَائِـبَ لِلْمَبْعُـوثِ ناطِقَـةٍ ... تَدْهَى الظَّلِيمَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ صَمَمِ[4]
يَا شَهْرَ نَيْسَانَ باهَيْتَ الشُّـهُورَ بِمَـا ... لَبِسَتْ فِي مَوْلِدِ الْمُخْتَارِ مِنْ وُسُـمِ[5]

---

(١) التخم والتخوم : الحدود .

(٢) السيم : العلامات .

(٣) مدركة : هو الجد الرابع عشر للنبي ﷺ .

(٤) الظليم : ذَكَر النعام ، والنعام لم يُرْزَقْ حاسة السمع - عجائب مولده ﷺ ملأت الأرض والسماء ، وأسمع كل الموجودات حتى الظليم الذي لا يسمع .

(٥) الوسم : العلامات ، جمع " وسام " ، ونيسان من الشهور الرومية الموافق لربيع الأول زمنَ ولادة النبي ﷺ .

يَوْمٌ لَـهُ خَـرَّتِ الأَصْـنَامُ راجفَـةً تَهْوِي بِعُبَّـادِهِمْ مَهْـوَى ضَـلالِهِمِ
وانْقَضَّ مِنْ شُـرَفِ الإيـوَانِ طائفَـةٌ كانَتْ مَشَاهِدُهَا أَسْنَى مِنَ الْهَـرَمِ [١]
وأُخْمِدَتْ بَعْدَ أَلْـفٍ مِـنْ تَأَجُّجِهَـا نـيرَانُ فـارِسَ فارْتَـدُّوا بِغَـيْظِهِمِ
وهَابَ عِيصَـا ونَسْـطُورٌ بِمَوْلِـدِهِ ذَهَـابَ مَفْخَـرَةِ الـدُّنْيَا بِعِـزِّهِمِ [٢]
وآيَـةُ اللَّـهِ فِـي آفَاقِـهِ نَسَـخَتْ مَا لِلشَّيَاطِينِ مِـنْ مَـأْثُورِ سِـحْرِهِمِ
حِرَاسَةُ اللَّهِ فِي عُرْضِ السَّمَاءِ قَضَـتْ عَلَـى اسْـتِرَاقِ أَطَـالُوهُ بِرَصْـدِهِمِ
واخْضَرَّتِ الأَرْضُ فامْتَدَّ الرَّخَاءُ إلَـى مَذَاهِبِ الْكَوْنِ مِنْ قاصِـيهِ والأَمَـمِ
فَخُصَّ كُلُّ قَبِيلٍ وَفْـقَ مَـا قَـدَرَتْ لَـهُ الْعِنَايَـةُ مِـنْ حَـظٍّ ومُقْتَسَـمِ
والنَّاسُ فِي صُـحُفِ الأَيَّـامِ أَمْثِلَـةٌ عَلَـى الْحَيَـاةِ بِنُعْمَـاهُمْ وبُؤْسِـهِمِ
بَعْضُ الْمَكَارِمِ فِي بَعْضِ الْوَرَى عَجَبٌ كالْمَاءِ فِي الصَّخْرِ أَوْ كالْمَاسِ فِي الْفَحَمِ
فَقَدْ يَجُودُ بَخِيـلُ الْقَـوْمِ مُعْتَسِـفاً فِي غَفْلَةٍ مِنْ لِزَامِ الطَّبْـعِ لَـمْ تَـدُمِ
نالَتْ ثُوَيْبَةُ فَضْلاً مِـنْ أَبِـي لَهَـبٍ يَوْمَ الْبِشَارَةِ بِالْمَوْلُودِ ذِي الشَّـمَمِ [٣]
قَضَـى بِتَحْرِيرِهَـا عِـزّاً فَأَوْرَثَهَـا مِنَ السَّعَادَةِ مُلْكاً شـاهِقَ الأُطُـمِ [٤]
وبَيْنَ أَضْلُعِهِ مَـا قَـرَّ مِـنْ حَسَـدٍ يَكَادُ يُسْـعِرُ بَـرْدَ الْهَاطِـلِ الْعَـرِمِ

****

مَـا زالَ أَبْرَهَـةُ يَحْتَـالُ حِيلَتَـهُ فِي هَدْمِ بَيْتٍ مَنِيعِ الظِّـلِّ والْحَـرَمِ
حَتَّى رَمَتْـهُ مِـنَ الأَقْـدَارِ داهِيَـةٌ رَدَّتْ بِكَيْدِ الْمَنَايَـا كَيْـدَ مُخْتَصِـمِ

---

(١) الهرم : البناء المصري الخالد .

(٢) عيصا : راهب كان في الشام تنبأ بميلاد المصطفى ﷺ ، وهو القائل : يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم ..

ونسطور : راهب بُصْرَى ، وهو القائل : ما نزل تحت ظل هذه الشجرة بعد عيسى إلا نَبيّ .

(٣) ثويبة : جارية أبي لهب ، وقد أعتقها يومَ أن بَشَّرَتْه بمولد النبي ﷺ .

(٤) الأطم : الحصون والقلاع وما يُحْتَمَى به مِن ضخام الأبنية .

تَمَثَّلَتْ فِـي مَـدَاهَا وهْـيَ زاحِفَـةٌ طَيْراً أَبَابِيلَ تَغْشَـى الْقَـوْمَ بِـالرَّجَمِ

فَأَيَّدَتْ فِي سِـجِلٍّ الطِّـبِّ قاعِـدَةً سارَتْ وبَاسْطُورُ حَمْلٌ فِي حَشَى الظُّلَمِ (١)

رَأَوْهُ أَعْجَبَ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ عَجَبٍ فَأَبْصَرُوهُ بِعَـيْنِ الْحَاسِـدِ الْبَـرِمِ (٢)

فَمَا بَحِـيرَا وقَصْـدُ الـرُّومِ قِبْلَتَـهُ إلاَّ مُظَـاهَرَةٌ فِـي رَدِّ بَأْسِـهِمِ

رَأَى الْغَمَامَـةَ ظِـلاًّ فَـوْقَ هامَتِـهِ كَأَنَّهُ مِنْ سَـعِيرِ الْجَـوِّ فِـي حَـرَمِ

فَقَامَ يَبْسُطُ مَا فِي الْكُتْبِ مِـنْ خَبَـرٍ عَنْ بَعْثِ أَحْمَدَ خَيْرِ الْخَلْـقِ كُلِّهِـمِ

فَصَـدَّقُوهُ وبَـاءُوا بِالَّـذِي عَلِمُـوا عَنْهُ بِمَا كانَ فِـي مَسْـطُورِ كُتْـبِهِمِ

فَعَزَّ بَأْساً عَلَـى مَـا كَـانَ يَرْصُـدُهُ أَهْلُ الضَّرَاوَةِ مِنْ بَكْرٍ ومِنْ لَخْـمِ (٣)

وقَامَ يَصْدَعُ بِـالأَمْرِ الَّـذِي سَـبَقَتْ بِهِ النُّبُـوَّةُ فِـي بَيْضَـاءَ لَـمْ تَغِـمِ

وارْتَـدَّ كُـلُّ عَتِيـدٍ حَـدَّ مُنْصُـلَهُ مُحَاوِلاً لِيَصِـيدَ الصَّـقْرَ بِـالْيَمَمِ (٤)

فالْعَاكِفُونَ عَلَـى الأَوْثَـانِ بَـدَّلَهُمْ بِنِعْمَةِ الْبَـالِ هَمّـاً غَيْـرَ مُنْصَـرِمِ

هَمّاً تَـرَدَّدَ فِـي الأَحْشَـاءِ مَبْعَثُـهُ كَمَا تَرَدَّدَ بَعْثُ الْمَوْتِ فِي الْكِظَـمِ (٥)

لَمْ يَحْمِ طَيّـاً سُـهَيْلٌ فِـي مُنَـاجَزَةٍ ولاَ جُذَامٌ فَدَاهَا الْمُشْـتَرِي بِـدَمِ (٦)

---

(١) باسطور : مكتشِف الميكروب كما قرره المحدثون ، ولو رجعوا إلى دقائق ما يحوي القرآن لَعلموا أن هذا الملأ من الأحياء الدقيقة نهايةَ الدقة هي الجنود التي لم يَرَوْهَا والتي كانت عالقةً بالحجارة المترامية على جيش أبرهة بما قدَّره اللّه مِن نوع الهلاك ؛ ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ .

(٢) البرم : المغتاظ الضجر .

(٣) بكر : حي مِن طيء ، ولخم : حي مِن اليمن ، وكلاهما ممن حسد النَّبيَّ ﷺ على رسالته ، والحسد زناد العداوة .

(٤) اليمم : اليمام ، وهي مِن ضعاف الطير ، والصقر : طائر من الجوارح ، فتأمل ما أراد الشاعر .

(٥) الكظم : مخرج النفس ، أو هو الحلْق .

(٦) سهيل والمشتري : نجمان كان أولهما معبودَ طي ، والثاني معبود جذام ، وكلاهما شعب عربيّ عريق في الجاهلية .

دَعَا إِلَى الْحَـقِّ مَسْـئُولاً بِدَعْوَتِـهِ كَطَالِبِ الثَّأْرِ لَمْ يَهْـدَأْ ولَـمْ يَـنَمِ
يُجْرِي الْفِعَالَ بِتَمْكِينِ الْمُحَالِ عَلَـى رُوحِ الْحَقِيقَـةِ لاَ يَعْيَـا بِمُصْـطَدَمِ
قادَ الْمَمَالِـكَ فَـرْداً فِـي سِيَاسَـتِهِ بِالطَّيِّبَاتِ مَقَـادَ الإِبْـلِ بِـالْخُطَمِ[1]
تَمُدُّ مِـنْ شَـرَكِ الأَقْـدَارِ نَظْرَتُـهُ حَبْلاً يَصِـيدُ دُهَـاةً فِـي شِـبَاكِهِمِ
وبَيْنَ جَنْبَيْـهِ قَلْـبٌ بَـاتَ مُتَّصِـلاً بِاللَّهِ مُنْفَصِلاً عَـنْ صَاحِبٍ وحَـمِ

****

كانَتْ أَعَـالِي حِـرَاءِ فِـي تَحَنُّثِـهِ تَسْتَنْزِلُ النَّجْمَ يَهْدِي الضَّوْءَ كُلَّ عَمِي
يَؤُمُّهُ فِي اكْتِشَافِ الْحَـقِّ مُعْتَصِـماً بِقُـوَّةٍ تَتَـوَلَّى خَيْـرَ مُعْتَصِـمِ
مُسْـتَنْزِلاً قِبَـلَ الْمِحْـرَابِ طائفَـةً مِنَ الْمَلاَئِكِ تُحْيِي الْقَلْبَ مِـنْ سَـأَمِ
ولِلْجَلاَلَـةِ صَـوْتٌ يَسْـتَفِزُّ بِـهِ شُمَّ الْجِبَالِ وقَدْ قامَـتْ عَلَـى قَـدَمِ
مُسَـبِّحَاتٍ تَكُـفُّ النَّسْـرَ مُنْزَوِيـاً فِي قَلْبِـهِ بِبَـدِيعِ اللَّحْـنِ والـنَّغَمِ

****

مَشَاهِدُ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى لَهَا حُجَـجٌ عَلَى قُرَيْشٍ ومَـنْ ضَـلُّوا بِعِلْمِهِـمِ
لَمَّـا تَكَامَـلَ تَعْلِيمـاً وتَرْبِيَـةً بِوَحْيِ عِلْمٍ إِلَى عِلْمِ الإِلَـهِ نُمِـي[2]
أَحَلَّـهُ اللَّـهُ بِالإِسْـرَاءِ مَنْزِلَـةً لَمْ تُحْتَسَبْ لِنَبِيٍّ قَبْـلُ فِـي الْقِسَـمِ
شَقَّ الأَثِيرَ إِلَى قُدْسِ السَّـمَاءِ عَلَـى مَتْنِ الْهَـوَاءِ بِـلاَ غَـازٍ ولاَ فَحَـمِ
مُسْتَمْسِـكاً بِعَنَـانِ الْجَـوِّ تَحْمِلُـهُ مَلاَئِكُ اللَّهِ فَـوْقَ الْمَصْـعَدِ السَّـنِمِ
قَدْ أَكْبَرَتْ فِـرَقُ الأَرْوَاحِ مَسْـبَحَهُ مِنْ سافِرٍ بِنِقَـابِ السُّـحْبِ مُلْتَـثِمِ
فَـثَمَّ مُقْـتَحِمُ الأَنْـوَارِ مُشْـرِقَةً بِهَـا نُبُوءَتُـهُ فِـي خَيْـرِ مُقْـتَحَمِ
تَبَـارَكَ اللَّـهُ مُحْيِيـهِ وبَاعِثُـهُ بِرَحْمَةٍ مَنْ تَسُـمْهُ الْفَضْـلَ يَتَّسِـمِ
فَقَدْ تَجَلَّى عَلَـى الأَحْيَـاءِ مَوْكِبُـهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ فِي حَـدٍّ ومُرْتَسَـمِ

(١) الخطم : جمع " خطام " ، وهو مقود الإبل .

(٢) نمي : أخبر .

حَقٌّ يُؤَيِّـدُهُ الْعَقْـلُ الْكَـبِيرُ عَلَـى ... مَا شَذَّ مِنْ غَفَلاَتِ الْعَابِثِ الْخَصِـمِ[١]

ضاقَتْ قُرَيْشٌ بِـهِ ذَرْعـاً وآزَرَهُـمْ ... جَهْلُ الْعُقُـولِ بِمَفْلُـولٍ ومُـنْحَطِمِ

قـالُوا يَتِـيمٌ تَحَـدّانَا بِدَعْوَتِـهِ ... وهَلْ يُعَابُ ثَمِـينُ الـدُّرِّ بِـالْيُتْمِ ؟!

رَأَوْهُ مِـنْ فَلَـكِ الْعَلْيَـا بِـدَائِرَةٍ ... لَمْ يَعْـدُ عَنْهَـا بِمِيقَـاتٍ فَيَنْصَـرِمِ

لاَ كانَ شَيْبَةُ فِـي تَنْبِـيهِهِمْ سَـحَراً ... مِنْ غَفْوَةٍ كَذَّبَتْ مَصْـدُوقَ عَـزْمِهِمِ

فَحَـاوَلُوا سَـفَهاً إِدْرَاكَ هِمَّتِـهِ ... مَنْ ذَا يَقِيسُ شَبَاةَ السَّيْفِ بِالْجَلَمِ ؟![٢]

تَرَاجَعُوا عَـنْ لَحَـاقٍ لاَ يَهُـمُّ بِـهِ ... إلاَّ كِفَاءُ يَـدٍ لَـمْ تُبْـلَ بِالْقَصَـمِ[٣]

وأَجْمَعُـوا كَيْـدَهُمْ صَـفّاً لِتُـورِدَهُ ... جُمُوعُهُمْ طَعْنَةً مِـنْ كَـفٍّ مُنْـتَقِمِ

فاسْتَلْهَمَ الرُّوحَ سِـرّاً يَسْـتَقِلُّ بِـهِ ... فِي مَرْكَبِ الصَّعْبِ مَتْناً غَيْرَ مُنْقَصِـمِ

فَقَامَ بَـيْنَ نُجُـومِ اللَّيْـلِ تَحْرُسُـهُ ... عِنَايَةُ اللَّـهِ مِـنْ أَعْدَائِـهِ الْغُشُـمِ

كالرُّوحِ تَخْطُرُ فِي أَنْفَـاسِ حامِلِهَـا ... إِلَى مَـدَارٍ مِـنَ الأَقْـدَارِ مُحْتَـتَمِ

حَلِيفُـهُ الصِّـدْقُ والصِّـدِّيقُ تابِعُـهُ ... كالظِّلِّ فِي عَلَمٍ والطَّلِّ فِي سَـجَمِ[٤]

كَمْ مِنْ رَفِيقٍ إِذَا اسْتَخْلَصْتَ رُفْقَتَـهُ ... أَبْقَى عَلَى الْوُدِّ عَهْداً مِنْ ذَوِي اللُّحَمِ

حَتَّى أَتَـى الْغَـارَ مَحْفُوفـاً بِطَائِفَـةٍ ... مِنَ السَّمَاءِ تُبَاهِي السُّحْبَ فِي الرَّكَمِ[٥]

فَمَا لِقَـوْمٍ تَصَـدَّوْا يَـوْمَ هِجْرَتِـهِ ... لِخَيْرِ ذاتٍ تَوَلَّـتْ خَيْـرَ مُلْتَـزَمِ ؟!

غَشَّى أُمَيَّةَ نَسْـجُ الْعَنْكَبُـوتِ عَلَـى ... غارٍ تَحَوَّلَ حِصْـناً خـافِقَ الْعَلَـمِ[٦]

أَيْنَ الْكُمَـاةُ وبَـأْسُ الْقَـوْمِ تَنْزِعُـهُ ... بَنَاتُ وَرْقَاءَ تَكْسُو الْخَوْفَ قَلْبَ كَمِي ؟!

---

(١) الخصِم : المجادل .

(٢) الجلم : شق المقراض (المقص) .

(٣) القصم : القطع .

(٤) سجم : انصباب .

(٥) الركم : تراكم الأمطار .

(٦) أمية : هو ابن خلف ، زعيم المقتفين لأثر النبي ﷺ ، وهو القائل : إنّ نسج هذا العنكبوت أقدم مِن ميلاد محمد .

والْبَـيْضُ يُخْبِـرُ بالتَّهْوِيـلِ مَنْظَـرُهُ كَأَنَّـهُ جُلَّـةٌ فِـي مَـدْفَعٍ ضَـخِمِ
وأُمُّ غَـيْلاَنَ أَحْيَـا الرَّمْـلُ مَنْبتَهَـا فاعْجَبْ لإِحْيَاء عُشْبِ الْمَاءِ فِي الضَّرَمِ
يَعْيَا بِهَا الْمَـاءُ إلاَّ أنْ يُحِـيطَ بِهَـا كالدَّلْوِ تُنْزَعُ مِنْ قاعٍ إلَـى الْـوَذَمِ[1]
جَلَّ النَّبيُّ وجَلَّـتْ شَـمْسُ هِجْرَتِـهِ حَتَّى تُهَوِّمَ عَيْنُ الشَّمْسِ مِنْ دُجُـمِ[2]
الْمُطْمَـئِنُّ بِإِيمَـانٍ عَلَـى ثِقَـةٍ مِنَ الْحَيَاةِ بِمَـا يَعْتَـدُّ مِـنْ هِمَـمِ
أَغْضَى عَلَى كَيْـدِهِمْ لِلْحَـقِّ تَعْزِيَـةً بِمَا طَوَاهُ ضَمِيرُ الْغَيْـبِ مِـنْ رُجَـمِ
فَكَمْ أَقَـامَ وأَمْضَـى فِـي مُسَـالَمَةٍ مِـنْ طَبْعِـهِ كُـلَّ مُعْـوَجٍّ ومُنْـثَلِمِ
وحَالَفَتْـهُ مِـنَ الأَقْـدَارِ طائفَـةٌ تَقْضِي بِنُصْـرَةِ مَقْهُـورٍ ومُهْتَضَـمِ
كَبِّرْ عَلَى أَمَـلٍ لَـمْ يَبْـقَ مُزْدَهِـراً بِـهِ وعَـزٍّ فُـؤَاداً فِيـهِ لَـمْ يَهِـمِ
لَوْلاَهُ مَـا عَـزَّتِ الـدُّنْيَا بِتَبْصِـرَةٍ ولاَ اسْتَكَانَ زَمَانُ الْغَـيِّ والْغَسَـمِ[3]
دَعَا بِوَحْيِ الْهُدَى فِـي كُـلِّ مُتَّجَـهٍ فَكَانَ صَوْتٌ وكَانَتْ يَقْظَـةُ الأُمَـمِ

****

رُوحُ الْهِدَايَةِ فِـي الْمُخْتَـارِ سَـارِيَةٌ فِي كُلِّ عَصْرٍ مَسَارَ النَّجْمِ فِي الظُّلَـمِ
مِنَ الْجَزِيرَةِ شَـمْسٌ عَـمَّ مَشْـرِقُهَا دُنْيَا تُهَاجِرُ مِنْ بُؤْسَـى إلَـى نِعَـمِ[4]
عَلَى الْكِتَابِ الَّذِي أَوْحَـاهُ خالِقُنَـا إلَى فُـؤَادِ نَبِـيِّ الْعُـرْبِ والْعَجَـمِ
نَبِيُّنَا الْعَابِدُ الْمَرْبُوبُ مَـنْ سَـجَدَتْ لَهُ الْعُقُولُ سُجُودَ الْخَاشِـعِ السَّـهِمِ
النَّاصِحُ الْبَرُّ مَـنْ عَـزَّتْ بِـهِ أُمَـمٌ أَقَامَهَـا دُوَلاً لَـوْلاَهُ لَـمْ تَقُـمِ

---

(١) الوذم : عروة الدلو ، وهي أذنها التي تُحمَل بها .

(٢) دجم الجو : ظلماته ، والمعنى بقاء ذكرى المصطفى وهجرته حتى تبرد حرارة الشمس ويتمّ إيذان الفناء ، حيث يصبح هذا العالَم خلاءً مِن الجنة والناس ومِن كل مرتبط بالشمس حياةً وبقاءً .

(٣) الغي : الظلم والبغي ، والغسم : الظلمة والحيرة .

(٤) جزيرة العرب التي انفجر منها ضوء المدنية العالمية – مِن بؤسى إلى نِعم : مِن الشقاء إلى النعيم ، أي مِن شقاوة الجهل والكفر إلى نعيم الدنيا والآخرة .

قُرْآنُهُ عِصْـمَةٌ لِلنّـاسِ مِـنْ خَطَـأٍ ... إِذَا اسْـتَقَلُّوا بِـهِ مَنْحَـى صَـوَابِهِم

مِيزَانُ كُلِّ يَـدٍ فِـي كُـلِّ مَمْلَكَـةٍ ... سَمَا بِهَا الرُّوحُ عَنْ مُسْتَوْبَلٍ وَخِـمِ[١]

وشَرْعُ كُـلِّ زَمَـانٍ لاَ يُقَـاسُ بِـهِ ... شَـرْعٌ يُحَـدِّدُ مَقْسُـوماً لِمُقْتَسِـمِ

وحَافِظُ النّاسِ مِنْ فَوْضَى تَـزِلُّ بِهَـا ... أَقْـدَامُهُمْ بَـيْنَ مُـنْقَضٍ ومُنْهَـدِمِ

وحَارِسُ اللُّغَـةِ الْفُصْـحَى مُنَزَّهَـةً ... عَنْ عابِثٍ يَتَفَادَى الْـوَهْمَ بِـالْوَهَمِ[٢]

آيَاتُـهُ بِنِظَـامِ الْكَـوْنِ مُنْزَلَـةٌ ... مِنْ جانِبِ الْعَرْشِ تُجْرِي الْحُكْمَ بِالْحِكَمِ

حَقَـائِقٌ مُسْـتَقِلاّتٌ مُصَـوَّرَةٌ ... فِيمَا يُحَاوِلُ عَقْـلُ الْمُبْصِـرِ الْفَهِـمِ

كَمِ اسْتَحَالَ عَلَى الْعَاصِـي تَفَهُّمُهَـا ... كَمَا اسْتَحَالَ قَرَارُ الْغَيْثِ فِي الأَكَمِ[٣]

تَمَثَّلَـتْ كُـلُّ آيٍ فِـي تِلاَوَتِهَـا. ... فِي صُورَةِ النَّجْمِ مُنْقَضاً عَلَـى صَـنَمِ

قَدْ أَعْجَزَتْ بِقَلِيـلٍ مِـنْ جَوَامِعِهَـا ... قَوْماً هُمُ الْقَوْمُ فِـي مَـأْثُورِ قَـوْلِهِمِ

يَسْتَشْرِفُ الْعَقْلُ مِنْهَا كُلَّمَا اتَّسَـعَتْ ... آفَاقُهُ كُلَّ مَا فِي الْغَيْـبِ مِـنْ حُلُـمِ

حَتَّى تَجَلَّى جَـلاَلُ الْعِلْـمِ مُنْتَشِـراً ... كَمَسْحَبِ الضَّوْءِ لاَ يُبْقِي عَلَى غَمَمِ[٤]

فَكَـانَ لِلْعِلْـمِ بِـالْقُرْآنِ مُعْجِـزَةٌ ... عَـزَّتْ بِقُـوَّةِ دِيـنٍ ثابِـتٍ قِـيَمِ

مُفَصَّـلاً بِمَعَـانِي رُوحِـهِ جُمَـلاً ... مِنَ الْفَضَائِلِ تُغْرِي الـنَّفْسَ بِـالْكَرَمِ

بِهَدْيِـهِ وَقَـفَ الْمُسْـتَنْبِطُونَ عَلَـى ... مَا كَانَ يَحْوِي ضَمِيرُ الْغَيْبِ مِنْ قِـدَمِ

فَالْكِيمِيَـاءُ وفِعْـلُ الْكَهْرُبَـاءِ غَـدَا ... جَـوُّ الأَثِـيرِ عَنَانـاً لاِسْـتِبَاقِهِمِ

****

فَأَيْنَ لِلْكُفْرِ أَشْـبَاحٌ وقَـدْ ذَهَبَـتْ ... آثَارُهُنَّ ذَهَابَ الـرِّيحِ بِـالتُّمَمِ ؟![٥]

أَزَاحَـهُ وهْـوَ بِـالأَرْوَاحِ مُجْتَمِـعٌ ... فَعَادَ مُفْتَرِقَ الأَوْصَـالِ مِـنْ سَـخَمِ

---

(١) مستوبل : مستكره الطعم – وخم : كريه .

(٢) الوهَم : بلادة الذهن .

(٣) الأكم : رؤوس الجبال ، واحدها " أكمة " .

(٤) غمم : جمع " غمة " .

(٥) التمم : جزر الشعر أو الصوف أو الوبر .

بَعْضُ الدَّوَاءِ لأَسْـقَامِ الْوُجُـودِ لَـهُ   مِنَ الْفَضِـيلَةِ تَـأْثِيرٌ عَلَـى الأَلَـمِ
وكُـلُّ عَقْـلٍ إذَا اسْـتَجْلَيْتَهُ فَلَـكٌ   مُقَدَّرُ الدَّوْرِ مِـنْ بَـدْءٍ إِلَـى خَـتَمِ
فاعْجَـبْ لِعُبَّـادِ أَصْـنَامٍ تُقَـدِّرُهَا   يَدُ الصِّنَاعَةِ مِنْ صَخْرٍ ومِنْ نَشَـمِ[١]
قَـدْ مَثَّلُـوا بِضَـلاَلاَتٍ تُلاَزِمُهُـمْ   ذَوْداً مِنَ الْبُومِ يَهْوَى سُدْفَةَ الْقَـتَمِ[٢]
كَأَنَّهُمْ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ فِـي غَسَـقٍ   يَمُورُ فِي زَاخِـرٍ بِالشَّـرِّ مُلْـتَطِمِ[٣]
مَوْتُ الْبَصَائِرِ فِي مَوْتَى الْقُلُـوبِ لَـهُ   مَغْنىً مِنَ الْفَقْرِ فِـي مَبْنَـى حَيَـاتِهِمِ
مَا أَخْلَدَ الذِّكْرَ فِـي تَأْيِيـدِ مُعْجِـزَةٍ   قَدْ حَكَّمَتْهُ عَلَـى سُـلْطَانِ مُلْكِهِـمِ
فَظَـلَّ يُوفِـدُ مِـنْ أَعْـلاَمِ دَوْلَتِـهِ   إِلَـى الْمَمَالِـكِ مَنْـدُوباً لِهَـدْيِهِمِ
مِنْ كُلِّ نَدْبٍ يُلاَقِي الصَّعْبَ مُبْتَهِجـاً   ويَحْمِلُ الْخَطْبَ إِنْ أَصْمَى فَلاَ يَصِـمِ
يَـدْعُو فَتُسْـمِعُ بِالإِيمَـانِ دَعْوَتُـهُ   مَنْ بَصَّرَ الرُّوحَ نَهْجاً وَاضِحَ اللَّقَمِ[٤]
ومَنْ أَبَى فَجَـلاَلُ السَّـيْفِ مُنْبَعِـثٌ   بِحِكْمَةٍ مَـنْ تُقِـمْ عِطْفَيْـهِ يَسْـتَقِمِ
فَبِالإِمَـامِ عَلِـيٍّ فُـلَّ مِـنْ رَهَـبٍ   سَيْفَا مَنَاةَ فَمَا عُـدَّا مِـنَ الْخُـذَمِ[٥]
وأَهْبَطَ اللاَّتَ مِـنْ عَلْيَـاءِ مَنْزِلِهَـا   بَأْسُ الْمُغِـيرَةِ بِـالنِّيرَانِ والْقُـدُمِ[٦]
وابْنُ الْوَلِيدِ رَمَـى الْعُـزَّى بِصَـاعِقَةٍ   مِنَ الْحَدِيدِ تَرُوعُ الأُسْدَ فِي الأَجَـمِ
الْحَقُّ والسَّيْفُ مَرْهُوبَانِ فِـي لُمَـعٍ   تُجِيلُ ثَغْرَ الأَسَى فِـي ثَغْـرِ مُبْتَسِـمِ
حَسْبُ الصَّحَابَةِ عَزْمـاً أَنَّ قَائِـدَهُمْ   رُوحُ الأَمَانَةِ وَقْـتَ الْبَيْـعِ والسَّـلَمِ
هُمُ الْقُوَى لِسَـلاَمِ الأَرْضِ فِـي دُوَلٍ   كَانُوا مَوَازِينَهَا فِـي كُـلِّ مُسْـتَلَمِ

---

(١) النشم : الخشب ، وأصله ما يُتخذ مِن أنابيب الرمح .

(٢) سدفة القتم : شدة الظلمة .

(٣) السبات : النوم العميق الذي ينقطع معه الحس .

(٤) اللقم : الطريق .

(٥) سيفا مناة : هما مخذم ورسوب ، كان قد أهداهما ملك غسان – الحارث بن شمر – مناة ، وكان موضعها بين مكة والمدينة – الخذم : القواطع .

(٦) اللات : صخرة مربعة بالطائف .

أَقْوَى سِـلاَحِهِمُ التَّوْحِيـدُ يَشْـفَعُهُ بَأْسُ الْحَدِيدِ تَنزَّى فِـي قِـرَاعِهِم[١]

يُقِـرُّ إِيمَـانُهُمْ تَحْرِيـرَ أَنْفُسِـهِمْ إلاَّ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَوْدَاءِ مُـزْدَحِمِ[٢]

هُمْ أَهْلُ تَقْوَى فَمَـا يَبْغُـونَ عاجِلَـةً وأَهْلُ بَأْسٍ فَمَا يَخْشَوْنَ مِـنْ بُهَـمِ[٣]

باعُوا الإِلَـهَ نُفُوسـاً حُـرَّةً فَغَنَـوْا فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ باسْـتِيفَاءِ أَجْـرِهِمِ

لاَ الطَّيِّبَـاتُ مِـنَ الأَرْزَاقِ تَشْـغَلُهُمْ ولاَ الْمَخَاطِرُ تُثْنِـيهِمْ عَـنِ الْقُحَـمِ

خاضُوا الْمَلاَحِمَ سَبّاقِينَ فِـي أَمَـدٍ يَسْتَنْصِرُ الْوَهْمُ فِيهِ مِـنْ دَمٍ بِـدَمِ[٤]

فِي شِـدَّةٍ تَتجَلَّـى فِـي عُبُوسَـتِهِمْ ورِقَّـةٍ تَتحَلَّـى بابْتِسَـامِهِمِ

وفِي ثَقِيفٍ وفِي ذَاتِ الرِّقَـاعِ ومَـا أَعَدَّ كُـلُّ قَبِيـلٍ مِـنْ جُمُـوعِهِمِ[٥]

ومَوْكِبُ النَّصْرِ خَفّاقُ اللِّـوَاءِ عَلَـى حِزْبِ النَّبِيِّ بِـرُوحٍ جِـدَّ مُنْسَـجِمِ

الصّـاعِدِينَ إِلَـى الْعَلْيَـا بِقُـوَّتِهِمْ الـرّاغِبِينَ عَـنِ الـدُّنْيَا بِـدِينِهِمِ

النّـاظِرِينَ إِلَـى مَرْقَـى مَـرَاتِبِهِمْ بِـأَعْيُنٍ وقُلُـوبٍ فِـي صُـدُورِهِمِ

الْفَـاتِحِينَ بِجَـيْشِ الْحَـقِّ ناطِقَـةً نَتَـائِجُ الْعَقْـلِ فِـي آثَـارِ فِعْلِهِـمِ

****

حِمَايَـةُ اللَّـهِ لِلْمُخْتَـارِ كافِلَـةٌ تَنْزِيـهَ عِزَّتِـهِ مِـنْ غَـيٍّ مُجْتَـرِمِ

وعُدَّةُ الصَّـبْرِ إِيجَـابٌ لِـذِي ثِقَـةٍ يَقْضِي عَلَى سَلْبِ سَـلاَّبٍ ومُخْتَـرِمِ

ويَوْمَ شَـاهَدَهُ دُعْثُـورُ فِـي سِـنَةٍ يَرْنُو إِلَيْهِ بِعَـيْنِ الْجَـارِحِ الْقَـرِمِ[٦]

---

(١) تنزى : تموج .

(٢) القراع : المقاومة والضرب .

(٣) البهم : جمع " بهمة " ، وهو الشجاع المخاطر .

(٤) الملاحم : جمع " ملحمة " ، وهي الحرب التي يُلتحم في ميدانها بالسلاح الأبيض .

(٥) ثقيف وذات الرقاع : مواطن بعض الحروب التي حدثت في حياته ﷺ ، وهي مشهورة في كتب السِّيَر تفصيلاً .

(٦) دعثور : هو ابن الحارث المحاربي صاحب غطفان ، والقرم : المشتهي اللحم .

فَــرَدَّهُ بِسُــكُونٍ مِــنْ مَهَابَتِــهِ كَاللَّيْثِ يُرْهَبُ فِي الإِطْلَاقِ والْوَلَمِ[(١)]

وعَادَ بَعْــدَ لِبَــاسِ الْكُفْــرِ مُتَّشِــحاً مِنَ الْهِدَايَةِ ثَوْبــاً ضَــافِيَ الْعَلَــمِ[(٢)]

وقَــادَ أُمَّتَــهُ طَوْعــاً لِنُصْــرَةِ مَــنْ لَــوْلَاهُ لَالْتَبَسَ الْوِجْــدَانُ بِالْعَــدَمِ

****

مُحَمَّــدٌ وكَفَــى بِالــدِّينِ مَحْمَــدَةً مَقِيسَةً بِخُلُودِ الشَّــمْسِ فِــي الْقِــيَمِ

سَمَا بِسُلْطَانِهِ الرُّوحِــيِّ فانْحَسَــرَتْ بِحِلْمِهِ ظُلَــلُ الْعُــدْوَانِ والأَضَــمِ[(٣)]

يَجِلُّ عَــنْ عــالَمِ الإِنْسَــانِ مَرْتَبَــةً بِمَا تَفَــرَّدَ بَعْــدَ اللَّــهِ مِــنْ عِظَــمِ

كَفَاكَ فِي غَزْوَةِ الأَحْزَابِ مَا تَرَكُــوا لِلْمُسْلِمِينَ مِــنَ الآلَاتِ والْحُــزُمِ[(٤)]

وَفَــاءُ كَعْــبٍ لِمِيثَــاقِ النَّبِــيِّ لَــهُ شَأْنٌ تَحَيَّرَ بَيْنَ الْحِنْــثِ والْقَسَــمِ[(٥)]

سارَ ابْــنُ أَخْطَــبَ مُعْتَــزّاً بِحِيلَتِــهِ يَرُومُ كَعْباً عَلَــى دَهْيَــاءَ لَــمْ تُــرَمِ

مَا زالَ يَحْمِلُــهُ بِالْمُغْرِيَــاتِ عَلَــى خَرْقِ الْحِيَادِ إِلَى أَنْ خَــرَّ لِلْجُمَــمِ[(٦)]

والْجَاهِلِيَّــةُ يَغْضَــى جُنْــدَهَا شَــبَحٌ مِنَ الْمَخَاوِفِ يَبْلُــو الْعَــزْمَ بِــالْعُقُمِ

فَأَصْبَحُوا ورُؤُوسُ الْخَيْــلِ ناكِسَــةٌ كالْمُشْرِفِينَ بِــإِفْلَاسٍ عَلَــى الأَزَمِ[(٧)]

عِيبُوا بِكُفْرِهِمْ فِي مَجْــدِ سَــطْوَتِهِمْ كَمَا تُعَابُ هِجَانُ الْخَيْلِ بِالْهَضَــمِ[(٨)]

****

(١) الولم : القيد .

(٢) العلم : الطراز الذي يُحَلّى به الثوب .

(٣) الأضم : الحقد .

(٤) الحزم : عُدد الحروب .

(٥) كان كعب بن الأشرف محافظاً على ولائه للمصطفى ﷺ رغم يهوديته ، ولبث على الحياد لا ينتصر لِقبيل على النبي ﷺ حتى خدعه حُيَيّ بن أخطب كما بَيَّنه الشاعر في حديثه .

(٦) الجمم : جمع " جمة " ، وهي مقدمة شعر الرأس .

(٧) الأزم : جمع " أزمة " ، وهي العسرة المولدة من التطوح في الشهوات وما تقتضيه من إسراف وإنفاق في غير واجب .

(٨) الهضم : مِن عيوب الخيل ، وهي استقامة الضلوع وانضمام أعالي البطن .

كَمْ جاهِلِيٍّ أَضَلَّ الْجَــيْشَ مُنْحَــدِراً ... فِي مَجْمَعٍ كَهَشِيمِ النَّبْتِ مُــرْتَجِمِ[١]

يَبْغِي النَّجَاةَ وقَبْضُ الْمَــوْتِ يَبْسُــطُهُ ... عَلَى ذِرَاعِ كَمِيٍّ فِي الْوَغَى قَطِــمِ[٢]

فَأَصْــبَحَتْ دُوَلُ الْكُفَّــارِ زائِلَــةً ... لَمْ يَبْقَ مِنْ نُصُبٍ فِيهَــا ولاَ زَلَــمِ[٣]

كَأَضْلُعِ الْمَيْتِ فِــي تَشْــيِيعِ مُنْتِــهِ ... لاَ ظِــلَّ فِيهَــا لِوُجْــدَانٍ ولاَ عَــدَمِ

ذاقُوا الْمَهَالِكَ مِنْ حَرْبٍ ومِنْ حَرَبٍ ... كَمَا أَحَاطُوا الرَّزَايَــا مِــنْهُمُ بِهِــمِ[٤]

فاسْتَسْلَمُوا وحَيَاةُ الْمَوْتِ تُسْــلِمُهُمْ ... إلَى مَقَــادِيرَ خَطُّوهَــا بِمَلْكِهِــمِ[٥]

إنَّ الْمَقَــادِيرَ لَــمْ تُضْــبَطْ بِقَاعِــدَةٍ ... فَتَسْــتَحِيلَ بِمَجْرَاهَــا إلَــى حَكَــمِ

والْهَمُّ فِي ضُعَفَاءِ النَّــاسِ مُكْتَسِــحٌ ... عَلَــى الثَّبَــاتِ أَمَــانِيهِمْ بِيَأْسِــهِمِ

****

ومَنْ يَكُنْ بِرَسُــولِ اللَّــهِ مُحْتَمِيــاً ... يَعَــزُّ بِاللَّــهِ جاهــاً بــالِغَ الْعِظَــمِ

هَنَّأْتُ نَفْسِي بِمَا أُوتِيتُ مِــنْ شَــرَفٍ ... بِمَدْحِهِ بَعْدَ تَقْصِــيرِي عَــنِ الْخِــدَمِ

ووَفَّقَتْنِــي حُظُــوظٌ بِــتُّ أَحْمَــدُهَا ... عَلَــى تَوَافُــقِ مَنْثُــورِي ومُنْتَظِمِــي

بَيْنَ الْجَــوَانِحِ والأَسْــمَاعِ هَيْنَمَــةٌ ... لَذَّتْ غِنَاءً فَمَا شَوْقِي إلَى الــرُّنُمِ ؟![٦]

تَأَوَّلْــتُ بِــدَلِيلٍ عُــدْتُ مُبْتَهِجــاً ... بِهِ كَمَا ابْــتَهَجَ الْفَــلاَّحُ بِالرَّشَــمِ[٧]

يَهْفُــو بِجَــارِحَتِي تَــذْكَارُ رُؤْيَتِهَــا ... كَمَا يَلُوحُ بَشِــيرُ الْغَيْــثِ بِــالرَّكَمِ

يَا قَلْبُ بُشْرَاكَ هَــذَا الْفَــتْحُ مُبْتَــدَأً ... بِخَيْرِ رُؤْيَــا أَفَــادَتْ خَيْــرَ مُغْتَــنَمِ

---

(١) هشيم النبت : يابسه – مرتجم : متراكب بعضه فوق بعض .

(٢) قطم : مشتهي الطعان .

(٣) النصُب : واحد " الأنصاب " ، والزلم : واحد " الأزلام " ، وهما من أرجاس الجاهلية .

(٤) الحَرَب : الهلاك والدمار .

(٥) بِمَلكهم : باختيارهم .

(٦) الرنم : المغنيات .

(٧) الرشم : باكورة النبت والثمر .

بَعْدَ التَّطَوُّحِ والإِغْــرَاقِ فِــي زَلَــلٍ عَزَّتْ حُدُودُ مَعَانِيــهِ عَــنِ الْكَلِــمِ
فَمَا تَوَارَيْــتُ عَــنْ ذَنْبِــي بِنَافِلَــةٍ ولاَ تَوَانَيْتُ فِي شَــيْبِي عَــنِ الــتُّهَمِ
واللَّيْلُ يَعْبَسُ فِــي وَجْهِــي بِمَقْرَبَــةٍ مِنْ بَسْمَةِ الصُّــبْحِ إِنْــذَاراً بِمُخْتَــتَمِ
فَهَلْ رَجَعْتُ إِلَى شَــيْءٍ يُجَــازُ بِــهِ عَلَى الصِّرَاطِ مَجَازاً غَيْــرَ مُنْــبَهِمِ ؟!
لَمْ أَدْرِ مَا شَأْنُ يَوْمِي حِــينَ يَفْجَــأُنِي عِنْدَ اللِّقَاءِ مُنَادِي كُــلِّ ذِي نَسَــمِ[١]

****

مَنْ لِي بِتَعْرِيــفِ دُنْيَــا راحَ يُنْكِرُهَــا أَهْلُ التَّجَــارُبِ بِاسْــتِطْرَادِ بَحْــثِهِمِ
أَرَى الأَمَانَ خَيَــالاً فِــي مَــدَارِجِهَا مَا دامَ خاطِبُهَا لَــمْ يَــرْضَ بِالْقِسَــمِ
ولِــي سَــوَابِقُ لاَ تَنْفَــكُّ عارِضَــةً فِي وَحْدَتِي واجْتِمَاعِي طَلْقَةَ اللُّجُــمِ
أُجِيلُ نَظْــرَةَ قَلْبِــي فِــي مَــذَاهِبِهَا فَــلاَ أَرَى غَيْــرَ جَيَّــاشٍ ومُــرْتَطِمِ

****

كَأَنَّ مِنْ عَصْرِنَا رُوحاً قَدِ اضْــطَرَبَتْ فِي جِسْمِ صاحِبِهَا مِنْ سَوْرَةِ الــتُّخَمِ
ضَلَلْتُ فِي رَشَدِي مِنْ أَمْــرِ طائِفَــةٍ تَرُوغُ بِالسَّلْمِ بَيْنَ النَّــارِ والسَّــحَمِ[٢]
كَمْ يَدْهَمُونَ قُلُــوبَ النَّــاسِ آمِنَــةً ويَصْــبِغُونَ أَدِيمَ الأَرْضِ بِــالْعَنَمِ[٣]
ســاقُوهُمُ لأَتُــونِ الْحَــرْبِ مُطْبِقَــةً وَقُودُهَا النَّــاسُ بِــالْفُولاَذِ والْحُمَــمِ
طالَتْ مَكَايِدُهُمْ فِي الأُسْــدِ عابِسَــةً وفِي الأَسَــاوِدِ بِــالتَّقْلِيمِ والثَّــرَمِ[٤]
غَوْثاً شَــفِيعَ الْبَرَايَــا إِنَّنِــي وَجِــلٌ أَبْكِي فُؤَاداً بِسَهْمِ الْمُضْــنِيَاتِ رُمِــي
لَمْ يُبْقِ مِنْــهُ عَتِيــدُ الْيَــأْسِ باقِيَــةً إِلاَّ ثُمَالَةَ كَأْسٍ فِي الْهَــوَى شَــبِمِ[٥]

---

(١) نسم : روح .
(٢) السحم : الحديد .
(٣) العنم : نبات يُصبغ به ، ويقصد به احمرار وجه الأرض بدم القتلى .
(٤) الأساود : الحيّات ، والثرم : نزع ثيابها .
(٥) الثمالة : بقية الكأس – الشبم : اللذيذ البارد .

لَعَلَّني أَتَهَـادَى فِـي الْمَسِـيرِ بِهَـا إلَيْكَ فِي مَرْكَبٍ كالْبَرْقِ لَمْ يَخِـمِ[(١)]

تُقِيتُـهُ مِـنْ بُخَـارِ الْمَـاءِ تَغْذِيَـةٌ كَجُذْوَةِ الْحُبِّ لاَ تَرْتَاعُ مِنْ جَشَـمِ[(٢)]

أَغْنَى بِهَا عَنْ قِـلاَصٍ رُبَّمَـا عَثَـرَتْ فِي السَّيْرِ فاضْطَرَبَتْ نَفْسِي مِنَ الْحَزَمِ[(٣)]

إنْ كُنْتُ أَقْطَـعُ بِـالْفُولاَذِ مَرْحَلَتِـي فَمَا احْتِيَاجِي إِلَى الْوَخّادَةِ الرُّسُمِ ؟![(٤)]

كَمْ بِتُّ والْقَلْبُ مَدْفُوعٌ ومُنْصَـرِفٌ مِنِّي إِلَيْـكَ بِشَـوْقٍ غَيْـرِ مُنْكَـتِمِ

فاشْفَعْ لَدَى اللّهِ لِي فِيمَـا أَهِـمُّ بِـهِ أَوْلَى الشَّفَاعَاتِ قَبْلَ الْحَطِّ فِي الأَدَمِ[(٥)]

دامَتْ عَلَيْكَ صَلاَةُ اللّهِ مَا خَطَـرَتْ مَوَاكِبُ الشَّمْسِ فِي الْوِدْيَانِ والأَكَـمِ

تَمْتَدُّ مِـنْ أَزَلِ الـدُّنْيَا إِلَـى أَمَـدٍ لَمّاعَةَ الضَّوْءِ فِي الإِسْرَاعِ والأَتَـمِ[(٦)]

---

(١) يخم : يبطئ .

(٢) جشم : ثقل المشقة .

(٣) الحزم : الغيظ والألم .

(٤) الوخادة الرسم : الإبل السريعة .

(٥) الأدم : القبر .

(٦) الأتم : الإبطاء ، وقد أتى الشاعر بمجمل ، وفي الصيغة من صيغ الصلوات على المصطفى ﷺ حيث لا بدايةَ لِلأزل ولا نهايةَ لِلأبد ، وصلاة اللّه وسلامه دائمان متصلان عليه ﷺ مدى هذه المسافة اللا نهائية .

محمد رسول الله

لِلشاعر عليّ الجارم

* تعريف بالشاعر :

وُلِد الشاعر عليّ محمد صالح الجارم بمدينة رشيد إحدى مراكز محافظة البحيرة ، وهي مدينة ساحلية ، وكان والده أحد علماء الأزهر والقاضي الشرعي بمدينة دمنهور .

عمل مدرساً بمدرسة التجارة المتوسطة ، وترقّى حتى عُيِّن كبير مفتشي اللغة العربية بمصر ، ثم وكيلاً لِدار العلوم حتى عام ١٩٤٢ م ، كما كان عضواً بمجمع اللغة العربية .

وقد أبحر في اللغة العربية ، كما تمكّن من اللغة الإنجليزية ، وقد امتاز بكتاباته النثرية الصادرة عن موهبة فنية أصيلة ، وأمّا شعره فقد تميَّز بإحساس مرهف وذوق رفيع راقٍ ، والذي اعتمد على قافية موحدة ، وتعددت أغراضه الشعرية .

ويجيء عليّ الجارم بعد الرواد الأوائل محمود سامي البارودي وشوقي ، وكان من المتصدرين لِملء الفراغ بعدهما .

قال عنه أحمد أمين عضو مجمع اللغة العربية وعميد كلية الآداب جامعة القاهرة : كان شاعراً من الطراز الأول ، مشرق الديباجة رصين الأسلوب جيد المعنى والمبنى ، وكان شعره مرحاً ضاحكاً ، حتى إذا أصيب بفقد ابنه تلوَّن شعره بلون حزين باكٍ ، وكان مرحاً في مجالسه وبين أصدقائه .

كان عليّ الجارم صاحب إحساس عالٍ ، يتذوق المعنى ، ويتأمل الأفكار الجديدة ، وكانت له بصمة واضحة مؤثرة على كل عمل التحق به ، فساهم في تبسيط النحو والبلاغة من خلال كتبه التي ألّفها فيها ، وشارك في وضع المعجم الوسيط .

وقد اهتم بالتاريخ فقدَّم العديد من الروايات التاريخية ، مثل : " الذين قتلهم شعرهم " و" فارس بني حمدان " وغيرهما من الروايات .

وبالنسبة لِلقصيدة التي نحن بصددها : وهي في مديح سيد العالمين سيدنا محمد ﷺ ؛ فإنها تُعتبر مِن أرقى ما كُتِب في هذا المجال .

ويهمنا في هذا المجال أن نُثْبِت رأي عليّ الجارم في ماهية الشعر كما ورد في مقدمة ديوانه ..

يقول الشاعر عليّ الجارم : بسم اللّه الرحمن الرحيم .. الحمد للّه ، والصلاة والسلام على جميع رسله وأنبيائه .. فإني لا أريد أن أسهب في الكلام على معنى الشعر وخصائصه ومبعث الروحانية فيه ؛ ذلك لأن هذا المبحث طَرَقَه الباحثون كثيراً فأخفقوا ، وأطالوا فيه فكانت إطالتهم أول دليل على العي والحصر ، ومِن العي إطالة الكلام وإطالة تاء التمتام ، أرادوا أن يحدّوا روحانياته بالألفاظ فعجزت الألِف وضلّت الباء ، وكيف يحيط المحدود بغير المحدود ؟! وكيف تَكشف ظلمة المادة توهُّجَ النور ؟!

إنّ شرح آثار الإحساس الجسمي مِن أبعد الأمور تأتياً وأدخلها في باب الاستحالة .

أرأيتَ لو أنك ذقتَ سكّراً أو ملحاً ثم سألك سائل مُتَعَنِّت أن تشرح له طعم السُّكّر أو الملح : أكنتَ مستطيعاً ؟!

أرأيتَ لو أنك شممتَ ورداً أو نرجساً ثم بدهك إنسان يفقد حاسة الشم أن تبين له في وضوح ودقة ذلك الأثرَ الذي شعرتَ به : أكنتَ قادراً على أن تجد له اللفظ إن وجدتَ المعنى ؟!

فإذا كان ذلك الشأن وتلك الحال في إحساس الأجسام فكيف في إحساس العقول ؟!

وإذا كانت الألفاظ عاجزةً عن وصف أثر المادة الجامدة في الأجسام فكيف تكون إذا هَمَّتْ بوصف أثر الروح النورانية في النفوس والأرواح ؟!

حاول عبد القاهر الجرجاني أن يشرح ما بهر نفسه مِن ضروب البلاغة في بعض ما ساق من الشواهد فأخفق وأخفق ، وطالما نظرتُ مبتسماً إليه وهو يكدّ ويكدح ويعلو ويسفل ويحاول الوصول إلى مَواطن السحر فلا يستطيع ،

ويتلمس اللفظ لِشرح ما يجول بنفسه فلا يوفّق ، والغيظ ينفخ أوداجه والألم تسمعه في نبرات لفظه ، يرسل الصيحة إثر الصيحة كأنما يدعو إلى اصطياد ظبي نافر أو إلى التوثب إلى أجنحة طائر ، ثم هو بعد طول الصياح وشدة الإلحاح لم يعمل شيئاً ولم يترك في كف القارئ شيئاً ...

ثم قال : قف أمام صورة بديعة لِمصور ماهر وكن ممن يفهمون سر الفن ومعنى الألوان وامتزاجها وتشاكلها ، ثم اشرح لِصديق آيات النبوغ فيها ، فإن فعلتَ – ولن تفعل – فتجرَّأ على إفشاء سر البيان وتصور الخيال .

والناس يلهجون قديماً بقول عروة بن أذينة :

إنَّ الّتِــي زَعَمَــتْ فُــؤَادَكَ مَلَّهَــا   خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوىً لَهَــا
بَيْضَــاءُ باكَرَهَــا النَّعِــيمُ فَصَــاغَهَا   بِلَبَاقَــــةٍ فَأَدَقَّهَــــا وأَجَلَّهَــــا
مَنَعَــتْ تَحِيَّتَهَــا فَقُلْــتُ لِصَــاحِبِي   مَــا كَــانَ أَكْثَرَهَــا لَنَــا وأَقَلَّهَــا
فَــدَنَا وقَــالَ لَعَلَّهَــا مَعْــذُورَةٌ   فِي بَعْــضِ رِقْبَتِهَــا فَقُلْــتُ لَعَلَّهَــا

ويقولون : إن أبا السائب المخزومي نزل بعروة بن عبيد اللّه ، فقال له : " ألك حاجة ؟ " قال :" نعم .. أبيات لِعروة بن أذينة بُلِّغْتُ أنك سمعتَه ينشدها " ، فأنشده الأبيات ، فلَمّا بلغ قوله :

فَــدَنَا وقَــالَ لَعَلَّهَــا مَعْــذُورَةٌ   فِي بَعْــضِ رِقْبَتِهَــا فَقُلْــتُ لَعَلَّهَــا

طرب وقال : هذا – واللّهِ – الدائم الصبابة الصادق العهد الذي لا يقول :

إنْ كَــانَ أَهْلُــكَ يَمْنَعُونَــكَ رَغْبَــةً   عَنِّي فَــأَهْلِي بِــي أَضَــنُّ وأَرْغَــبُ

لقد عدا هذا الأعرابي طوره ، وإني لأرجو أن يُغْفَر لِصاحب هذه الأبيات لِحسن الظن بها وطلب العذر لها .

ثم عرض عليه عروة الطعام فقال : لا – واللّهِ – ما كنت لأخلط هذه الأبيات طعاماً حتى الليل .

إن الأديب وحده هو الذي يفهم الشعور الذي ملك على المخزومي نواحي نفسه ، واللذة الفنية التي لم يُرِدْ أن يفسدها بطعام طولَ يومه .

وقال – أيضاً – في مقدمة ديوانه : ولو أردنا أن نقول في لطف جمال الشعر وروحانياته وعجز الألفاظ عن الإحاطة بسره وإماطة اللثام عن مكنون سره لَطال حبل الكلام وحاد القلم عن الجادة ، ولكنّا نستطيع أن نقول في جملة قصيرة : إن جمال الشعر في نظمه وجرْسه ورنينه ، فمرّةً يكون إخباراً ، ومرّةً يكون استفهاماً ، ومرّةً يكون استنكاراً ، ومرّةً يكون نفياً ، ومرّةً يكون تعجباً .. كل ذلك يكون مع المحافظة على الأسلوب العربي الصميم ، ثم في المعاني وابتكارها أو توليدها من القديم في صورة جديدة رائعة ، ثم في الخيال وحسن تصويره والتزام الذوق العربي فيه ، ثم في إحكام القافية والتمهيد إليها ، ثم في انتقاء البحر الذي يلائم موضوع القصيد في التنقل في القصيدة في فنون شتى من القول مع المحافظة على الوحدة الشعرية ، ثم في روح الشاعر وخفة ظله واتساقه مع الطبع وتعمده لمس مَواطن الشعور .

ولا يكون جمال الشعر دائماً بالمجاز والتشبيه وضروب التزويق اللفظي ؛ وإنما جماله في استعداده لِلنفاذ إلى النفس والوصول إلى القلب على أي صورة كان وفي أي ثوب يكون .

ولأمْر ما كان لِبعض الشعر الجاهلي منزلته التي لا تسامَى ومحلّه الذي لا ينازَع ، ولأمْر ما هوى الشعر صريعاً يلهث حينما أثقله المتأخرون بنفائس الحلي وأنواع الحلل .

وقد يخلط مَن لا بصرَ له بين تأثير الحال التي قيل فيها الشعر وتأثير الشعر نفسه ، وكثيراً ما نال الشاعر تصفيق الجماهير واستحسانهم لأنه يتجه إلى عاطفة فيهم سريعة الالتهاب سهلة الإثارة ، وكثيراً ما يلجأ بعض الشعراء في موضوع بعيد عن عاطفة العامة إلى الاستطراد إلى ذكر ما يثير نفوسهم استجداءً لِصيحات الاستحسان وطلب الإعادة !!

هذا دجل أدبيّ نعوذ باللّه منه ، وهذا إفساد لِلفنّ ممن يريدون الالتصاق بالفن ، وشأن هؤلاء شأن صغار المصورين الذين يعمدون إلى دريهمات العامة بالإكثار من الألوان الزاهية البراقة وإن ضاع الانسجام وقُتِل الفن الرفيع قتلاً .

وربما كان الشعر أعصى الفنون على التعلم وأبعدها مِن أن يُنال بالتدريب والدرس ، وإنما هو شعاع يضعه اللّه في قلب مَن يشاء ، وهبة يمنحها لِمن يشاء ، وحاسة معنوية يزيدها في خَلْقِ نفر مِن عباده يحسّون بها ما لا يحسّه كثير من الناس ، فيترجمونه بياناً ساحراً وقولاً مبيناً .

والشعر طريق معبَّدة بين عالم الأجسام وعالم الأرواح ؛ ينقل إلى المادة الفنية نفحات الروح الخالدة ، ويرسل إلى ظلمات الحياة نوراً قدسيّاً يبدد غيوم الغموم ويكشف السبيل للأمل الحائر ، فليس الشعر الوزنَ وحده ولا القافيةَ وحدها ولا الكلماتِ التي تملأ فراغَ التفاعيل وإن عذبت ولطفت ؛ وإنما الشعر ما وراء كل بيت مِن ضوء روحانيّ وجد له بين ألفاظه منفذاً ، ومِن سحر سماويّ زحزح البيت دونه طرف الستار .

وشأن الشعر شأن الفنون كلها : إما أن يكون فنّاً أو لا يكون ، فليس فيه - كبقية منتجات العقول - جيد ومتوسط ورديء ؛ فهو إما أن يكون جيّداً أو أن لا يكون شعراً .. نعم إن الجودة متفاوتة ولكنها إذا نزلت إلى حد المتوسط فقد الشعر مميزاته وسُلِب مقوماته وأصبح كلاماً كما يجرِّد القائدُ المذنبَ مِن رتبته وألقابه فيصبح جنديّاً .

والكلام في الشعر طويل ، وبحور الشعر فوّاحة النواحي بعيدة الغور ، ولكني أريد هنا أن أقدِّم لِلأدباء وجمهور المثقفين مجموعة أشعاري .

ونكتفي بهذا القدر مِن المقدمة ، ونقرأ قصيدته الرائعة في مدح الرسول ﷺ والتي ألقيَت بمحطة إذاعة الشرق الأدنى عند احتفائها بالمولد الشريف سنة ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٠ م ..

محمد رسول الله

تَحِيَّةُ ناءٍ مِنْ شَذَى الْمِسْكِ أَطْيَبُ ... ومِنْ قَطَرَاتِ الْمُزْنِ أَصْفَى وأَعْذَبُ
وتَبْرِيحُ أَشْوَاقٍ إذَا مَا تَنَفَّسَتْ ... يَكَادُ لَهَا فَحْمُ الدُّجَى يَتَلَهَّبُ
وقَلْبٌ يَضِيقُ الصَّدْرُ عَنْ نَبَضَاتِهِ ... فَيَخْفِقُ غَيْظاً بالْجَنَاحِ ويَضْرِبُ
تَلَفَّتَ فِي الأَضْلاَعِ حَيْرَانَ يَائِساً ... وأَنَّ كَمَا أَنَّ السَّجِينُ الْمُعَذَّبُ
تُعَاوِدُهُ الذِّكْرَى فَتَنْكَأُ جُرْحَهُ ... ويَا رُبَّ جُرْحٍ حَارَ فِيهِ الْمُطَبِّبُ
ويَخْدَعُهُ طَيْفُ الْخَيَالِ إذَا سَرَى ... فَيَبْعَثُ آمَالَ الشَّجِيِّ ويَذْهَبُ
ومَنْ أَبْصَرَ الأَيَّامَ خَلْفَ قِنَاعِهَا ... رَأَى الدَّهْرَ يَلْهُو والأَمَانِيَّ تَكْذِبُ
عَجَائِبُ أَحْدَاثٍ تَلِيهَا عَجَائِبٌ ... وصَبْرِي عَلَى تِلْكَ الْعَجَائبِ أَعْجَبُ
ولَوْلاَ حَيَاةُ الْوَهْمِ أَوْدَى بِأَهْلِهِ ... زَمَانٌ بِأَشْوَاكِ الْحَقَائِقِ مُخْصِبُ
تَبَسَّمْ إذَا مَا قَطَّبَ الدَّهْرُ وَجْهَهُ ... وصَفِّقْ لَهُ فِي دَوْرِهِ حِينَ يَلْعَبُ
يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْرِفَ الْفَتَى ... مِنَ الأَمْرِ مَا يَأْتِي ومَا يَتَجَنَّبُ
وسِيّانِ مَا يَدْرِيهِ والشَّعْرُ فَاحِمٌ ... أَثِيثٌ ومَا يَدْرِيهِ والشَّعْرُ أَشْيَبُ[1]
وقَالُوا حَيَاةُ الْمَرْءِ دَرْسٌ فَقَهْقَهَتْ ... صُرُوفُ اللَّيَالِي والْقَضَاءُ الْمُغَيَّبُ
إذَا مَا جَهِلْتَ النَّفْسَ وهْيَ قَرِيبَةٌ ... فَأَيُّ الْمَعَانِي بَعْدَ نَفْسِكَ أَقْرَبُ ؟!

****

حَنَاناً لِقَلْبِي كَيْفَ طَاحَتْ بِهِ الْمُنَى ... وعَزَّ عَلَى الأَيَّامِ مَا يَتَطَلَّبُ ؟!
يُغَازِلُهُ فِي مَطْرَحِ النَّسْرِ مَأْرَبٌ ... ويَخْتِلُهُ فِي مَسْبَحِ الْحُوتِ مَأْرَبُ
يَكَادُ إذَا مَرَّ الْحِجَازُ بِذُكْرِهِ ... وجِيرَتُهُ مِنْ صَدْرِهِ يَتَوَثَّبُ[2]
بِلاَدٌ بِهَا الرَّحْمَنُ أَلْقَى ضِيَاءَهُ ... عَلَى لاَبَتَيْهَا والْعَوَالِمُ غَيْهَبُ[3]

---

(١) أثيث : قويّ النمو كثير .

(٢) الذكر : التذكر .

(٣) اللابة : الأرض ذات الحجارة السود ، وبالمدينة المنورة لابتان تكتنفانها .

تَكَادُ إذَا مَرَّتْ بهَا الشَّمْسُ غُدْوَةً حَيَاءً بأَهْدَابِ السَّحَابِ تَنَقَّبُ
يُجَلِّلُهَا قُدْسٌ مِنَ اللَّهِ سابغٌ ويَنْفَحُهَا نَشْرٌ مِنَ الْخُلْدِ طَيِّبُ
إذَا نَسَبَ النَّاسُ الْبِلاَدَ رَأَيْتَهَا إلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ تُعْزَى وتُنْسَبُ
وإنْ نَضَبَتْ أنْهَارُهَا فَبِحَسْبِهَا مِنَ الدِّينِ نَهْرٌ لِلْهُدَى لَيْسَ يَنْضُبُ
إذَا مَا جَرَى فِي الأَرْضِ فالْجَدْبُ مُخْصِبٌ وإنْ هُوَ جافَى الأَرْضَ فالْخِصْبُ مُجْدِبُ
يَفِيضُ عَلَى الأَقْطَارِ يُمْناً ورَحْمَةً ويَزْأَرُ فِي أُذْنِ الْعُتَاةِ ويَصْخَبُ
تَفَجَّرَ مِنْ نَبْعِ النُّبُوَّةِ ماؤُهُ لَهُ الْحَقُّ وِرْدٌ والسَّمَاحَةُ مَشْرَبٌ
ووَحَّدَ بَيْنَ النَّاسِ لاَ الْبُعْدُ مُبْعِدٌ عَنِ السَّاحَةِ الْكُبْرَى ولاَ الْقُرْبُ مُقْرِبُ
فَلَيْسَ لَدَى الإسْلاَمِ شَرْقٌ ومَشْرِقٌ ولَيْسَ لَدَى الإسْلاَمِ غَرْبٌ ومَغْرِبُ
هُمُ النَّاسُ إخْوَانٌ سَوَاءٌ عَلَى الْهُدَى بَطِيءُ الْمَسَاعِي والشَّرِيفُ الْمُهَيَّبُ
فَمَا حَطَّ مِنْ قَدْرِ الْفَزَارِيِّ فاقَةٌ ولاَ زادَ فِي قَدْرِ ابْنِ أَيْهَمَ مَنْصِبُ(١)
يُجَمِّعُهُمْ قَلْبٌ عَلَى الْحَقِّ واحِدٌ وإنْ فُرِّقَتْ أَوْطَانُهُمْ وتَشَعَّبُوا
إذَا صاحَ فِي جَيْحُونَ يَوْماً مُؤَذِّنٌ أَجَابَ عَلَى التَّامِيزِ داعٍ مُثَوِّبُ(٢)
وإنْ ذَرَفَتْ مِنْ جَفْنِ دِجْلَةَ دَمْعَةٌ رَأَيْتَ دُمُوعَ النِّيلِ حَيْرَى تَصَبَّبُ(٣)
وإنْ مَسَّ جُرْحٌ مِنْ فِلَسْطِينَ إصْبَعاً شَكَا حاجِرٌ مِنْهُ وأَنَّ الْمُحَصَّبُ

****

بنَفْسِي وَلِيداً فِي أَبَاطِحِ مَكَّةٍ تَتِيهُ بِهِ الدُّنْيَا ويَشْرُفُ يَعْرُبُ
أَطَلَّ عَلَيْهَا مِثْلَمَا تَبْسِمُ الْمُنَى ويَسْطَعُ فِي اللَّيْلِ الْخُدَارِيِّ كَوْكَبُ(٤)

---

(١) الفزاري : أعرابيّ مِن بني فزارة داس على فضل إزار جبلة بن الأيهم – وهو من عظماء الروم ، وكان قد دخل في الإسلام – فلطم ابن الأيهم الفزاريَّ ، فشكاه إلى عمر ابن الخطاب ﷺ فحكم له بأن يقتصّ مِن جبلة .

(٢) جيحون : نهر بتركستان .

(٣) حاجر : منزل لِلحاج بالبادية ، والمحصب : موضع رمي الحجارة بمنى .

(٤) الخداري : المظلم .

وكَانَ لَهَا رَمْـزَ الْحَيَـاةِ فَأَشْـرَقَتْ كَمَا هَـزَّ أَفْنَـانَ الْخَمَائـلِ صَـيِّبُ

وكَمْ مَدَّتِ الأَعْنَاقَ تَرْقُـبُ لَمْحَـةً فطَـالَ عَلَيْهَـا صَـبْرُهَا والتَّرَقُّـبُ

تَوَالَتْ بِهَا الأَيَّـامُ تَـذْهَبُ أَحْقُـبٌ وتَأْتِي عَلَى الْيَأْسِ الْمُبَـرِّحِ أَحْقُـبُ

إِلَى أَنْ بَـدَا نُـورُ الإِلَـهِ فَأَقْبَلَـتْ عَوَالِمُهَـا تَشْـدُو بِطَـهَ وتَطْـرَبُ

وَلِيـدٌ لَـهُ عُلْيَـا مَعَـدٍّ ذُؤَابَـةٌ جَلاَلَةُ أَنْسَـابٍ ومَجْـدٌ مُؤَشَّـبُ[1]

حَوَتْهُ كَمَا اعْتَـادَ الأَعَارِيـبُ جَفْنَـةٌ وقَدْ ضَاقَ عَنْ آمَالِهِ الْفِيحُ سَبْسَـبُ

يُحَيِّيهِ مِنْ طَيْفِ الْمَلاَئِـكِ مَوْكِـبٌ ويَرْعَاهُ مِنْ طَيْـفِ النَّبِـيِّينَ مَوْكِـبُ

فَهَـلْ عَلِـمَ الرُّومَـانُ أَنَّ مِهَـادَهُ قِرَابٌ بِهِ ماضِي الْغِرَارِ مُشَـطَّبُ ؟![2]

وأَنَّ بِـهِ نَفْسـاً يُحَطِّـمُ دُونَهَـا مَنِيعُ الصَّيَاصِي والْحَدِيدُ الْمُذَرَّبُ ؟![3]

وأَنَّ بِهِ مِـنْ صَـوْلَةِ اللَّـهِ جَحْفَـلاً يَثُلُّ عُرُوشَ الْقَاسِـطِينَ ويَسْـلُبُ ؟!

لَهُ الْكَوْنُ مَيْـدَانٌ إِذَا سَـلَّ سَـيْفَهُ وقَالَ لِفُرْسَـانِ الْمَلاَئِكَـةِ ارْكَبُـوا

يَطِيرُ عِـدَاهُ مِنْـهُ ذُعْـراً وخَشْـيَةً وإِنْ مَلأُوا الأَرْضَ الْفَضَـاءَ وأَجْلَبُـوا

ومَـنْ لَـمْ يُؤَدِّبْـهُ الْبَيَـانُ وهَدْيُـهُ فَإِنَّ الْحُسَامَ الْعَضْبَ نِعْـمَ الْمُـؤَدِّبُ

فَقَدْ أَنْـزَلَ اللَّـهُ الْحَدِيـدَ وبَأْسَـهُ لِمَنْ سَدَّ أُذْنَيْـهِ الْهَـوَى والتَّعَصُّـبُ

وفِي صَـدْعَةِ الإِيـوَانِ إِنْـذَارُ أُمَّـةٍ بِأَنَّ مِنَ الأَشْيَاءِ مَـا لَـيْس يُشْـعَبُ

****

مُحَمَّـدُ أَنْقَـذْتَ الْخَلاَئـقَ بَعْـدَمَا تَنَكَّبَـتِ الـدُّنْيَا بِهِـمْ وتَنَكَّبُـوا

وأَطْلَقْتَ عَقْلاً كانَ بِالأَمْسِ مُصْـفَداً فَدَانَ لَهُ سِـرُّ الْوُجُـودِ الْمُحَجَّـبُ

وأَرْسَـلْتَهَا مِـنْ صَـيْحَةٍ نَبَوِيَّـةٍ يَمُورُ لَهَا قَلْـبُ الْجِبَـالِ ويُرْعَـبُ

---

(١) ذؤابة الشيء : أعلاه ، والمؤشب : الشجر الملتف المتلاصق ، والمراد بالمجد المؤشب : المجمَّع مِن كثير مِن أعمال الفضل والنبل .

(٢) الغرار : الحد ، والمشطب : السيف في حده خطوط مجوفة .

(٣) الصياصي : جمع " صيصية " وهي الحصن ، والمذرب : الحاد .

إذَا كانَ صَوْتُ اللّهِ فِي صَيْحَةِ الْفَتَــى فَأَيَّ عِبَادِ اللّهِ يَخْشَــى ويَرْهَــبُ ؟!
وبَلَّغْــتَ آيَــاتٍ رَوَائِــعُ لَفْظِهَــا مِنَ الصُّبْحِ أَهْدَى أَوْ مِنَ النَّجْمِ أَثْقَبُ
كَأَنَّ ومَــا تُغْنِــي كَــأَنَّ ؟! فَخَلِّهَــا فَــإِنَّ مِــنَ التَّشْــبِيهِ مَــا يَتَصَــعَّبُ
ومَاذَا يَقُولُ الشِّعْرُ فِــي آيِ رَحْمَــةٍ لَهَا اللّهُ يُمْلِي والْمَلائِــكُ تَكْتُــبُ ؟!
خَطَبْتَ لَنَا يَــوْمَ الْــوَدَاعِ مُشَــرِّعاً وهَلْ لَكَ نِدٌّ فِي الْوَرَى حِينَ تَخْطُبُ ؟!
فَكَشَّفْتَ أَسْــرَارَ السِّيَاسَــةِ مُــوجِزاً وجِئْتَ بِمَا يَعْيَا بِــهِ الْيَــوْمَ مُسْــهِبُ
وأَمْلَيْــتَ دُسْــتُوراً شَــقِينَا بِتَرْكِــهِ فَثُرْنَا عَلَى الأَيّــامِ نَشْــكُو ونَعْتِــبُ

****

إِلَيْكَ رَسُولَ اللّهِ طَــارَ بِنَــا الْهَــوَى وحُلْوُ الأَمَــانِي والرَّجَــاءُ الْمُحَبَّــبُ
أَفِضْــهَا عَلَيْنَــا نَفْحَــةً هاشِــمِيَّةً تَلُــمُّ شَــتَاتَ الْمُسْــلِمِينَ وتَــرْأَبُ
وتُرْجِعُ فِــيهِمْ مِثْــلَ سَــعْدٍ وخَالِــدٍ وتَرْفَعُ مِنْ رايَاتِهِمْ حِــينَ تُنْصَــبُ[1]
سَنَصْحُو فَقَدْ مَلَّ الطَّــرِيحُ وِسَــادَهُ وفِي نُورِكَ الْقُدْسِيِّ نَسْــعَى ونَــدْأَبُ
عَلَيْكَ سَلامُ اللّهِ مَــا حَــنَّ واجِــدٌ وفَــاخَرَتِ الــدُّنْيَا بِقَبْــرِكَ يَثْــرِبُ

---

(١) سعد : هو ابن أبي وقاص ﷺ ، وخالد : هو ابن الوليد ﷺ .

قصيدة البرعي في مدح الرسول ﷺ

* تعريف بالشاعر :

جاء في كتاب " نشر الثناء الحسن " أنه الشاعر البليغ عبد الرحيم بن أحمد ابن عبد الرحيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن مسلم بن قيس بن الحارث البرعي المهاجري نسبة إلى مهاجر (قبيلة مِن بُرَع) .

وقيل : إنه علم يمنيّ سطع في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وأوائل القرن التاسع ، وانتشر وهجه لِيشمل أركان العالم الإسلامي مِن زمنه وحتى اليوم إلى ما شاء اللّه (محقق ديوان البرعي : عبد العزيز سلطان المنصوب) .

وقال عنه البريهي في " طبقات صلحاء اليمن " : ومِن أهل بُرَع الفقيه العالِم الفاضل عفيف الدين عبد الرحيم بن عليّ المهاجر ، الذي قرأ الفقه والنحو على جماعة مِن أئمة وقته ، فلَمّا تأهَّل لِلتدريس والفتوى أتته الطلبة مِن أماكن شتى ، فدرَّس وأفتى واشتهر بالعلم والعمل ، وكان أحدَ العلماء الأحبار وبقية الفضلاء الأخيار ، سبق العلماءَ المجيدين والشعراءَ الموجودين ، ولم يُنْشَرْ له إلا ديوان شعره ؛ وذلك لأسباب قد نجدها أو نشتفّها مِن بين السطور الآتية ..

فقد كتب عنه عبد الرحمن حسن الأهدل يقول : عبد الرحيم البرعي عاشق بكلّ ما تعنيه مفاهيم العشق ؛ فقد كانت تغمره روح الشاعر الذي يتعامل مع الحياة بلا توجس ، وقد كان في عشقه صافي السريرة عذريّ الحب ، ولم يكن مستهتراً (بالمعنى القاموسي لِلاستهتار المتعارف عليه ، وليس بالمعنى الصوفي المبني لِلمجهول الذي يجعل مِن الاستهتار صفةً محمودةً ، كذلك الابتذال) .. المهم أن البرعي عاشق ، وهو مِن العشاق النبلاء في عشقهم الذين لا يُقْدِمُون على الأفعال المشينة ؛ فهم يعشقون حتى الثمالة ويفهمون أن الحب كحالة إنسانية ووجدانية طبيعية ، ويعبِّرون عنه بما تمليه عليهم عواطفهم المحبوكة بالقيم والكرامة والمجبولة على السمو الأخلاقي الذي لا يسفّ بهذه العاطفة ولا ينتهك بها عرضاً ، والبرعي عاشق من هذا الطراز ، مع ما اتصف به مِن صفات العلم

والتُّقى ، فهو إنسان ليس غريباً عليه أن يحب ويعشق ..

ومِن هذا المنطلق ننظر إلى تغزله دون أن نستغرق في محاولات تبرير اشتعال عواطفه وإخراجها من سياقها الإنساني الطبيعي ؛ فتلك المحاولات لا تعدو أن تكون انسياقاً وراء منظورات متخلفة عن الحب ترى فيه ما يشبه المعصية أو هو الطريق المؤدي إلى المعاصي ، وهذا المنظور موجود بقوة في الموروثات الاجتماعية القامعة التي تراكمت في النفسية والذهنية والوجدان العربي ، فالحب – حسب تلك الموروثات – معصية أو يقترب منها مالم يكن في اللّه على حد ذلك الزعم السلبي الذي يقال ولا يُعْمَل به في واقع الحياة ، وهو من التصورات الصحراوية الجلفة الجافة التي لا تتسق وسُنَّة اللّه في الخلق ؛ فهو الذي زَوَّد البشر بتلك العواطف والمشاعر التي بدونها لا يكون الإنسان بالمعنى الحقيقي للإنسان .. المهم أن تلك العواطف لا تنصرف من مجال إسعاد الإنسان إلى مجال الإضرار به في كرامته وحقوقه الإنسانية ويُقْهَر في مشاعره مِن قِبَلِ أناس جعلوا من أنفسهم أوصياء على مشاعر البشر تحت غطاء الدين والحفاظ على الأخلاق ؛ فاللّه لم يعط أحداً من البشر صكّاً يعطيه الحق في متابعة مشاعر الناس والتحكم بها ، ولذلك نقول : الحب هو الحب ، ولكلٍّ قراءته الخاصة عندما يصوغ ذلك في عمل فَنِّيّ إبداعيّ ...

ثم يقول : فالحب عاطفة إنسانية بكل دلالاتها ، وعند البرعي لا تخرج عن ذلك ؛ فلقد أحب وعشق حتى الثمالة ، وانغمس في عواطفه حتى شحمتي أذنيه ، ولكل واحد الحق في أن يقرأه كما يشاء ، وليس لأحد أن يحجر عليه في ذلك الحق ، مع الاعتبار (وهذا ليس شرطاً) أن تكون القراءة مستجليةً لما يشي به النص وفيه من القرائن ما يخدم دلالات القراءة .

مأزق عبد الرحيم البرعي – كما يصوره الأستاذ عبد الرحمن الأهدل – أنه : يُلْمَس مِن شعر البرعي في تعاطيه مع الحياة والمجتمع أنه يتحلى بروح الشاعر وعفويته وبساطته وتسامحه ، وهذه الخصال تبدو في ظاهرها أنها لا تتوافق مع ما يجب أن يكون عليه مِن وقار الفقيه والعالِم أو القطب الصوفي ، لِذلك خيَّب

البرعي ظن ذلك التصور عند التقليديين من الفقهاء والصوفية ، فرأوا فيه خروجاً عمّا يجب أن يكون عليه العارفون أمثاله ، فعزفوا عن الاهتمام به في الترجمات واعتباره أحدَ أعيان عصره ، والديوان الشعري هو الأثر الوحيد الذي تركه ، فلم يكن كافياً في نظر التقليديين للحديث عنه ، خاصّةً إذا علمنا الموقف السلبي لرجال الدين الإسلامي من الشعر مهما كانت أغراضه ما لم تكن ذات غرض دينيّ ، والملفت أن الذين ترجموا له – على قِلّتهم – كانوا يصفونه بـ" الشاعر المغلق " ! ...

ثم قال : لكن البرعي كان صوفيّاً نقيّاً تغلبت عليه روح الشاعر الشفافة وتسامُح الشعراء الذين أحبوا الإنسان والكون ، ولم يُعِيرُوا كبير اهتمام لخلافات الناس على الجاه والسيطرة ، لذلك فالبرعي أعطى لنفسه الْمُحِبَّةِ القيادةَ لتسير به إلى أينما يشاء اللّه ، وصار – وبدون تكلف – يصبّ عواطفه في النصوص الشعرية كعاشق حقيقيّ لا يرى بأساً في التعبير عن مشاعره ؛ اعتقاداً منه بأن ذلك لا يتعارض مع الدين والقيم ...

واستمر مأزق البرعي قائماً مع مَن يمكن تسميتهم بـ" مثقفي عصره " والمهتمين بالفكر والأدب فيمن أتى بعد ذلك ، وأخرجوه من الدوائر الثلاث : دائرة الفقهاء والعلماء ودائرة شيوخ الصوفية ودائرة الشعراء الفحول ، مع أنه كان أهلاً لِخصال الثلاث دوائر ، ولم تستغرقه كثيراً إلا دائرة الشعر التي كانت الوعاء الذي صب فيه معارفَه، وضمَّنه خصائص تلك الدوائر ، فلِذلك قَلّ اهتمام أنصار ومريدي ومترجمي دائرتي العلم والتصوف ، وكان الشعر خطيئته التي لا تُغْتَفَر لدى التقليديين ، مع أنه – أي الشعر – مَن حفظ لنا البرعي شاعراً وفقيهاً وصوفيّاً ، وبدونه كان سيندثر ولن يُعْرَف ويَشتهر كما هو حاصل اليوم مِن خلال ترديد شعره والمديح به ، إذ وجد فيه المؤمنون بغيتهم من الأدعية والتوسلات ، ووجد فيه العشاق المحبون بغيتهم في الغزل والتعبير عمّا يختلج في نفوسهم .

إن البرعي شخصية خصبة لِدراسات متنوعة سوف تثري حياتنا الوجدانية

التي نلحظ في هذه الأيام أنّ زحف رمال الصحراء الفكرية الجامدة تسطو عليها بفقه التعصب والجمود من جهة ، وبتقنية الفيديو كليب الممسوخة من جهة ثانية ، لذلك يصبح من الأهمية بمكان درس عبدالرحيم البرعي وأمثاله باعتبارهم كنوزاً روحيّةً وفكريّةً هامّةً في الثقافة العربية ، ثم استنطاق تراثها واستجلاء مخزون قيمها الروحية وما تنطوي عليه مِن ثراء للروح والوجدان ، ومادة جليلة نقدِّم بها أنفسنا لِلمشهد الثقافي الإنساني كأحسن ما يكون التقديم ...

إن العودة إلى الْمُشْرِق والْمُسْتَنِير في تراثنا العربي الإسلامي هو طوق النجاة لأمتنا مِن طوفان قُوَى الشر المحلية والعالمية : الاستبداد والاستعمار ، وهذه دعوة لكل الحريصين على الأمة لِلمبادرة بالفعل الإيجابي قبل أن يفوت الأوان (إذا لم يكن قد فات) ويزداد العجز (إن لم يكن قد ازداد) ونسقط مِن آخِرِ عربة في قطار الحياة ونتحول إلى مومياء في متحف التاريخ الإنساني (إذا لم نكن قد تحوَّلنا بالفعل) .

كلمة أخيرة لِلْمُعِدّ : إنّ كل ما كتبه الأستاذ عبد الرحمن الأهدل أعتقد أنه رَأْي جميع الطبقة المستنيرة العربية الحالية .

وأخيراً .. إلى عالَم الجمال الممتع والفرح المغدق غير المتوفر على كوكبنا ، وإلى قصيدة البرعي الرائعة .

قصيدة البرعي في مدح الرسول ﷺ

هذه هي القصيدة التي خَمَّسَهَا الطهطاوي لِلشاعر الصوفي عبد الرحيم البرعي ، وقد آثرنا إثباهًا لكي نوضح مدى تأثر الطهطاوي القوي بها .

خَـلِّ الْغَـرَامَ لِصَـبٍّ دَمْعُـهُ دَمُـهُ ... حَيْرَانَ تُوجِـدُهُ الـذِّكْرَى وتُعْدِمُـهُ

واقْنَـعْ لَـهُ بِعَلاَقَـاتٍ عَلِقْـنَ بِـهِ ... لَو اطَّلَعْـتَ عَلَيْـهِ كُنْـتَ تَرْحَمُـهُ

عَذَلْتَـهُ حِـينَ لَـمْ تَنْظُـرْ بِنَـاظِرِهِ ... ولاَ عَلِمْتَ الَّذِي فِي الْحُـبِّ يَعْلَمُـهُ

لَوْ ذُقْتَ كَأْسَ الْهَوَى الْعُذْرِيِّ مَا هَجَعَتْ ... عَيْنَاكَ فِي جُنْحِ لَيْـلٍ جَـنَّ مُظْلِمُـهُ

ولاَ ثَنَيْتَ عِنَانَ الشَّـوْقِ عَـنْ طَلَـلٍ ... بالٍ عَفَـتْ بِيَـدِ الأَنْـوَاءِ أَرْسُـمُهُ

مَا الْحُـبُّ إلاَّ لِقَـوْمٍ يُعْرَفُـونَ بِـهِ ... قَدْ مارَسُوا الْحُبَّ حَتَّى هانَ مَعْظِمُـهُ

عَذَابُـهُ عِنْـدَهُمْ عَـذْبٌ وظُلْمَتُـهُ ... نُـورٌ ومَغْرَمُـهُ بِـالرّاءِ مَغْنَمُـهُ

كَلَّفْتَ نَفْسَـكَ أَنْ تَقْفُـو مَـآثِرَهُمْ ... والشَّيْءُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ لَيْسَ يُحْكِمُهُ

إنِّي أُوَرِّي عَـذُولِي حِـينَ يَسْـأَلُنِي ... بِذِكْرِ زَيْنَـبَ عَـنْ لَيْلَـى فَأُوهِمُـهُ

وطَالَمَا سَجَعَتْ وَهْنـاً بِـذِي سَـلَمٍ ... وَرْقَـاءُ تُعْجِـمُ شَـكْوَاهَا فَأَفْهَمُـهُ

وتَنْثَنِـي عَـذَبَاتُ الْبَـانِ حاكِيَـةً ... عَلَمَ الْفَرِيـقِ فَـأَدْرِي مَـا تُتَرْجِمُـهُ

يَا مَـنْ أَذَابَ فُـؤَادِي فِـي مَحَبَّتِـهِ ... لَوْ شِئْتَ داوَيْتَ قَلْباً أَنْـتَ مُسْـقِمُهُ

سَقَى الْحَيَا رَبْعَ صَبٍّ سارَ مِنْـهُ إلَـى ... شِعْبِ الْمُرَيْحَاتِ هامِي الْمُزْنِ مَرْهَمُـهُ

وبَاتَ يَرْفَضُّ مِنْ سَفْحِ الْخُـزَامِ إلَـى ... وادِي إِدَامَ ومَـا والَـى يَلَمْلَمُـهُ

يَسُوقُهُ الرَّعْدُ مِنْ خَيْرِ الْبِطَـاحِ إلَـى ... أُمِّ الْقُـرَى ورِيَـاحُ الْبِشْـرِ تُقْدِمُـهُ

وكُلَّمَـا كَـفَّ أَوْ كَلَّـتْ رَكَائِبُـهُ ... بَـادَاهُ بِالرَّحْـبِ مَسْـعَاهُ وزَمْزَمُـهُ

لَمَّا أَلَثَّ عَلَـى الْبَطْحَـاءِ عارِضُـهُ ... عَـلاَ الْمَدِينَـةَ بَـرْقٌ راقَ مَبْسَـمُهُ

سَقَى الرِّيَاضَ الَّتِي مِنْ رَوْضِهَا طَلَعَتْ ... طَلاَئِـعُ الـدِّينِ حَتَّـى قـامَ قَيِّمُـهُ

حَيْثُ النُّبُـوَّةُ مَضْـرُوبٌ سُـرَادِقُهَا ... والنُّورُ لاَ يَسْـتَطِيعُ اللَّيْـلُ يَكْتُمُـهُ

والشَّمْسُ تَسْطَعُ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ وفِي ... ذاكَ الْحِجَابِ أَعَزُّ الْكَـوْنِ أَكْرَمُـهُ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ السَّـادَاتِ مِـنْ مُضَـرٍ   خَيْرُ النَّبِيِّينَ مُحْيِـي الـدِّينِ مُكْرِمُـهُ

فَرْدُ الْجَلاَلَةِ فَـرْدُ الْجُـودِ مَكْرُمَـةً   فَرْدُ الْوُجُودِ أَبَـرُّ الْقَلْـبِ أَرْحَمُـهُ

نُورُ الْهُدَى جَوْهَرُ التَّوْحِيدِ بَدْرُ سَـمَا   ءِ الْمَجْـدِ واصِـفُهُ بِالْبَـدْرِ يَظْلِمُـهُ

مِنْ نُورِ ذِي الْعَرْشِ مَعْنَـاهُ وصُـورَتُهُ   ومُنْشِئُ النُّـورِ مِـنْ نُـورٍ يُجَسِّـمُهُ

ومَوْدِعُ السِّرِّ فِي ذاتِ النُّبُـوَّةِ مِـنْ   عِلْـمٍ وحِلْـمٍ وإحْسَـانٍ يُقَسِّـمُهُ

فَذَاكَ مِنْ ثَمَرَاتِ الْكَوْنِ أَطْيَـبُ مَـا   جادَ الْوُجُـودُ بِـهِ أَعْـلاَهُ وأَعْلَمُـهُ

فَمَا رَأَتْ مِثْلَـهُ عَـيْنٌ ولاَ سَـمِعَتْ   أُذْنٌ كَأَحْمَدَ أَيْـنَ الأَيْـنُ نَعْلَمُـهُ ؟!

أَضْحَتْ لِمَوْلِـدِهِ الأَصْـنَامُ ناكِسَـةً   عَلَى الرُّؤُوسِ وذَاقَ الْخِزْيَ مُجْرِمُـهُ

وأَصْبَحَتْ سُبُلُ التَّوْحِيـدِ واضِـحَةً   والْكُفْـرُ يَنْدُبُـهُ بِالْوَيْـلِ مَأْتَمُـهُ

والأَرْضُ تَبْهَجُ مِنْ نُـورِ ابْـنِ آمِنَـةٍ   والْحَقُّ تُصْمِي ثُغُورَ الْجَـوْرِ أَسْـهُمُهُ

وإنْ يَقُمْ لاِسْتِرَاقِ السَّـمْعِ مُسْـتَرِقٌ   رَصَـدَتْهُ أَنْجُـمُ الأَرْجَـاءِ تَرْجُمُـهُ

إنَّ ابْنَ عَبْـدِ مَنَـافٍ مِـنْ جَلاَلَتِـهِ   شَمْسٌ لأُفْقِ الْهُدَى والرُّسْلُ أَنْجُمُـهُ

الْعَـدْلُ سِـيرَتُهُ والْفَضْـلُ شِـيمَتُهُ   والرُّعْبُ يَقْدُمُـهُ والنَّصْـرُ يَخْدُمُـهُ

أَقَامَ بِالسَّيْفِ نَهْـجَ الْحَـقِّ مُعْتَـدِلاً   سَهْلَ الْمَقَاصِدِ يَهْـدِي مَـنْ يُيَمِّمُـهُ

وكُلَّمَا طالَ رُكْـنُ الشِّـرْكِ مُنْتَهِيـاً   فِي الزَّيْغِ قامَ رَسُـولُ اللَّـهِ يَهْدِمُـهُ

سارَتْ إلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى رَكَائِبُـهُ   يَزُفُّـهُ مُسْـرِجُ الإسْـرَا ومُلْجِمُـهُ

والشَّوْقُ يَهْتِفُ يَـا جِبْرِيـلُ زُجَّ بِـهِ   فِي النُّـورِ والنُّـورُ مَرْقَـاهُ وسُـلَّمُهُ

والْعَرْشُ يَهْتَزُّ مِـنْ تَعْظِيمِـهِ طَرَبـاً   إذْ شَرَّفَ الْعَرْشَ والْكُرْسِـيَّ مَقْدِمُـهُ

والْحَقُّ سُـبْحَانَهُ فِـي عِـزِّ عِزَّتِـهِ   مِنْ قابِ قَوْسَـيْنِ أَوْ أَدْنَـى يُكَلِّمُـهُ

فَكَمْ هُنَالِكَ مِنْ فَخْرٍ ومِـنْ شَـرَفٍ   لِمَنْ شَـدِيدُ الْقُـوَى وَحْيـاً يُعَلِّمُـهُ

حَتَّـى إذَا جـاءَ بِالتَّنْزِيـلِ مُعْجِـزَةً   يَمْحُو الشَّرَائِعَ والإحْكَـامُ مُحْكِمُـهُ

هانَتْ صِفَاتُ عَظِيمِ الْقَـرْيَتَيْنِ ومَـا   يَأْتِيهِ جَهْـلاً أَبُـو جَهْـلٍ ويَزْعُمُـهُ

حالُ السُّهَا غَيْرُ حالِ الشَّمْسِ لَوْ عَلِمُوا   بَلْ أَهْلُ مَكَّةَ فِي طُغْيَـانِهِمْ عَمَهُـوا

فاصْدَعْ بِأَمْرِكَ يَا ابْن الشُّمِّ مِن مُضَرِ فَقَدْ بُعِثْتَ لأَنْفِ الشِّرْكِ تُرْغِمُهُ
لَكَ الْجَمِيلُ مِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ ومِنْ كُلِّ اسْمِ جُودٍ عَظِيمُ الْجُودِ أَعْظَمُهُ
يَا أَيُّهَا الآمِلُ الرَّاجِي لِيَهْنِكَ مَا تَرْجُوهُ ذَا كَعْبَةُ الرَّاجِي ومَوْسِمُهُ
قَبْراً أُشَاهِدُ نُوراً حِينَ تُبْصِرُهُ عَيْنِي وأَنْشَقُ مِسْكاً حِينَ أَلْثَمُهُ
كَمِ اسْتَنَبْتُ رِفَاقاً فِي زِيَارَتِهِ عَنِّي ومَا كُلُّ صَبِّ الْقَلْبِ مُغْرَمُهُ
وكَمْ يُصَافِحُهُ مَنْ لاَ يَدِي يَدُهُ ولاَ فَمِي عِنْدَ تَقْبِيلِ الثَّرَى فَمُهُ
مَتَى أُنَادِيهِ مِنْ قُرْبٍ وأُنْشِدُهُ قَصِيدَةً فِيهِ أَمْلاَهَا خُوَيْدِمُهُ
مُهَاجِرِيَّةٌ افْتَرَّتْ كَمَائِمُهَا عَنْ دُرِّ ثَغْرٍ لِسَانُ الْحَالِ يَنْظِمُهُ
كَمْ يَأْمَلُ الرَّوْضَةَ الْغَرَّاءَ ذُو كَرَمٍ يَرْجُو الزِّيَارَةَ والأَقْدَارُ تَحْرِمُهُ
مُسْتَعْدِياً بِحَبِيبِ الزَّائِرِينَ عَلَى دَهْرٍ تَنَكَّرَ بالإِهْمَالِ مُعْجَمُهُ
فَقُمْ بِعَبْدِكَ يَا شَمْسَ الْكَمَالِ وكُنْ حِمَاهُ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ مُرٍّ مَطْعَمُهُ
وادْعُ الْكَرِيمَ إذَا ضَاقَ الْخِنَاقُ بِهِ مَا خَابَ مَنْ أَنْتَ فِي الدَّارَيْنِ مُكْرِمُهُ
يَا سَيِّدَ الْعَرَبِ الْعُرْبَاءِ مَعْذِرَةً لِنَادِمِ الْقَلْبِ لاَ يُغْنِي تَنَدُّمُهُ
أَنْطَتْ ظَهْرِي بِأَوْزَارٍ وجِئْتُكَ لاَ قَلْبٌ سَلِيمٌ ولاَ شَيْءٌ أُقَدِّمُهُ
يَا صَاحِبَ الْوَحْيِ والتَّنْزِيلِ لُطْفَكَ بِي لاَ زِلْتَ تَعْفُو عَنِ الْجَانِي وتُكْرِمُهُ
وهَاكَ جَوْهَرَ أَبْيَاتٍ بِكَ افْتَخَرَتْ جَاءَتْ بِخَطِّ أَسِيرِ الذَّنْبِ يَرْقُمُهُ
فانْهَضْ بِقَائِلِهَا عَبْدِ الرَّحِيمِ ومَنْ يَلِيهِ إنْ هَمَّ صَرْفُ الدَّهْرِ يَدْهَمُهُ
واجْعَلْهُ مِنْكَ بِرَأْيِ الْعَيْنِ مَرْحَمَةً إذَا أَلَمَّ بِهِ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُهُ
وإنْ دَعَا فَأَجِبْهُ واحْمِ جَانِبَهُ يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ
فَكُلُّ مَنْ أَنْتَ فِي الدَّارَيْنِ نَاصِرُهُ لَمْ تَسْتَطِعْ مِحَنُ الأَيَّامِ تَهْضِمُهُ
عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَكْمَلُهَا يَا مَاجِداً عَمَّتِ الدَّارَيْنِ أَنْعُمُهُ
يُبْدِي عَبِيراً ومِسْكاً مَسْكُ عَارِضِهَا ويَبْدَأُ الذِّكْرَ ذِكْرَاهَا ويَخْتِمُهُ
مَا رَنَّحَ الرِّيحُ أَغْصَانَ الأَرَاكِ ومَا جَابَتْ عَلَى أَبْرُقِ الْحَنَّانِ حُوَّمُهُ
وتَنْثَنِي فَتَعُمُّ الآلَ جَائِدَةً بِكُلِّ عَارِضِ فَضْلٍ فَاضَ مُسْجَمُهُ

قصيدة رفاعة الطهطاوي

في مدح الرسول ﷺ

* تعريف بالشاعر :

يُعْتَبَر رفاعة الطهطاوي – كما جاء في مقدمة ديوانه – نقطة البدء الصحي والصحيح لِتطوير الشعر العربي وتجديده بعد الضعف والتخلف أثناء العصور الوسطى ولا سيما مرحلة الحكم التركي .

إن الطهطاوي كان إفرازاً حقيقيّاً لِظروف واقعِه ، وقد أدرك بوعي التحديات المختلفة التي تصارعه والظروف المتداخلة التي تحكم حركته وتحدد – بالتالي – احتياجات مرحلته والأفق الصحيح الذي يجب أن يصل إليه .

يقول الدكتور طه وادي – أستاذ الأدب الحديث – في بحثه المستفيض عن الطهطاوي : إن الإنسان العربي لم يُفْطَرْ على جبِلّة تستعصي على التفاعل والتكيف مع حركة مجتمعه الإنساني وحضارته ، وإنِ التراث لا ينبغي أن يكون عثرةً تَحُدّ مِن مسيرة التطور والمعاصرة بقدر ما يجب أن يكون دافعاً وحافزاً نحو التفاعل الإيجابي مع حركة العالم وحضارته .

إن التراث الحي مثل أي كائن حي ؛ فيه ما يساعد على الحركة وما يُعْجِز عنها ، فيه ما يجب أن نحتفظ به ونحافظ عليه ، وفيه – أيضاً – ما يجب التخلص منه ؛ حتى لا يكون قيداً يَحُول دون الحركة الصحيحة وحاجزاً يُعْجِزُنا عن استشراف ما ينبغي أن نتطلع نحوه ولا مفرَّ من النهوض إليه .

وأخيراً .. فإنه إذا كان الماضي المندثر عزيزاً علينا فأعز منه المستقبل الذي نتحرق شوقاً لِلوصول إليه بفكر معاصر وحركة متحضرة .

ثم قال : لن يفيد ذلك المصلح العظيم أن يكون شعره متواضعاً من حيث القيمة الفنية مثل كل شعراء عصره ، فما ادعى الطهطاوي يوماً أنه شاعر ، وما أحسب أحداً مِن مؤرخي أدبنا الحديث درسه مِن هذه الزاوية .

وقد وفد الطهطاوي إلى القاهرة عام ١٨١٧ م وهو في السادسة عشرة

لِيتعلم في الجامع الأزهر ، وقد تتلمذ على يد الشيخ حسن العطار الذي تبنّاه ، وكان الشيخ حسن العطار ذا ثقافة متنوعة وذا أفق واسع ؛ وذلك لاتصاله بعلماء الحملة الفرنسية حينذاك ، وقد شجع الطهطاوي على ذلك أخواله الذين قاموا بتربيته بعد موت والده ، وكانوا رجال علم وثقافة ، ونظراً لأن رجال الأزهر حينئذٍ كانوا يَكرهون العلوم الفلسفية والعلوم الدينية مِن تاريخ وجغرافيا وطب ورياضة وفلك ، ونتيجةً لِحظر هذه العلوم في الأزهر فقد اصطفى الشيخ حسن العطار بعض تلاميذه وقرَّبهم إليه وقرأ عليهم وناقشهم في بيته ، فيما كانت الأوضاع لا تسمح بذلك في الأزهر ، لِذَا فقد نشأ الطهطاوي وهو مِن جيل المستنيرين .

وقد ظهرت مواهب رفاعة الشعرية في صباه ، ولكن كان شعراً لا يرقى إلى الشعر الجيد ، وقد كتب أبياتاً في الغزل وفي الحنين إلى الوطن وفي المدح .

والقصيدة التي تعلن عن ميلاد الشاعر هي التي كُتِبَتْ أثناء بعثته في باريس ، وأولها :

نَاحَ الْحَمَامُ عَلَـى غُصُـونِ الْبَـانِ فَأَبَـاحَ شِـيمَةَ مُغْـرَمٍ وَلْهَـانِ

وينتقل مِن الغزل إلى الحنين إلى الوطن فيقول :

ولَطَالَمَـا قَضَّـيْتُ مَعْـهُ حِقْبَـةً ونَسِـيمُ مِصْـرَ مُعَطَّـرُ الأَرْدَانِ

ثم ينتقل إلى المديح فيقول :

دارٌ يَحِـقُّ لَهَـا التَّفَـاخُرُ سِـيَّمَا بعَزِيزِهَـا جَـدْوَى بَنِـي عُثْمَـانِ
حازَ الْمَحَامِـدَ إِذْ دُعِـي بِمُحَمَّـدٍ ورَقَى الْعُـلاَ فَعَـلاَ عَلَـى الأَقْـرَانِ

وهذه القصيدة باكورة أعماله الشعرية ، وبها نؤرخ له كشاعر .

ولكن شعره فيه الكثير من الهنات والتكلف والبساطة التي تجعله أقرب إلى النثر منه إلى الشعر ، وتجعل الجملة خاليةً مِن وهج الشعر وحرارة الفن ، مثل قوله :

قَدْ شَـبَّهُوهَا بِـالْعَرُوسِ وقَـدْ بَـدَا مِنْهَـا الْعَرُوسِـيُّ بَهْجَـةُ الأَكْـوَانِ

وكما قلنا فإن الطهطاوي ابن مرحلته ؛ حيث كان ميدان الشعر يخلو مِن الشعراء الذين يهتمون بالأمور العامة أو يعبِّرون عن ذواهم تعبيراً جميلاً فخماً ، ولكنْ كان الشعر في هذه المرحلة عبارةً عن مديح لِلحاكم أو ما يتعلق في وقته من مناسبات ، وقد استمر هذا الفهم لِلشعر حتى جاء محمود سامي البارودي فطرق أبواب الحكمة والشأن العام في أشعاره ، وتلاه أحمد شوقي في ذلك مع إضافة الشعر المسرحي لأغراض الشعر ، ومنذ أحمد شوقي لم يصبح الشعر مدحاً لِلحاكم فقط ، وإذا كان الحاكم شبه أعجمي لا يفهم العربية والشاعرُ شبه مغترب لا يرتبط بواقعه وكذا لم يكن لِلشعر وظيفة اجتماعية ترتبط بجماهير المجتمع صانعة الفنان وصاحبة الفن فلن يكون له وجود على الإطلاق ، وهذه الجماهير الشعبية ارتبطت بالفن الشعبي مثل سيرة بني هلال والزناتي خليفة وغيرها ، ولذا فقد أصبح الشاعر شبه مغترب ، وأن يكون الشعر شبه محتضر فنّيّاً ، وأصبحت وظيفته باهتةً ممسوخة .

هذه إطلالة على الظروف المجتمعية التي أوهنت مِن قوة الشعراء المحدثين .

ونأتي إلى قصيدتنا – وهي قصيدة الطهطاوي في مدح الرسول ﷺ – فنجد أن رفاعة قام بتخميس قصيدة لِلإمام الزمخشري قبل تخميسه لِهذه القصيدة ، مطلعها :

قَطَــعَ الْجَهُــولُ زَمَانَــهُ بتَغَــزُّلِ   إنَّ الْجَهُولَ عَــنِ الْكَمَــالِ بمَعْــزِلِ

أَنَــا لاَ أَمِيــلُ إلَــى كَــلاَمِ الْغَــزَلِ   سَهَرِي لِتَنْقِــيحِ الْعُلُــومِ أَلَــذُّ لِــي

مِنْ وَصْــلِ غانِيَةٍ وطِيــبِ عِنَــاقِ

والطهطاوي – كما قلنا سابقاً – ابن عصره ، وفي هذا العصر انتشر شعر المديح بصفة عامة ، وبخاصة الشعر الديني وما يتصل به مِن مضامين صوفية وعقائدية ومديح لِلرسول ﷺ وأهل بيته بشكل لافت لِلنظر في عصور الضعف الطويلة والمراهقة التي مرت بالأمة العربية خلال العصور الوسطى وحتى بداية العصر الحديث ، وكان الشعراء – في الغالب – يتخذون مِن ذلك الشعر وسيلةً يتقربون بها إلى اللّه أو يتشفعون بالرسول ﷺ وأهل بيته أملاً في تفريج الكروب .

ونحن بصدد قصيدته في مدح الرسول ﷺ بها والتي يعارض فيها الشاعر الصوفي عبد الرحيم البرعي ويقدم تخميساً لِقصيدة له مطلعها :

خَـلِّ الْغَـرَامَ لِصَـبٍّ دَمْعُـهُ دَمُـهُ حَيْرَانَ تُوجِـدُهُ الـذِّكْرَى وتُعْدِمُـهُ

وقد كتب الطهطاوي قصيدته وهو بالخرطوم (١٨٥٠ - ١٨٥٤ م) ، وهي تبدأ بالغزل الصوفي حبّاً في الرسول ﷺ وأملاً أن يشفع له عند اللّٰه تعالى لِيكشف عنه ما هو فيه من الغربة والعذاب ، كما يشير إلى وشاية عصبة حاسدة ، وكانت مكائدها سر إبعاد الخديوي عباس له ، وهي تعكس سمات تجربته الشعرية وتقاليده الفنية ، كما أنها تعكس وعيه بتقاليد التراث الفني الذي يعارضه ؛ حيث يجاري شعراء المدائح مثل البوصيري والبرعي ، وهي تعبِّر عن نجوى ذاتية وخواطر نفسية كانت تجيش في نفسه وصدره أثناء مرارة الغربة وقسوة المنفى .

هذه المقتطفات عن الطهطاوي مِن ديوانه الذي قدَّم له وجمعه ودرسه الدكتور طه وادي .

وإلى القصيدة ..

قصيدة رفاعة رافع الطهطاوي

في مدح الرسول ﷺ

تُبْدِي الْغَرَامَ وأَهْلُ الْعِشْقِ تَكْتُمُـهُ ؟! وتَدَّعِيـهِ جِـدَالاً مَـنْ يُسَـلِّمُهُ ؟!
مَا هَكَذَا الْحُبُّ يَا مَنْ لَـيْسَ يَفْهَمُـهُ خَـلِّ الْغَـرَامَ لِصَـبٍّ دَمْعُـهُ دَمُـهُ
حَيْرَانَ تُوجِدُهُ الـذِّكْرَى وتُعْدِمُـهُ

دَعْ قَلْبَهُ فِـي اشْـتِغَالٍ مِـنْ تَقَلُّبِـهِ ولُبَّـهُ فِـي اشْـتِعَالٍ مِـنْ تَلَهُّبِـهِ
واصْنَعْ جَمِيـلَ فِعَـالٍ فِـي تَجَنُّبِـهِ واقْنَـعْ لَـهُ بِعَلاَقَـاتٍ عَلِقْـنَ بِـهِ
لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ كُنْـتَ تَرْحَمُـهُ

فُؤَادُهُ فِي الْحِمَـى مَسْـعَى جَـآذِرِهِ وفِي نُجُومِ السَّـمَا مَرْعَـى نَـوَاظِرِهِ
فَيَا عَذُولاً سَعَى فِـي لَـوْمِ عَـاذِرِهِ عَذَلْتَـهُ حِـينَ لَـمْ تَنْظُـرْ بِنَـاظِرِهِ
ولاَ عَلِمْتَ الَّذِي فِي الْحُبِّ يَعْلَمُهُ

أَمَا تَرَى نَفْسَهُ مَرْعَى الْهَوَى انْتَجَعَـتْ وسَاقَهَا الْحُبُّ فانْسَاقَتْ ولا رَجَعَـتْ
فاعْذِرْ أَوْ اعْذُلْهُ مَا وُرْقُ الْحِمَى سَجَعَتْ لَوْ ذُقْتَ كَأْسَ الْهَوَى الْعُذْرِيِّ مَا هَجَعَتْ
عَيْنَاكَ فِي جُنْحِ لَيْلٍ جَـنَّ مُظْلِمُـهُ

ولاَ صَـبَوْتَ لِسُـلْوَانٍ ولاَ مَلَـلٍ ولا جَنَحْتَ إِلَـى لَـوْمٍ ولاَ عَـذَلٍ
ولاَ انْثَنَيْتَ لِخَطْبٍ فِي الْهَوَى جَلَـلٍ ولاَ ثَنَيْتَ عِنَانَ الشَّـوْقِ عَـنْ طَلَـلٍ
بالٍ عَفَتْ بِيَـدِ الأَنْـوَاءِ أَرْسُـمُهُ

فَكَيْفَ نَاقَشْتَهُ فِـي أَصْـلِ مَذْهَبِـهِ ومَا تَحَرَّيْـتَ تَحْقِيقـاً لِمَطْلَبِـهِ ؟!
فَوَالَّذِي صَانَهُ عَـنْ وَصْـمَةِ الشُّـبَهِ مَا الْحُـبُّ إِلاَّ لِقَـوْمٍ يُعْرَفُـونَ بِـهِ
قَدْ مَارَسُوا الْحُبَّ حَتَّى هَانَ مُعْظَمُهُ

تُجيبُــهُ إنْ دَعَــا لِلْوَغْــدِ أُمَّتُــهُ وعَزْمُــهُ بَيْــنَهُمْ ســامٍ وهِمَّتُــهُ
قَوْمٌ لَدَيْهِمْ بَيَــانُ الْحُــبِّ عُجْمَتُــهُ عَذَابُــهُ عِنْــدَهُمْ عَــذْبٌ وظُلْمَتُــهُ
نُــورٌ ومَغْرَمُــهُ بِــالرّاءِ مَغْنَمُــهُ

يَا مَــنْ دَعَــاهُ هَــوَاهُ أَنْ يُعَاشِــرَهُمْ اسْلُكْ مَشَاعِرَهُمْ والْــزَمْ شَــعَائِرَهُمْ
وإنْ تَكَلَّفْــتَ أَنْ تَــدْرِي أَشَــايِرَهُمْ كَلَّفْتَ نَفْسَــكَ أَنْ تَقْفُــو مَــآثِرَهُمْ
والشَّيْءُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ لَيْسَ يُحْكِمُهُ

فِي حُبِّ لَيْلَى خَلِيُّ الْبَــالِ يَعْــذُلُنِي إنْ لَمْ أُغَالِطْ فَمَــا يَنْفَــكُّ يَخْــذُلُنِي
فَوَالَّــذِي مَنْــزِلَ الْعُشّــاقِ يُنْزِلُنِــي إنِّــي أُوَرِّي لِغَيْــرِي حِــينَ يَسْــأَلُنِي
بِذِكْرِ زَيْنَبَ عَنْ لَيْلَــى فَأُوهِمُــهُ

كَمْ فِي الْهَوَى والنَّوَى قاسَيْتُ مِنْ أَلَمِ وكَمْ مَلأْتُ طُرُوسَ الْعِشْقِ مِنْ كَلِــمِ
وكَمْ سَهِرْتُ سَمِيرَ النَّجْمِ فِي الظُّلَــمِ وطَالَمَا سَجَعَتْ وَهْنــاً بِــذِي سَــلَمِ
وَرْقَاءُ تُعْجِــمُ شَــكْوَاهَا فَأَفْهَمُــهُ

مَا السُّحْبُ إلاَّ دُمُوعُ الْعَيْــنِ باكِيَــةً ولاَ لَظَى غَيْــرُ أَحْشَــائِي مُحَاكِيَــةً
لاَ شَكَّ أَنِّي أُنَــاغِي الْــوُرْقَ شَــاكِيَةً وتَنْثَنِــي عَــذَبَاتُ الْبَــانِ حاكِيَــةً
عَلَمَ الْفَرِيقِ فَأَدْرِي مَــا تُتَرْجِمُــهُ

إمَــامُ عِشْــقٍ تَــوَلَّى نَصْــرَ مِلَّتِــهِ عَلَــى الْوُشَــاةِ وفَادَاهَــا بِمُهْجَتِــهِ
نادَى وقَدْ ذابَ وَجْــداً مَــعْ ثَنِيَّتِــهِ يَا مَــنْ أَذَابَ فُــؤَادِي فِــي مَحَبَّتِــهِ
لَوْ شِئْتَ داوَيْتَ قَلْباً أَنْتَ مُسْقِمُهُ

مَتَى بِرَبْعِ صَحَابِيٍّ أَبْلُــغُ الأَمَــلاَ ؟! فَكَمْ سَقَى ماءُ دَمْعِي السَّهْلَ والْجَــبَلاَ
ومَا شَفَى مَعْهَداً مِنْ ســاكِنِيهِ خَــلاَ سَقَى الْحَيَا رَبْعَ صَبٍّ سارَ مِنْــهُ إلَــى
شِعْبِ الْمُرَيْحَاتِ هامِي الْمُزْنِ مَرْهَمُهُ

مَلْثُ غَيْثٍ يَسُــحُّ الْوَابِــلَ الْهَطِــلاَ وصَيْبُ طِيــبٍ يَسْتَخْصِــبُ الطَّلَــلاَ
أَضْحَى بِمُنْهَمِــرِ الأَنْــوَاءِ مُــنْهَمِلاَ وبَاتَ يَرْفَضُّ مِنْ سَفْحِ الْخُــزَامِ إِلَــى
وادِي إِدَامَ ومَــا والَــى يَلَمْلَمُــهُ

حَيَّا مَنَازِلَهَــا فَــيْضُ الْحَيَــا ومَــلاَ أَرْجَاءَهَا مِنْ بُــرُوقٍ يَبْتَسِــمْنَ جَــلاَ
ولاَ عَدَا عَنْ رُبَاهَا الْجُــودُ إِذْ نَــزَلاَ يَسُوقُهُ الرَّعْدُ مِنْ خَيْرِ الْبِطَــاحِ إِلَــى
أُمِّ الْقُرَى ورِيَاحُ الْبِشْــرِ تُقْدِمُــهُ

سَــمِيُّ جُــودٍ سَــرِيعَاتٌ نَجَائِبُــهُ وَلِــيُّ عَهْــدٍ مَرِيعَــاتٌ رَغَائِبُــهُ
ووَاكِفٌ بِالنَّــدَى تَكْفِــي سَــوَاكِبُهُ وكُلَّمَــا كَــفَّ أَوْ كَلَّــتْ رَكَائِبُــهُ
بَادَاهُ بِالرَّحْبِ مَسْــعَاهُ وزَمْزَمُــهُ

مَا دَرَّ مِــنْ قَبْلِــهِ غَيْــثٌ يُعَارِضُــهُ ولاَ أَضَــرَّتْ بِمَسْــرَاهُ عَوَارِضُــهُ
تَخَالُــهُ وهْــوَ لاَ رِيــحٌ يُنَاقِضُــهُ لَمَّا أَلَثَّ عَلَــى الْبَطْحَــاءِ عَارِضُــهُ
عَلاَ الْمَدِينَةَ بَــرْقٌ رَاقَ مَبْسَــمُهُ

بَرْقٌ بَوَاسِمُهُ فِي الْجَوِّ قَــدْ سَــطَعَتْ فَقَهْقَهَ الرَّعْدُ بِالْغَبْرَا وقَــدْ خَشَــعَتْ
والرَّجْعُ سَحَّ مِنَ الْخَضْرَا ومَا جَمَعَتْ سَقَى الرِّيَاضَ الَّتِي مِنْ رَوْضِهَا طَلَعَتْ
طَلاَئِعُ الدِّينِ حَتَّــى قَــامَ قَيِّمُــهُ

مَغَــارِبُ الأَرْضِ طُــرّاً أَوْ مَشَــارِقُهَا تَسْعَى إِلَــى طَيْبَــةٍ مِنْهَــا خَلاَئِقُهَــا
مَدِينَةُ الْعِلْمِ هَلْ تَخْفَــى حَقَائِقُهَــا ؟! حَيْثُ النُّبُــوَّةُ مَضْــرُوبٌ سُــرَادِقُهَا
والنُّورُ لاَ يَسْتَطِيعُ اللَّيْــلُ يَكْتُمُــهُ

يَلُوحُ فِي رَوْضَــةٍ مَــأْثُورَةِ الشَّــرَفِ دُرِّيُّ كَوْكَبِهَا يَجْلُو دُجَــى السَّــدَفِ
والْبَدْرُ يَطْلُعُ فِي أُفْــقٍ بِــلاَ كَلَــفِ والشَّمْسُ تَسْطَعُ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ وفِي
ذَاكَ الْحِجَابِ أَعَزُّ الْكَوْنِ أَكْرَمُــهُ

يَا زائراً قَبْرَ خَيْــرِ الْبَــدْوِ والْحَضَــرِ الْثَمْ ثَرَى تُرْبِهِ الْمُعْشَوْشِــبِ النَّضِــرِ
يَلْقَاكَ حَيّاً بِــأَهْنَى عِيشَــةِ الْحَضَــرِ مُحَمَّدٌ سَيِّدُ السَّــادَاتِ مِــنْ مُضَــرِ
خَيْرُ النَّبِيِّينَ مُحْيِي الدِّينِ مُكْرِمُــهُ

عَــرِّجْ بِسَــاحَتِهِ يَمْنَحْــكَ تَكْرِمَــةً فَلاَ تَخَــفْ بَعْــدَهَا بَغْيــاً ومَظْلَمَــةً
هَذَا الْمُشَفَّعُ يَوْمَ الْعَــرْضِ مَرْحَمَــةً فَرْدُ الْجَلاَلَةِ فَــرْدُ الْجُــودِ مَكْرُمَــةً
فَرْدُ الْوُجُودِ أَبَرُّ الْقَلْــبِ أَرْحَمُــهُ

مَنْ فِي صَــبَاحَتِهِ يَحْكِيــهِ مُبْتَسِــمَا مَنْ فِي مَلاَحَتِهِ حَــازَ الْبَهَــا وسَــمَا
كَمْ أَقْسَمَ الْحَقُّ بِاسْمِ الْمُصْطَفَى قَسَمَا نُورُ الْهُدَى جَوْهَرُ التَّوْحِيدِ بَدْرُ سَــمَا
الْمَجْدِ واصِــفُهُ بِالْبَــدْرِ يَظْلِمُــهُ

بِطِيــبِ عُنْصُــرِهِ طابَــتْ سَــرِيرَتُهُ شَمَائِلُ الْمَجْــدِ دُونَ الْحَــدِّ سِــيرَتُهُ
وسُورَةُ الْفَتْحِ مِثْلُ الْحَمْــدِ سُــورَتُهُ مِنْ نُورِ ذِي الْعَرْشِ مَنْشَاهُ وصُــورَتُهُ
ومُنْشِئُ النُّورِ مِنْ نُــورٍ يُجَسِّــمُهُ

مَنْ لاَذَ مِنْ فَــزَعٍ بِالْهَاشِــمِيِّ أَمِــنْ أَوْ حادَ عَنْه فَعَنْ سُبْلِ الرَّشَــادِ عَــمٍ
بِالْفَضْلِ قَدْ خَصَّهُ مَوْلاَهُ وهْــوَ قَمِــنْ ومَوْدِعُ السِّرِّ فِي ذاتِ النُّبُــوَّةِ مِــنْ
عِلْمٍ وحِلْــمٍ وإِحْسَــانٍ يُقَسِّــمُهُ

مَا حِكْمَةُ اللَّهِ أَلاَّ تُعجِزُ الْحُكَمَــا ؟! قَدْ أَبْرَزَتْ لِلْوَرَى أَسْمَى الْوَرَى عِظَمَا
لُبُّ اللُّبَابِ تَسَــامَى أَصْــلُهُ ونَمَــا فَذَاكَ مِنْ ثَمَرَاتِ الْكَوْنِ أَطْيَــبُ مَــا
جادَ الْوُجُودُ بِهِ أَغْــلاَهُ وأَعْلَمُــهُ

سُيُوفُهُ بِالرَّدَى نَحْــوَ الْعِــدَا لَمَعَــتْ وكَفُّهُ بِالنَّدَى قَبْــلَ النِّــدَا هَمَعَــتْ
صُفُوفُهُ فِي الْمَدَا رَوْمَ الْهُدَى اجْتَمَعَتْ فَمَا رَأَتْ مِثْلَــهُ عَــيْنٌ ولاَ سَــمِعَتْ
أُذْنٌ كَأَحْمَدَ أَيْنَ الأَيْنُ نَعْلَمُــهُ ؟!

لاَ تَعْزُ رُومـاً وتُرْكـاً أَوْ جَرَاكِسَـةً لِحُسْنِهِ إنَّ فِـي هَـذَا مُوَاكَسَـةً
تَقُـولُ آمِنَـةٌ فِيـهِ مُنَافِسَـةً أَضْحَتْ لِمَوْلِدِهِ الأَصْنَامُ ناكِسَـةً
عَلَى الرُّؤُوسِ وذَاقَ الْخِزْيَ مُجْرِمُهُ

فَلاَ تَرَى الْفُـرْسُ لِلـنِّيرَانِ جانِحَـةً بَعْدَ الْخُمُـودِ ولاَ الأَنْـوَارَ لائِحَـةً
والْمَانَوِيَّـةُ لاَ تَنْفَـكُّ نائِحَـةً وأَصْبَحَتْ سُبُلُ التَّوْحِيدِ واضِحَةً
والْكُفْـرُ يَنْدُبُـهُ بالْوَيْـلِ مَأْتَمُـهُ

كَمْ ظُلْمَةٍ عِنْدَ أَهْـلِ الزَّيْـغِ كامِنَـةٍ قَدِ انْجَلَـتْ بِيَـدٍ لِلنَّفْـعِ ضـامِنَةٍ
وعُصْبَةٍ مِنْ هُجُـومِ الـرَّوْعِ آمِنَـةٍ والأَرْضُ تَبْهَجُ مِنْ نُـورِ ابْـنِ آمِنَـةٍ
والْعَدْلُ تَرْمِي ثُغُورَ الْجَوْرِ أَسْـهُمُهُ

فَلاَ تَـرَى كاهِنـاً لِلْغَيْـبِ يَسْـتَرِقُ كَـلاَّ ولاَ مَـارِداً إلاَّ ويَحْتَـرِقُ
والْجِنُّ خابُوا الرَّجَا بَلْ مَسَّهُمْ فَـرَقُ وإنْ يَقُمْ لاِسْتِرَاقِ السَّـمْعِ مُسْـتَرِقُ
رَصَدَتْهُ أَنْجُمُ الأَرْجَـاءِ تَرْجُمُـهُ

فَكَمْ تَحَـدَّى وأَبْـدَى فِـي دَلاَلَتِـهِ مِنْ مُعْجِزَاتٍ تَوَالَـتْ فِـي رِسَـالَتِهِ
فَقُلْ لِطَـاغٍ تَمَـادَى فِـي ضَـلاَلَتِهِ إنَّ ابْنَ عَبْـدِ مَنَـافٍ مِـنْ جَلاَلَتِـهِ
شَمْسٌ لأُفْقِ الْهُدَى والرُّسْلُ أَنْجُمُهُ

مَا جاءَ مَنْ سَـلَبَ الأَعْـدَا غَنِيمَتَـهُ بِـهِ قَتَـادَةُ قَـدْ رُدَّتْ كَرِيمَتُـهُ
فِـي كُـلِّ آوِنَـةٍ تَـزْدَادُ قِيمَتُـهُ الْعَـدْلُ سِـيرَتُهُ والْفَضْـلُ شِـيمَتُهُ
والرُّعْبُ يَقْدُمُهُ والنَّصْـرُ يَخْدُمُـهُ

فِي حَوْمَةِ الدِّينِ أَصْمَى الْغَيَّ والْجَدَلاَ وجَنْدَلَ الْكُفْرَ حَتَّـى صـارَ مُبْتَـذَلاَ
يَمٌّ[1] طَوِيلُ نِجَـادٍ حُكْمُـهُ عَـدْلاَ أَقَامَ بالسَّيْفِ نَهْـجَ الْحَـقِّ مُعْتَـدِلاً
سَهْلَ الْمَقَاصِدِ يَهْدِي مَنْ يُيَمِّمُـهُ

(١) يم : بحر ، والمقصود وصفه بالكرم .

يَا صاحِ كُنْ بِرَسُــولِ اللَّــهِ مُقْتَــدِياً فِي فِعْلِــهِ وبِنُــورِ الْحَــقِّ مُهْتَــدِياً
فَكَــمْ أَبَــادَ مِــنَ الْبَــاغِينَ مُعْتَــدِياً وكُلَّمَا طالَ رُكْــنُ الشِّــرْكِ مُنْتَهِيــاً
فِي الزَّيْغِ قامَ رَسُولُ اللَّهِ يَهْدِمُــهُ

بِسَــعْدِ طالِعِــهِ تَسْــمُو كَوَاكِبُــهُ وطَالَمَــا ابْتَهَجَــتْ زَهْــواً مَوَاكِبُــهُ
سَــلِ الْبُــرَاقَ بِمَــاذَا فــازَ راكِبُــهُ سارَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى رَكَائِبُــهُ
يَزُفُّهُ مُسْــرِجُ الإِسْــرَا ومُلْجِمُــهُ

سَرَى بِهِ وهْوَ فِــي أَقْصَــى تَعَجُّبِــهِ وفَازَ طَــهَ بِــأَعْلَى الْمَجْــدِ أَعْجَبِــهِ
لَهُ انْجَلَى مَا تَــوَارَى فِــي تَحَجُّبِــهِ والشَّوْقُ يَهْتِفُ يَــا جِبْرِيــلُ زُجَّ بِــهِ
فِي النُّورِ والنُّورُ مَرْقَــاهُ وسُــلَّمُهُ

فِي رُؤْيَةِ الرُّسْلِ لَيْلاً كَمْ قَضَى أَرَبَــا وكَــمْ دَنَــا وتَــدَلَّى ثُــمَّ واقْتَرَبَــا
لَقَدْ رَأَى الآيَةَ الْكُبْرَى ومَا اضْــطَرَبَا والْعَرْشُ يَهْتَزُّ مِــنْ تَعْظِيمِــهِ طَرَبَــا
إِذْ شَرَّفَ الْعَرْشَ والْكُرْسِيَّ مَقْدِمُهُ

اعْتَــزَّ بِاللَّــهِ حُبّــاً فِــي مَعَزَّتِــهِ وحَلَّ فِي الْمَــلأِ الأَعْلَــى بِحَوْزَتِــهِ
فَكَيْــفَ فــازَ نَبِــيٌّ شَــطْرَ فَوْزَتِــهِ والْحَقُّ سُــبْحَانَهُ فِــي عِــزِّ عِزَّتِــهِ
مِنْ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى يُكَلِّمُــهُ

فِي السَّبْعِ فازَ بِخَمْسٍ فَوْزَ مُنْصَــرِفِ بِأَجْرِ خَمْسِينَ يُسْدِي شُكْرَ مُعْتَــرِفِ
ونَالَ مَا نالَ مِنْ مَجْدٍ ومِــنْ تَــرَفِ فَكَمْ هُنَالِكَ مِنْ عِــزٍّ ومِــنْ شَــرَفِ
لِمَنْ شَدِيدُ الْقُوَى وَحْيــاً يُعَلِّمُــهُ

كُفَّــارُ مَكَّــةَ مَــا كانَــتْ مُجَــوِّزَةً لاَ زالَ يُمْــــنَحُ آيَــــاتٍ مُعَــــزِّزَةً
بَلْ أَصْبَحَتْ بِالأَحَاجِي فِيــهِ مُلْغِــزَةً حَتَّــى إِذَا جــاءَ بِالتَّنْزِيــلِ مُعْجِــزَةً
يَمْحُو الشَّرَائِعَ والإِحْكَامُ مُحْكِمُهُ

أَجَابَ كُلُّ مُصِيخٍ[١] بالسُّجُودِ كَمَـا آيَاتُـهُ أَخْرَسَـتْهُمْ مَنْطِقـاً وفَمَـا
وحَيْثُ كُلٌّ لَـدَيْهَا أَلْقَـوُا السَّـلَمَا هائتْ صِفَاتُ عَظِيمِ الْقَـرْيَتَيْنِ ومَـا
يَأْتِيهِ جَهْلاً أَبُـو جَهْـلٍ ويَزْعُمُـهُ

فَطَالَمَا بالَغُوا فِي السَّـبِّ أَوْ ثَلَمُـوا عِرْضاً وأَنْفُسَهُمْ واللّـهِ قَـدْ ظَلَمُـوا
لَوْ مَيَّزُوا قَدْرَهُمْ مِنْ قَـدْرِهِ سَـلِمُوا حالُ السُّهَا غَيْرُ حالِ الشَّمْسِ لَوْ عَلِمُوا
بَلْ أَهْلُ مَكَّةَ فِي طُغْيَانِهِمْ عَمَهُـوا

عُمْيُ الْبَصَائرِ عَنْ قَـدْرٍ وعَـنْ قَـدَرِ صُمُّ الْمَسَامِعِ عَـنْ تَقْـدِيرِ مُقْتَـدِرِ
فَمَنْ تَخَلَّفَ فِـي وِرْدٍ وفِـي صَـدَرِ فاصْدَعْ بِأَمْرِكَ يَا ابْنَ الشُّمِّ مِنْ مُضَـرِ
فَقَدْ بُعِثْتَ لأَنْفِ الشِّـرْكِ تُرْغِمُـهُ

مَنْ يَبْغِ شَأْوَكَ فِي قابِ الْكَمَالِ يَمِـنْ بحَظٍّ مُنْهَـزِمٍ يَكْبُـو وعَجْـزِ زَمِـنْ
لَكَ الشَّفَاعَةُ مَوْلاَكَ الْكَـرِيمُ ضَـمِنْ لَكَ الْجَمِيلُ مِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ ومِـنْ
كُلِّ اسْمِ جُودٍ عَظِيمُ الْجُودِ أَعْظَمُهُ

فَفِي الْبِدَايَةِ كُنْتَ السَّـيِّدَ الْحَكَمَـا وفِي النِّهَايَةِ حُزْتَ الْحُكَمِ والْحِكَمَـا
فَرَجِّـهِ ودَعِ الْكُهّـانَ والْحُكَمَـا يَا أَيُّهَا الآمِلُ الرّاجِـي لِيَهْنِـكَ مَـا
تَرْجُوهُ ذَا كَعْبَةُ الرّاجِي ومَوْسِـمُهُ

يَمِّمْ ضَـرِيحاً إِذَا مَـا قـامَ يَحْصُـرُهُ عـادٍ مَلاَئكَـةُ الـرَّحْمَنِ تَنْصُـرُهُ
رَوْضاً تَباهَتْ بِهِ فِي الـدَّهْرِ أَعْصُـرُهُ قَبْراً أُشَـاهِدُ نُـوراً حِـينَ تُبْصِـرُهُ
عَيْنِي وأَنْشَقُ مِسْكاً حِـينَ أَلْثَمُـهُ

خِضَمُّ جُـودٍ تَنَـاهَى فِـي عَزَازَتِـهِ فِيـهِ الأَمِـيرُ بَـرِيءٌ مِـنْ إِمَارَتِـهِ
مَنْ لِي ولَوْ بنَصِـيبٍ مِـنْ خِفَارَتِـهِ كَمِ اسْـتَنَبْتُ رِفَاقـاً فِـي زِيَارَتِـهِ
عَنِّي ومَا كُلُّ صَبِّ الْقَلْبِ مُغْرَمُـهُ

---

(١) مصيخ : مستمع ومجيب .

قَلْبي طَلِيقُ اللِّقَـا جِسْـمِي مُقَيَّـدُهُ فَلَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَفْدِيـهِ سَـيِّدُهُ ؟!
كَـمْ أَمَّـهُ زائـرٌ مِثْلـي يُؤَيِّـدُهُ وكَمْ يُصَـافِحُهُ مَـنْ لاَ يَـدِي يَـدُهُ
ولاَ فَمِي عِنْدَ تَقْبِيلِ الثَّـرَى فَمُـهُ

أَرَاهُ كالْبَدْرِ فِـي الْعَلْيَـاءِ أَرْصُـدُهُ قَـرِينَ بُعْـدٍ وبالآمَـالِ أَقْصِـدُهُ
مَنْ لِلْمُرِيدِ وقَدْ أَقْصَـاهُ مُرْشِـدُهُ ؟! مَتَى أُنَادِيـهِ مِـنْ قُـرْبٍ وأُنْشِـدُهُ
قَصِـيدَةً فِيـهِ أَمْلاَهَـا خُوَيْدِمُـهُ

حَدِيثَةُ السِّنِّ مَـا نِيطَـتْ تَمَائمُهَـا نَضِيرَةُ الْغُصْنِ قَدْ غَنَّـتْ حَمَائمُهَـا
راجَتْ حَوَاسِدُهَا جَـارَتْ لَوَائِمُهَـا مُهَاجِرِيَّـةٌ افْتَـرَّتْ كَمَائمُهَـا
عَنْ دُرِّ ثَغْرٍ لِسَانُ الْحَـالِ يَنْظِمُـهُ

عَذْرَاءُ مَنْذُورَةٌ فِـي خِدْمَـةِ الْحَـرَمِ عَسَى يَكُونُ بِهَـا صَـفْحٌ لِمُجْتَـرِمِ
ويَبْلُغُ الْقَصْدَ قَبْـلَ الْفَـوْتِ بِـالْهَرَمِ كَمْ يَأْمَلُ الرَّوْضَةَ الْغَـرَّاءَ ذُو كَـرَمِ
يَرْجُو الزِّيَارَةَ والأَقْـدَارُ تَحْرِمُـهُ

لَمَّا تَجَنَّى زَمَـانِي الـذَّنْبَ وافْـتَعَلاَ وابْيَضَّ مُسْوَدُّ شَعْرِ الرَّأْسِ واشْـتَعَلاَ
قَصَدْتُ مَنْ جَلَّ فِي سُـلْطَانِهِ وعَـلاَ مُسْتَعْدِياً بِحَبِيـبِ الزَّائـرِينَ عَلَـى
دَهْرٍ تَنَكَّـرَ بِالإِهْمَـالِ مُعْجِمُـهُ

هَلْ سامَ فَخْرَكَ إِنْسَانٌ ولاَ مَلَـكُ ؟! أَوْ رامَ قَدْرَكَ سُـلْطَانٌ ولاَ مَلِـكُ ؟!
فَـإِنْ أَلَـمَّ زَمَـانٌ خَطْبُـهُ حَلِـكُ فَقُمْ بِعَبْدِكَ يَا شَمْسَ الْكَمَـالِ وكُ[1]
حِمَاهُ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ مَرَّ مَطْعَمُـهُ

(١) كُ : فعل أمر مِن " كان " وحُذِفَت النون لِضرورة الشعر ، وقد وردت – أيضاً – في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ .

فَكَمْ سَقَاهُ الــرَّدَى أَقْــذَى مَشَــارِبِهِ مِنْ حَيْثُ ساقَ لَــهُ أَذْهَــى نَوَائِبِــهِ
فاجْعَــلْ زِيَارَتَــهُ أَبْهَــى مَنَاقِبِــهِ وادْعُ الإلَهَ إذَا ضَــاقَ الْخِنَــاقُ بِــهِ
مَا خابَ مَنْ أَنْتَ فِي الدّارَيْنِ مُكْرِمُهُ

أَرْجُــوكَ نُصْــرَةَ إعْــزَازٍ مُــؤَزَّرَةً عَلَى هَوَى النَّفْسِ إذْ كانَــتْ مُعَــذَّرَةً
وقَدْ تَوَالَتْ جُيُــوشُ الْهَــمِّ مُنْــذِرَةً يَا سَــيِّدَ العَــرَبِ الْعُرَبَــاءِ مَعْــذِرَةً
لِنَادِمِ الْقَلْــبِ لاَ يُغْنِــي تَنَدُّمُــهُ

إلَى حِمَــاكَ ضَــعِيفاً أَمْــرُهُ وَكَــلاَ وكَمْ مَلِيكٍ حَمَى بالْجَاهِ رَعِــيَّ كَــلاَ
أَصْبَحْتُ كَلاًّ عَلَى نُعْمَاكَ بَــلْ ثَكِــلاَ أَثْقَلْتُ ظَهْــرِي بِــأَوْزَارٍ وجِئْتُــكَ لاَ
قَلْبٌ سَــلِيمٌ ولاَ شَــيْءٌ أُقَدِّمُــهُ

سَلَكْتُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا سُــلُوكَ غَبِــي ومَا غَدَوْتُ مِنَ الأُخْرَى عَلَى رَهَــبِ
لَكِنْ تَعَلَّقْتُ فِي أَذْيَــالِ خَيْــرِ نَبِــي يَا صاحِبَ الْوَحْيِ والتَّنْزِيلِ لُطْفَكَ بِي
لاَ زِلْتَ تَعْفُو عَنِ الْجَانِي وتُكْرِمُــهُ

رِفَاعَةُ يَشْتَكِي مِنْ عُصْــبَةٍ سَــخِرَتْ لَمَّا رَأَتْ أَبْحُرَ الْعِرْفَانِ قَدْ زَخَــرَتْ[1]
فارْفَعْ ظُلاَمَةَ نَفْسٍ عَــدْلَكَ ادَّخَــرَتْ وهَاكَ جَوْهَرَ أَبْيَاتٍ بِــكَ افْتَخَــرَتْ
جاءَتْ إلَيْكَ بِخَطِّ الذَّنْبِ تَرْقُمُــهُ

قَبُولُ تَخْمِيسِهَا فَضْــلٌ عَلَيْــهِ ومَــنّ لأَنَّهُ زَمِــنٌ قاسَــى ظُــرُوفَ زَمَــنْ
تَلاَ مُؤَلِّفُهَا يَرْجُــو الْخَــلاَصَ ثَمَــنْ فانْهَضْ بِقَائِلِهَا عَبْــدِ الــرَّحِيمِ ومَــنْ
يَلِيهِ إنْ هَمَّ صَرْفُ الدَّهْرِ يَهْزِمُــهُ

فاكْشِفْ بِحَقِّكَ عِنْدَ الْيَــوْمِ مَظْلَمَــةً مِنَ الْهُمُومِ غَــدَتْ كاللَّيْــلِ مُظْلِمَــةً
وانْظُرْ إلَيْهِ بِعَــيْنِ الْفَضْــلِ مَكْرُمَــةً واجْعَلْهُ مِنْكَ بِرَأْيِ الْعَــيْنِ مَرْحَمَــةً
إذَا أَلَمَّ بِــهِ مَــنْ لَــيْسَ يَرْحَمُــهُ

---

(١) زخرت : امتلأت بكل نفيس وكريم .

وارْحَمْ غَرِيباً بَعِيدَ الدّارِ غائبَهُ وإنْ دَعَا فَأَجِبْهُ واحْمِ جانِبَهُ
فَصِلْ رَغَائِبَهُ وافْصِلْ غَرَائِبَهُ حَبْلُ النَّوَى حَمَلَ الأَثْقَالَ غارِبُهُ
يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظُمُهُ

أَسِيرُ بَيْنٍ قَلِيلُ الصَّبْرِ قاصِرُهُ وعَصْرُهُ بِفِرَاقِ الأَهْلِ عاصِرُهُ
وأَنْتَ ذُو كَرَمٍ لاَ شَيْءَ حاصِرُهُ فَكُلُّ مَنْ أَنْتَ فِي الدّارَيْنِ ناصِرُهُ
لَمْ تَسْتَطِعْ مِحَنُ الدّارَيْنِ تَهْضِمُهُ

وهَذِهِ حاجَةُ الْمَلْهُوفِ مُجْمَلُهَا وأَنْتَ أَعْلَمُ والْمَوْلَى يُجَمِّلُهَا
وتَنْتَهِي وقَرِيبُ الْعَفْوِ يَشْمَلُهَا عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَكْمَلُهَا
يَا ماجِداً عَمَّتِ الدّارَيْنِ أَنْعُمُهُ

يَسْقِي الْبَرَايَا جَمِيعاً رِيُّ عارِضِهَا إِنْساً وجِنّاً ووَحْشاً فِي مَرَابِضِهَا
تَشْفِي الْخَلاَئِقَ طُرّاً مِنْ تَمَارُضِهَا يُبْدِي عَبِيراً ومِسْكاً مَسْكُ عارِضِهَا
ويَبْدَأُ الذِّكْرَ ذِكْرَاهَا ويَخْتِمُهُ

وهَا تَحِيَّةُ رَبِّي أَكْرَمِ الْكُرَمَا تَنْحُو ضَرِيحَكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى كَرَمَا
سَوَاطِعُ النُّورِ مِنْهَا تَمْلأُ الْحَرَمَا مَا رَنَّحَ الرِّيحُ أَغْصَانَ الأَرَاكِ ومَا
جابَتْ عَلَى أَبْرُقِ الْحَنّانِ حَوَّمُهُ

تَحِيَّةٌ بِصِلاَتِ الْبِرِّ عائِدَةً بِالْخَيْرِ مُوصِلَةً لِلرُّشْدِ قائِدَةً
تُثْنِي عَلَيْكَ ولَيْسَتْ عَنْكَ حائِدَةً وتَنْثَنِي فَتَعُمُّ الآلَ جائِدَةً
بِكُلِّ عارِضِ فَضْلٍ جادَ مُسْجِمُهُ

رِفَاعَةُ خَمَّسَ الْمَنْظُومَ مُرْتَجِلاَ قَرِيضُهُ وهْوَ بِالْخُرْطُومِ قَدْ وَجِلاَ
قالَتْ هَوَاتِفُهُ بِاللَّهِ كُنْ رَجُلاَ فَإِنَّ جَدَّكَ طَهَ لِلْخُطُوبِ جَلاَ
فَأَمْرُ جَدِّكَ هَذَا الْحَدُّ يَحْسِمُهُ

مَاذَا الْعَنَاءُ وأَهْلُ الْبَيْتِ قَــدْ كَفَلُــوا عَوْداً جَمِيلاً ومَا عَنْ وَعْدِهِمْ غَفَلُوا ؟!
لاَ تَعْنَ بِالْغَيْرِ جَدُّوا السَّيْرَ أَوْ قَفَلُــوا هُمْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ لِلْكَيْدِ واحْتَفَلُــوا
والأَمْرُ لِلَّهِ مَــا يُرْضِــيهِ يُحْكِمُــهُ

قصيدة البردة لِلبوصيري

* تعريف بالشاعر :

هو الشيخ العالِم العامل محمد بن سعيد بن حماد بن عبد اللّه الصنهاجي البوصيري ، المصري العربي ، وُلِد ببهتيم ، وتُوُفّي في الإسكندرية .

وقصيدة بردة المديح لِلبوصيري – في حدود علمي المتواضع – ثاني قصيدة اشتهرت بمدح الرسول ﷺ ، وذلك بعد قصيدة كعب بن زهير ﵁ التي مطلعها : بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ

وقد أتى بعدهما ما لا حصرَ له مِن قصائد المديح ، وما زال المبدعون مِن الشعراء يتبارون في مدح الرسول ﷺ ، ومَهْمَا مدح المادحون فإنهم مقصِّرون في وصفه وصفاته ؛ لأن اللّه مدحه في القرآن الكريم فقال ﷻ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ، وكذلك أقسم بعمره ، وهذا أعظم تشريف وتكريم لِسيدنا محمد ﷺ ، فمهما مدحه المادحون لن يصلوا إلى غاية المراد مِن ذلك ؛ لأن كمالاته ﷺ لا تُحْصَى وسجاياه لا تُسْتَقْصَى .

وقد كان الناظم – الإمام البوصيري ؒ – مريضاً بمرض الفالج ، ورأى النَّبيَّ ﷺ في منامه مسح بيده الشريفة عليه ولفّه في بردته فبرئ لِساعته ، وكان قد نظم هذه القصيدةَ يستشفع بها إلى اللّه تعالى لِيبرأ مِن مرضه فكان ما كان مِن مسح النبي ﷺ بيده الكريمة عليه وشفائه .

والقصيدة عبارة عن مائة واثنين وستين بيتاً ، منها عشرة في المطلع (الغزل كعادة الشعراء الأقدمين) ، وستة عشر في النفس وهواها ، وثلاثون في مدح الرسول ﷺ ، وتسعة عشر في مولده ، وعشرة فيما دعا به ، وعشرة في مدح القرآن ، وثلاثة في ذكر المعراج ، واثنان وعشرون في جهاده ﷺ ، وأربعة عشر في الاستغفار ، وبقيّتها في المناجاة .

وإلى القصيدة وأخواتها : المضرية والمحمدية ..

قصيدة البردة

أمِنْ تَـذَكُّرِ جِـيرَانٍ بِـذِي سَـلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ[١]

أَمْ هَبَّتِ الـرِّيحُ مِـنْ تِلْقَاءِكَاظِمَـةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ[٢]

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْـتَ اكْفُفَـا هَمَتَـا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْـتَفِقْ يَهِـمِ[٣]

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُـبَّ مُنْكَـتِمٌ مَا بَيْنَ مُنْسَـجِمٍ مِنْـهُ وَمُضْـطَرِمِ[٤]

لَوْلاَ الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَـلٍ وَلاَ أَرِقْتَ لِـذِكْرِ الْبَـانِ وَالْعَلَـمِ[٥]

ولاَ أَعَارَتْكَ لَـوْنَيْ عَبْـرَةٍ وضَـنىً ذِكْرَى الْخِيَامِ وذِكْرَى ساكِنِي الْخِيَمِ

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّـاً بَعْـدَمَا شَـهِدَتْ بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الـدَّمْعِ وَالسَّـقَمِ[٦]

وَأَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطَّـيْ عَبْـرَةٍ وَضَـنىً مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَـدَّيْكَ وَالْعَـنَمِ[٧]

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْـوَى فَـأَرَّقَنِي وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّـذَّاتِ بِـالأَلَمِ[٨]

يَا لاَئِمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيِّ مَعْـذِرَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَـفْتَ لَـمْ تَلُـمِ

عَـدَتْكَ حَـالِي لاَ سِـرِّي بِمُسْـتَتِرٍ عَنِ الْوُشَاةِ وَلاَ دَائِـي بِمُنْحَسِـمِ[٩]

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْـمَعُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَـمَمِ[١٠]

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَـذَلٍ وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَـنِ الـتُّهَمِ

---

(١) ذِي سَلَم : مكان بالحجاز بَيْن مَكَّة والمدينة – مُقْلَة : سواد العين وبياضها .

(٢) تِلْقَاء : موضع – كاظِمَة : مَوْضِع بالمدينة – أَوْمَض : لمع وبرق – إِضَم : الوادي الذي فيه المدينة الْمُنَوَّرَة وملحقاها من القرى والآثار المقدسة .

(٣) هَمَتَا : سالَتَا – اسْتَفِقْ : انْتَبِهْ مما أنت فيه – يَهِم : يَزْدَاد عِشْقاً وهياماً .

(٤) الصَّبّ : العاشق – مُنسَجِم : دمه يسيل – مُضْطَرِم : مشتعل .

(٥) الْبَان : شَجَر بالحجاز – الْعَلَم : جَبَل .

(٦) عُدُول : شُهُود صِدْق .

(٧) الْوَجْد : الحزن بسبب الْحُبّ – عَبْرَة : بكاء – ضَنى : هُزَال وضَعْف .

(٨) الأرق : الحرمان من النَّوْم .

(٩) عَدَتْكَ : بَلَغَتْك – الْوُشَاة : الْمُفْسدين بَيْن النّاس – بِمُنْحَسِم : بِمُنْتَهٍ .

(١٠) مَحَّضْتَنِي : أَخْلَصْتَ لِي في النصح – الْعُذَّال : اللاّئمين – فِي صَمَم : لا يَسْمَع .

فَإِنَّ أَمَّـارَتِي بِالسُّـوءِ مَـا اتَّعَظَـتْ   مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّـيْبِ وَالْهَـرَمِ[١]
وَلاَ أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيـلِ قِـرَى   ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْـرَ مُحْتَشِـمِ[٢]
لَوْ كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنِّـي مَـا أُوَقِّـرُهُ   كَتَمْتُ سِرّاً بَدَا لِي مِنْـهُ بِـالْكَتَمِ[٣]
مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَـاحٍ مِـنْ غِوَايَتِهَـا   كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْـلِ بِـاللُّجُمِ[٤]
فَلاَ تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْـرَ شَـهْوَتِهَا   إِنَّ الطَّعَـامَ يُقَـوِّي شَـهْوَةَ الـنَّهِمِ
وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَـى   حُبِّ الرَّضَـاعِ وَإِنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِمِ
فَاصْرِفْ هَوَاهَـا وَحَـاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـهُ   إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِـمِ[٥]
وَرَاعِهَا وَهْيَ فِـي الأَعْمَـالِ سَـائِمَةٌ   وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلاَ تُسِمِ[٦]
كَمْ حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قَاتِلَـةً   مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ[٧]
وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ   فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَـرٌّ مِـنَ الـتُّخَمِ[٨]
وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْـتَلأَتْ   مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَـةَ النَّـدَمِ[٩]
وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِـهِمَا   وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَـاتَّهِمِ[١٠]
وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْـماً وَلاَ حَكَمـاً   فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ[١١]
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِـنْ قَـوْلٍ بِـلاَ عَمَـلٍ   لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِـذِي عُقُـمِ[١٢]

---

(١) أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ : هي النفس – الْهَرَم : الْكِبَر .
(٢) قِرَى الضيف : إكرامه – غير مُحْتَشِم : غير مستحيي .
(٣) الْكَتَم : نبت يُخلط بالحناء .
(٤) مَن لي : مَن يتكفل لي – الْجِمَاح : القوة والغلبة – اللُّجُم : جَمْع " لِجَام " .
(٥) فاصرف هواها : أبعد هواها – توليه : تطيعه – يُصْمِ : يقتل – يَصِم : يفضح .
(٦) راعها : راقبها – سائمة : مشتغلة – فلا تسم : فلا تبقها فيه .
(٧) كم : أي كثيراً مِن المرّات .
(٨) مَخْمَصَة : جُوع – التُّخَم : شِدَّة الشِّبَع .
(٩) حِمْيَةَ النَّدَم : الزم حماية النَّدَم لك مِن المحارم .
(١٠) مَحَّضَاك : أَظْهَرَا لك الإخلاص .
(١١) كيد الخصم والحكم : لا تطع النفس أو الشيطان .
(١٢) لِذِي عِقَم : مَن لا ينجب .

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ ... وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً ... وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ
ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلاَمَ إِلَى ... أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ
وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى ... تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَمِ[١]
وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ... عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ[٢]
وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ ... إِنَّ الضَّرُورَةَ لاَ تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ[٣]
وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ ... لَوْلاَهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنْ ... وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ[٤]
نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَدٌ ... أَبَرَّ فِي قَوْلِ لاَ مِنْهُ وَلاَ نَعَمِ[٥]
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ... لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ[٦]
دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ ... مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ[٧]
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ[٨]
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمُ ... مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ
فَهْوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ... ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ[٩]

---

(١) السغب : شدة الجوع – الكشح : الخاصرة – المترف : الناعم مِن الترف – الأدم : الجلد .
(٢) رَاوَدَتْه : طالبته – الشُّمّ : العالِيَة – شَمَم : المعنى أنه أعرض عنها إعراضاً شديداً .
(٣) الْعِصَم : الْبُعْد عَن الخطأ .
(٤) الثَّقَلَيْن : الإنْس والجِنّ .
(٥) أَبَرّ : أَصْدَق – قول لا منه ولا نعم : أي الأمر والنهي .
(٦) هَوْل : شِدَّة – مُقْتَحم : مُفَاجِئ ، دخل فجأةً أو جاء فجأةً .
(٧) مُنْفَصِم : مُنْقَطِع .
(٨) غرْفاً : أخذاً كثِيراً باليَدَيْن – رَشْفاً : مَصّاً – الدِّيَم : المطر الدائم .
(٩) تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُه : قد خلقه اللّه مكتمِلَ الْخَلْق والْخُلُق ، أي مكتمِل الصفات الباطنية والظاهرية .

مُنَزَّهٌ عَــنْ شَــرِيكٍ فِــي مَحَاسِــنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْــرُ مُنْقَسِــمِ(١)

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَــارَى فِــي نَبِــيِّهِمُ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ(٢)

وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَــرَفٍ وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَــمِ

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُــولِ اللَّــهِ لَــيْسَ لَــهُ حَدٌّ فَيُعْــرِبَ عَنْــهُ نَــاطِقٌ بِفَــمِ(٣)

لَــوْ نَاسَــبَتْ قَــدْرَهُ آيَاتُــهُ عِظَمــاً أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ(٤)

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَــا تَعْيَــا الْعُقُــولُ بِــهِ حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَــمْ نَهِــمِ(٥)

أَعْيَا الْوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَــيْسَ يُــرَى فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُــنْفَحِمِ(٦)

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَــيْنِ مِــنْ بُعُــدٍ صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّــرْفَ مِــنْ أَمَــمِ(٧)

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِــي الــدُّنْيَا حَقِيقَتَــهُ قَوْمٌ نِيَــامٌ تَسَــلَّوْا عَنْــهُ بِــالْحُلُمِ(٨)

فَمَبْلَــغُ الْعِلْــمِ فِيــهِ أَنَّــهُ بَشَــرٌ وَأَنَّهُ خَيْــرُ خَلْــقِ اللَّــهِ كُلِّهِــمِ(٩)

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْــلُ الْكِــرَامُ بِهَــا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِــنْ نُــورِهِ بِهِــمِ(١٠)

---

(١) محاسن النبي ﷺ لا توجد في الأنبياء أو الرسل ، وإذا وُجِدَتْ فهي مثل نقطة في كتاب أو شكلة فيه .

(٢) هذا البيت تعقيب على البيت الذي قبله ؛ فقد يتوهم البعض أنه في قوله (مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ) اشتراكه مع اللّه في بعض صفاته ﷺ ، ولذلك دفع بهذا البيت لِمحو الفكرة السابقة في البيت ، وفي هذا البيت إشارة لِقول النبي ﷺ ﴿وَلَكِنْ قُولُوا : عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُه﴾ .

(٣) فَيُعْرِب : فَيُعَبِّر عن فَضْلِه ﷺ .

(٤) الرِّمَم : العظام البالية .

(٥) العقول : جمع " عقل " ، وهو ما يميز المصالح والمفاسد – فَلَمْ نَرْتَبْ : فَلَمْ نَشُكّ – وَلَمْ نَهِم : وَلَمْ نَتَحَيَّرْ .

(٦) الْوَرَى : الْخَلْق – الإعياء : الإعجاز – منفحم : عاجز .

(٧) أَمَم : قُرْب .

(٨) قوم نيام : قوم غافلون – بالحلم : بالمنام .

(٩) فَمَبْلَغ : فَمُنْتَهَى .

(١٠) آي : معجزة .

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ [١]

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ... بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ [٢]

كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرَفٍ ... وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ [٣]

كَأَنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جَلاَلَتِهِ ... فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ [٤]

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ ... مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ [٥]

لاَ طِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ ... طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ [٦]

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ ... يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ [٧]

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمُ ... قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ [٨]

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ ... كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ [٩]

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ ... عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ [١٠]

وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا ... وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي [١١]

---

(١) أي أن شريعة الرسول ﷺ نسخت ما قبلها مِن الشرائع .

(٢) البِشْر : طلق الوجه بشوش .

(٣) البدر : القمر ليلةَ كماله – همم : الإرادة .

(٤) حَشَم : خدَم .

(٥) اللُّؤْلُؤ الْمَكْنُون : الجوهر المصون – صدف : محار .

(٦) طوبى : هنيئاً – لِمنتشق : لِشامِّه – مُلْتَثِم : مُقَبِّل .

(٧) عُنْصُره : أصْله – مفتتح : مِن فوق سيدنا آدم عليه السلام – مختتم : اختتامه بسيدنا عبد الله .

(٨) تَفَرَّس : مِن الفراسة ، أي أهم توقعوا ما يحلّ هم – النقم : العقوبة .

(٩) غَيْر مُلْتَئِم : غير مُجْتَمِع .

(١٠) خَامِدَة الأَنْفَاس : انطفاء لهبها مع بقاء جمرها – ساهِي : بطيء جري المياه فيه من الحزن .

(١١) ساء : آلَم وأَحْزَن – ساوَة : مدينة مِن مدن الفُرْس – غاضَتْ : جَفَّتْ – ورُدّ وارِدُهَا : رَجَع قاصِدُهَا .

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْناً وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ[(١)]

وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً وَمِنْ كَلِمِ

عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلاَنُ الْبَشَائِرِ لَمْ تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ[(٢)]

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ[(٣)]

وَبَعْدَمَا عَايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ[(٤)]

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

كَأَنَّهُمْ هَرَباً أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي[(٥)]

نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ[(٦)]

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَةً تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلاَ قَدَمِ[(٧)]

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِاللَّقَمِ[(٨)]

مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي[(٩)]

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ[(١٠)]

---

(١) ضَرَم : اشْتِعَال ، فكأن نار فارس وماء ساوة انتقل الحزن لِكليهما .

(٢) عَمُوا وصَمُّوا : لم يبصر الكفار ولم يسمعوا ولم يروا علامة الإنذار – لَمْ تُشَم : لَمْ تُرَ .

(٣) أيْ لن تقوم لهم قائمة بعد اليوم .

(٤) شُهُب : شعلة من نار كانت تسقط على الأصنام والشياطين ، حتى إن الشياطين هربت بعضهم إثر البعض .

(٥) أَبْرَهَة : قائِد أصحاب الفِيل الذين أرادوا هَدْم الْكَعْبَة .

(٦) نَبْذاً به : إلقاءً به – الْمُسَبِّح : سَيِّدنا يُونُس عليه السلام – أَحْشَاء : بَطْن – مُلْتَقِم : الْحُوت .

(٧) ساجدةً : خاضعةً .

(٨) باللَّقَم : وسط الطَّريق .

(٩) أَنَّى سار : في أيّ مَكَان سار – وَطِيس : فُرْن ، ويراد به شِدَّة الْحَرَارَة – الْهَجِير : وَقْت الظَّهِيرَة إذا كان حارّاً – حَمِي : زادَتْ حَرَارَتُه .

(١٠) الْمُنْشَق : الذي انْشَقّ مُعْجِزَةً لِلرَّسُول ﷺ – مبرورة القسم : صادق القسم .

وَمَا حوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِـــنْ كَــرَمٍ وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِـــي (١)

فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَـــا وَهُمْ يَقُولُونَ مَـــا بِالْغَـــارِ مِـــنْ أَرِمِ (٢)

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَـــى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنسُجْ وَلَـــمْ تَحُـــمِ (٣)

وِقَايَةُ اللَّـــهِ أَغْنَـــتْ عَـــنْ مُضَـــاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُـــمِ (٤)

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِـــهِ إِلاَّ وَنِلْتُ جِوَاراً مِنْـــهُ لَـــمْ يُضَـــمِ (٥)

وَلاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِـــنْ يَـــدِهِ إِلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ (٦)

لاَ تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِـــنْ رُؤْيَـــاهُ إِنَّ لَـــهُ قَلْباً إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَـــانِ لَـــمْ يَـــنَمِ (٧)

وَذَاكَ حِـــينَ بُلُـــوغٍ مِـــنْ نُبُوَّتِـــهِ فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيـــهِ حَـــالُ مُحْـــتَلِمِ (٨)

تَبَارَكَ اللَّـــهُ مَـــا وَحْـــيٌ بِمُكْتَسَـــبٍ وَلاَ نَبِـــيٌّ عَلَـــى غَيْـــبٍ بِمُـــتَّهَمِ (٩)

كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِـــباً بِـــاللَّمْسِ رَاحَتُـــهُ وَأَطْلَقَتْ أَرِباً مِـــنْ رِبْقَـــةِ اللَّمَـــمِ (١٠)

وَأَحْيَـــتِ السَّـــنَةَ الشَّـــهْبَاءَ دَعْوَتُـــهُ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ (١١)

---

(١) مِن خير : سيدنا محمد ﷺ – ومِن كرم : سيدنا أبو بكر رضي الله عنه – طَرْف : عَيْن – عَنْهُ عَمِي : لَمْ يُبْصِرْه .

(٢) فالصِّدْق : سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ – الصِّدِّيق : سَيِّدنا أبو بَكْر رضي الله عنه – لَمْ يَرِمَا : لَمْ يَتْرُكَا الغار – أرِم : أحَد ، وذلك لِرؤيتهم الحمامتين على فم الغار .

(٣) الْبَرِيَّة : الْخَلْق – وَلَمْ تَحُم : ولَمْ تستقرّ .

(٤) وِقَايَةُ اللّه : عناية اللّه – الأُطُم : الْحُصُون .

(٥) مَا سامَنِي الدَّهْر : ما ظلمني الدَّهْر – لَمْ يُضَم : لَمْ يُحتقر .

(٦) الدَّارَيْن : الدُّنْيَا والآخِرَة – النَّدَى : الْكَرَم – خَيْرِ مُسْتَلَم : مَن يعطي .

(٧) رُؤْيَاه : الرؤيا الصالحة هي بداية الوحي .

(٨) بُلُوغ : وصول – مُحْتَلِم : نائم .

(٩) تَبَارَك : تنزّه – بِمُكْتَسَب : حصوله بأسباب دنيوية – بِمُتَّهَم : ولا نَبيّ يكذب على الغيب .

(١٠) كَمْ : كثيراً مِن المرّات – وَصِباً : مَرِيضاً – أَرِباً : ذا حاجة – رِبْقَة اللَّمَم : عقدة الجنون أو الذنوب والمعاصي .

(١١) وأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاء : أخصبت السنة الشهباء – الدُّهُم : الوادي المتسع الذي فيه دقائق الحصى .

بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتُ الْبِطَـاحَ بِهَـا سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِـنَ الْعَـرِمِ[١]

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَـاتٍ لَـهُ ظَهَـرَتْ ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلاً عَلَـى عَلَـمِ[٢]

فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْـناً وَهْـوَ مُنْـتَظِمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَـدْراً غَيْـرَ مُنْـتَظِمِ[٣]

فَمَا تَطَـاوُلُ آمَـالِ الْمَـدِيحِ إِلَـى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ وَالشِّـيَمِ[٤]

آيَاتُ حَقٍّ مِـنَ الـرَّحْمَنِ مُحْدَثَـةٌ قَدِيمَةٌ صِـفَةُ الْمَوْصُـوفِ بِالْقِـدَمِ[٥]

لَمْ تَقْتَـرِنْ بِزَمَـانٍ وَهْـيَ تُخْبِرُنَـا عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَـادٍ وَعَـنْ إِرَمِ[٦]

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَـتْ كُـلَّ مُعْجِـزَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَـاءَتْ وَلَـمْ تَـدُمِ[٧]

مُحَكَّمَاتٌ فَمَـا تُـبْقِينَ مِـنْ شُـبَهٍ لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِـنْ حَكَـمِ[٨]

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَادَ مِـنْ حَـرَبٍ أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّـلَمِ[٩]

رَدَّتْ بَلاَغَتُهَـا دَعْـوَى مُعَارِضِـهَا رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحُـرَمِ[١٠]

---

(١) سنة الرسول ﷺ كثر خصبها وكأنها غرة (أجمل كل شيء) في هذا العصر – سَيْبٌ مِنَ الْيَمّ : ماء جارٍ مِنَ الْبَحْرِ – الْعَرِم : اسم لِمَا يمسك الماء مِن سوء أو غيره ، وهو اسم لِوادٍ أيضاً .

(٢) عَلَى عَلَم : على جَبَل .

(٣) فالدُّرّ : اللؤلؤ قدره في ذاته وليس في انتظامه أو عدم انتظامه .

(٤) تَطَاوُل : دع وصفي – الشِّيَم : الأخلاق العظيمة والكريمة .

(٥) آيَاتُ حَقّ : القُرْآن – مُحْدَثَة : أي أحدثها اللّه تعالى كما جاء في القرآن .

(٦) عَنِ الْمَعَاد : عَوْد الْخَلْق بَعْد العدم ، أي أن هذه الآيات تخبرنا بما سيأتي مِن عَوْد الْخَلْق يَوْم الْقِيَامَة وبما مضى عن عاد وإرم .

(٧) معجزة القرآن دائمة ، غير معجزات مَن سبق مِن الرسل والأنبياء .

(٨) مُحَكَّمَات : متقَنات في بلاغتها ونظمها وفصاحتها – وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَم : لا تحتاج إلى حكم ؛ نظراً لِوضوحها .

(٩) ما حورب النبي ﷺ إلا كانت له الغلبة ورجع أشدّ الأعادي مُلْقِيَ السلاح .

(١٠) فبلاغة القرآن تردّ أي إنسان يدَّعي معارضته كما يردّ الغيور على نسائه الذي يَدْهَم بسوء .

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْــرِ فِــي مَــدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِــيَمِ[١]

فَمَــا تُعَــدُّ وَلاَ تُحْصَــى عَجَائِبُهَــا وَلاَ تُسَامُ عَلَــى الإِكْثَــارِ بِالسَّــأَمِ[٢]

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَــا فَقُلْــتُ لَــهُ لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللَّــهِ فَاعْتَصِــمِ[٣]

إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَــرِّ نَــارِ لَظَــى أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّــبِمِ[٤]

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْــيَضُّ الْوُجُــوهُ بِــهِ مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَــاءُوهُ كَــالْحُمَمِ[٥]

وَكَالصِّــرَاطِ وَكَــالْمِيزَانِ مَعْدَلَــةً فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ[٦]

لاَ تَعْجَــبَنْ لِحَسُــودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَــا تَجَاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ الْحَــاذِقِ الْفَهِــمِ[٧]

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِــنْ سَــقَمِ[٨]

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّــمَ الْعَــافُونَ سَــاحَتَهُ سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُــقِ الرُّسُــمِ[٩]

وَمَنْ هُــوَ الآيَــةُ الْكُبْــرَى لِمُعْتَبِــرٍ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَــى لِمُغْتَــنِمِ[١٠]

---

(١) معاني القرآن لا نهايةَ لها مثل موج البحر ، ولها معانٍ بديعة أكثر مِن الجواهر التي تُستخرَج مِن البحر .

(٢) عَجَائِبُهَا : جمع " عجيبة " ، أي التي لا نظيرَ لها – بالسأم : لا يسأم مَن يقرأها أبداً مهما كثر ترديدها .

(٣) قَرَّتْ : اطْمَأَنَّتْ – ظَفِرْتَ : فُزْتَ – فَاعْتَصِم : فداوم على القراءة .

(٤) خِيفَةً : خَوْفاً – الشَّبِم : البارد .

(٥) الآيات وقراءتها تشفع لِصاحبها فيصبح وجهه مبيضّاً بعد أن اسودّ مِن الذنوب وتكون سبباً في سعادته .

(٦) هذه الآيات كالصراط استقامةً لا اعوجاجَ فيها .

(٧) تَجَاهُلاً : مُظْهِراً لِلجهل ، دعاه لِذلك الحسد .

(٨) سَقَم : مَرَض .

(٩) الْعَافُون : طُلاّب المعروف – سَعْياً : الإسراع في المشي – الأَيْنُق : جَمْع " ناقَة " ، وهي هنا جمع قلة – الرُّسُم : التي تؤثّر في الأرض مِن شدة الوطء عليها .

(١٠) لِمُعْتَبِر : لِمتأمِّل ومتفكّر والذي يأخذ العِبرة – النِّعْمَةُ الْعُظْمَى : السعادة الأبدية في الآخرة – لِمُغْتَنِم : الذي يريد الجائزة الكبرى ، وهي دخول الجنة .

سَرَيْتَ مِنْ حَـرَمٍ لَـيْلاً إلَـى حَـرَمٍ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ[١]

وَبتَّ تَرْقَـى إلَـى أنْ نلْـتَ مَنْزِلَـةً مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُـرَمِ[٢]

وَقَـدَّمَتْكَ جَمِيـعُ الأَنْبِيَـاءِ بِهَـا وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَـدَمِ[٣]

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَـاقَ بِهِـمْ فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ[٤]

حَتَّى إذَا لَمْ تَـدَعْ شَـأْواً لِمُسْـتَبِقٍ مِنَ الـدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقـىً لِمُسْـتَنِمِ[٥]

خَفَضْتَ كُـلَّ مَقَـامٍ بِالإضَـافَةِ إذْ نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَـمِ[٦]

كَيْمَـا تَفُـوزَ بِوَصْـلٍ أيِّ مُسْـتَتِرٍ عَـنِ الْعُيُـونِ وَسِـرٍّ أيِّ مُكْتَـتَمِ[٧]

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَـارٍ غَيْـرَ مُشْـتَرَكٍ وَجُزْتَ كُلَّ مَقَـامٍ غَيْـرَ مُـزْدَحَمِ[٨]

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيـتَ مِـنْ رُتَـبٍ وَعَزَّ إدْرَاكُ مَا أُولِيـتَ مِـنْ نِعَـمِ[٩]

بُشْرَى لَنَا مَعْشَـرَ الإسْـلاَمِ إنَّ لَنَـا مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنـاً غَيْـرَ مُنْهَـدِمِ[١٠]

---

(١) سَرَيْتَ : سِرْتَ لَيْلاً – مِنْ حَرَم : الحرم المكي – إلَى حَرَم : حرم بيت المقدس – دَاجٍ مِنَ الظُّلَم : دجى الليل أيْ أظلم ، وداجٍ : أيْ مظلم .

(٢) تَرْقَى : تَصْعَد – مِنْ قاب قَوْسَيْن : مِن القرب الشديد – لَمْ تُدْرَكْ : لَمْ يدركها غيرك مِن الأنبياء أو الرسل أو غيرهم – وَلَمْ تُرَم : رام الشيء : طلبه .

(٣) بهَا : بتلك المنزلة – تَقْدِيمَ مَخْدُوم : لِلتشبيه فقط .

(٤) وأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاق : وأنت تقطع السماوات السبع – صاحِبُ الْعَلَم : صاحب المقدمة ، فأنت المقدَّم على جميع الرسل والأنبياء في هذه الرحلة المباركة .

(٥) لِمُسْتَبق : ساعٍ لِسبق – لِمُسْتَنِم : لِطالِب رِفْعَة .

(٦) خَفَضْتَ كُلَّ مَقَام : مقامك مرتفع على كل مخلوق ، لذا دعاك ربك لِلمعراج إلى السماوات العلا .

(٧) هذا تفسير الآية ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ ، وتفسيرها : أن اللّه سبحانه عَلَّم سيدنا محمداً ﷺ علماً لم يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبيّ مرسَل .

(٨) فَحُزْتَ : جَمَعْتَ – فَخَار : ما يُفْتَخَر به مِن الفضائل والشيم – غَيْرَ مُزْدَحَم : لم يصل إليها أحد غيرك .

(٩) وجَلَّ : وعَظُم – وعَزّ : وصعب – مَا أُولِيتَ : ما أُعْطِيتَ .

(١٠) مَعْشَرَ الإسْلاَم : مَعْشَرَ أَهْل الإسْلاَم – الْعِنَايَة : عِنَايَة اللّه – غَيْرَ مُنْهَدِم : لا يزول أبداً .

لَمَّـا دَعَـا اللَّـهُ دَاعِينَـا لِطَاعَتِـهِ بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّـا أَكْـرَمَ الأُمَـمِ[١]

رَاعَتْ قُلُـوبَ الْعِـدَا أَنْبَـاءُ بَعْثَتِـهِ كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْـلاً مِـنَ الْغَـنَمِ[٢]

مَا زَالَ يَلْقَـاهُمُ فِـي كُـلِّ مُعْتَـرَكٍ حَتَّى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْماً عَلَى وَضَـمِ[٣]

وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَـادُوا يَغْبِطُـونَ بِـهِ أَشْلاَءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالـرَّخَمِ[٤]

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلاَ يَـدْرُونَ عِـدَّتَهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ[٥]

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَـلَّ سَـاحَتَهُمْ بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْـمِ الْعِـدَا قَـرِمِ[٦]

يَجُرُّ بَحْـرَ خَمِـيسٍ فَـوْقَ سَـابِحَةٍ يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَـالِ مُلْـتَطِمِ[٧]

مِنْ كُـلِّ مُنْتَـدِبٍ لِلَّـهِ مُحْتَسِـبٍ يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْـطَلِمِ[٨]

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلاَمِ وَهْـيَ بِهِـمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُـولَةَ الـرَّحِمِ[٩]

---

(١) بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ : سيدنا محمد ﷺ – كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَم : كما جاء في القرآن الكريم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

(٢) رَاعَتْ : أَفْزَعَتْ – كَنَبْأَة : كزأرة أسد أو صَرْخَة قَوِيَّة – أَجْفَلَتْ : أخافت وفرَّقَت – غُفْلاً : لاشتغالها بأكلها وشهواتها .

(٣) مُعْتَرَك : الازدحام لِلحرب – بِالْقَنَا : بالرِّمَاح – وَضَم : الحديد الذي يُفرز فيه اللحم لِيُشوى ويؤكل .

(٤) وَدُّوا الْفِرَار : تَمَنَّوُا الْهَرَب – يَغْبِطُونَ به : يتمنونه – شالَتْ : ارْتَفَعَتْ – الْعِقْبَان : جَمْع " عُقَاب " ، وهو طائر جارح – الرَّخَم : طائر يُشْبه النِّسْر .

(٥) ولاَ يَدْرُونَ عِدَّتَهَا : ولا يَعرفون عددها – الأَشْهُرِ الْحُرُم : الْمُحَرَّم ورَجَب وذو الْقِعْدَة وذو الْحِجَّة .

(٦) بِكُلِّ قَرْم : مع كل شجاع – قَرِم : شديد الشهوة .

(٧) خَمِيس : جَيْش عظيم القوة ، وسُمِّي " خميس " لأنه مِن خمس قوائم : مقدمة ، وميمنة ، وميسرة ، وساقة ، وقلب – سابحَة : هي الْخَيْل سَرِيعَة ، كأنها تَسبح فوق موج مِن سرعتها – مُلْتَطِم : يتبع بعضه بعضاً .

(٨) مُنْتَدِب : مُسْتَجِيب لِدَعْوَة الجِهَاد – مُحْتَسِب : أَجْرُه عَلَى اللَّه – يَسْطُو : يصول ويهجم – بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْر : قاطع ومزيل لِلكفر – مُصْطَلِم : مُهْلِك لهم .

(٩) غَدَتْ : صارَتْ – وهْيَ بِهِمْ : أي بالصحابة – مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا : جاء الإسلام غريباً ، ثم أصبح له مريدون وصحابة كثيرون .

مَكْفُولَــةً أَبَــداً مِـــنْهُمْ بِخَيْـــرِ أَبٍ وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْــتَمْ وَلَــمْ تَــئِمِ[١]

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَـــنْهُمْ مُصَـــادِمَهُمْ مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُــلِّ مُصْــطَدَمِ[٢]

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَــلْ أُحُــداً فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الْوَخَمِ[٣]

الْمُصْدِرِي الْبِيضُ حُمْراً بَعْدَمَا وَرَدَتْ مِنَ الْعِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِــنَ اللِّمَــمِ[٤]

وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَــا تَرَكَــتْ أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُــنْعَجِمِ[٥]

إِنْ قَامَ فِي جَامِعِ الْهَيْجَــاءِ خَــاطِبُهُمْ تَصَامَمَتْ عَنْهُ أُذُناً صُــمُّهِ الصَّــمَمِ[٦]

شَاكِي السِّلاَحِ لَهُمْ سِــيمَا تُمَيِّــزُهُمْ وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا عَنِ السَّــلَمِ[٧]

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْــرِ نَشْــرَهُمْ فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي[٨]

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْــلِ نَبْــتُ رُبــاً مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لاَ مِنْ شِدَّةِ الْحُــزُمِ[٩]

---

(١) مَكْفُولَةً : مَحْفُوظَةً – مِنْهُمْ : مِنَ الْكُفَّار – بِخَيْرِ أَب : النبي ﷺ – وخَيْرِ بَعْل : الزوج الذي يقوم على زوجته خيرَ قيام – فَلَمْ تَيْتَمْ : اليتم مِن ناحية الأب – ولَمْ تَئِم : التي فقدت زوجها ، والتي لم تفقد أباها وزوجها في عز وكرم كبير .

(٢) هُمُ الْجبَال : كالجبال في الصبر والصلابة – مُصَادِمَهُمْ : اصطكاك الصفين – فِي كُلِّ مُصْطَدَم : في كل مَعْرَكَة أو لقاء حرب بينهم .

(٣) زمن غزوة حنين وكذا بدر وأُحُد أزمنة موت لهم – أَدْهَى مِنَ الْوَخَم : أَشَدّ عليهم مِن الوباء .

(٤) الْمُصْدِرِي الْبِيض : السيوف المصقولة – وَرَدَتْ : رجعت – كُلَّ مُسْوَدّ : يقصد الشباب أسود الشعر – مِنَ اللِّمَم : الشعر المجاور لِشحمة الأذن ، أي أن السيوف جاءت حمراً مِن قتل شباب الكفار .

(٥) والْكَاتِبِين : أي الطاعنين ، وهو تشبيه – الْخَطّ : الرماح ، أي أنّ الكفار اختفت أجسادهم مِن كثرة الطعن .

(٦) الْهَيْجَاء – الحرب ، أي أصبحت لا تسمع شيئاً مما يقال .

(٧) شاكِي : شاهِرين – سِيمَا : عَلاَمَة – بِالسِّيمَا : بالرّائحَة الطَّيِّبَة – السَّلَم : شَجَر لَيس له رائحَة .

(٨) أي ترسل إليك الرياح أخبارَ الانتصار – نَشْرَهُم : أي الخبر السار – الأَكْمَام : جمع " كم " ، وهو غلاف النَّوْر لا يتحرك ولا ينخلع .

(٩) الْحَزْم : القوة – الْحُزُم : جَمْع " حِزَام " ، وهو الرباط .

طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبُهَمِ [١]

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللّهِ نُصْرَتُهُ إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ [٢]

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ [٣]

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ [٤]

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللّهِ مِنْ جَدِلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ [٥]

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتُمِ [٦]

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالْخِدَمِ [٧]

إِذْ قَلَّدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ [٨]

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا حَصَلْتُ إِلاَّ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ [٩]

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ [١٠]

---

(١) طارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا : اضطَرَبَتْ قلوب الأعداء – فَرَقاً : فزعاً – الْبَهْم : أولاد الضأن – الْبُهَم : الشُّجْعَان .

(٢) آجَامِهَا : جمع " أجمة " ، وهي الغابات – تَجِم : تسكت ، والمعنى : ، مَنْ خاف اللّهَ وتبع سُنَّةَ نَبِيِّه ﷺ خافته الأسد في الغابات .

(٣) المؤمنون باللّه سبحانه دائماً لهم النصر ، ولعدوّهم الهزيمة .

(٤) أي حفظ أمته مِن نار جهنم ، والمعنى : رسول اللّه ﷺ في حرز مثلما الليث في حرز مع أشباله في الغابة .

(٥) كَمْ : كثيراً – جَدَّلَتْ : انتصرت – جَدِل : مجادِل – خَصَم : كثيراً ما أزال الدليلُ القاطعُ الخصومةَ الشديدة .

(٦) الأُمِّيّ : الذي لا يقرأ ولا يكتب .

(٧) خَدَمْتُه : كتبتُ هذا الشعر – أَسْتَقِيلُ به : لعل اللّه يمحو به ذنوبي .

(٨) أصبح في عنقي ذنوب كثيرة انسقتُ إليها كما تساق الأنعام (الإبل والبقر والغنم) ، وذلك بالقلادة في عنقها .

(٩) غَيَّ الصِّبَا : زمن الجهل والبطالة – فِي الْحَالَتَيْن : الشِّعْر والخِدَم

(١٠) ولَمْ تَسُم : لم يساومها أحد يأخذ الدين بدل الدنيا ، أو لم يبصرها أحد .

وَمَـــنْ يَبِـــعْ آجِـــلاً مِنْـــهُ بِعَاجِلِـــهِ   يَبِنْ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِـي سَـلَمِ[(١)]

إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْـدِي بِمُنْـتَقِضٍ   مِنَ النَّبِـيِّ وَلاَ حَبْلِـي بِمُنْصَـرِمِ[(٢)]

فَـإِنَّ لِـي ذِمَّـةً مِنْـهُ بِتَسْـمِيَتِي   مُحَمَّداً وَهْوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالـذِّمَمِ[(٣)]

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِـذاً بِيَـدِي   فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَـا زَلَّـةَ الْقَـدَمِ[(٤)]

حَاشَاهُ أَنْ يَحْـرِمَ الرَّاجِـي مَكَارِمَـهُ   أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْـرَ مُحْتَـرَمِ[(٥)]

وَمُنْـذُ أَلْزَمْـتُ أَفْكَـارِي مَدَائِحَـهُ   وَجَدْتُهُ لِخَلاَصِـي خَيْـرَ مُلْتَـزِمِ[(٦)]

وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْـهُ يَـداً تَرِبَـتْ   إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَـمِ[(٧)]

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِـي اقْتَطَفَـتْ   يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَـى عَلَـى هَـرِمِ[(٨)]

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُـوذُ بِـهِ   سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِـمِ[(٩)]

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُـكَ بِـي   إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّـى بِاسْـمِ مُنْـتَقِمِ[(١٠)]

فَإِنَّ مِـنْ جُـودِكَ الـدُّنْيَا وَضَـرَّتَهَا   وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَـمِ[(١١)]

---

(١) الْغَبْن : خسارته في البيع والشراء .

(٢) عَهْدِي : إيماني – بِمُنْصَرِم : بِمُنْقَطِع ، أي أن الذنب لا يلغي الإيمان ولا الصلة بيني وبين الرسول ﷺ .

(٣) أَوْفَى الْخَلْقِ بالذِّمَم : أشدّ الخلق وفاءً بالعهود .

(٤) مَعَادِي : عَوْدِي إلى اللّه – آخِذاً بِيَدِي : شافعاً لي فضلاً منه – يَا زَلَّةَ الْقَدَم : يا خسارتي الكبرى .

(٥) مَكَارِمَه : شفاعته – الْجَار : الْمُسْتَجِير به .

(٦) منذ ألزم نفسه بمديح رسول اللّه ﷺ لم يتخلّ عنه أبداً ؛ بدليل شفائه من الفالج الذي أصيب به .

(٧) تَرِبَتْ : التصقت بالتراب – الْحَيَا : المطر – الأَكَم : جمع " أكمة " ، وهي الربوة .

(٨) أي لا يريد المال أو غيره ، ولكنه يريد شفاعة الرسول ﷺ .

(٩) الْحَادِثِ الْعَمِم : هَوْل يَوْم الْقِيَامَة .

(١٠) جاهُك : قدرك ومنزلتك .

(١١) ضَرَّتَهَا : الآخِرَة ، مِن خير هداية الدنيا هداية الرسول ﷺ للناس ، وفي الآخرة هو شفاعته ﷺ .

يَا نَفْسُ لاَ تَقْنَطِي مِنْ زَلَّـةٍ عَظُمَـتْ ... إنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْـرَانِ كَـاللَّمَمِ[١]

لَعَلَّ رَحْمَـةَ رَبِّـي حِـينَ يَقْسِـمُهَا ... تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَـمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُـنْعَكِسٍ ... لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَـرِمِ[٢]

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الـدَّارَيْنِ إنَّ لَـهُ ... صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْـوَالُ يَنْهَـزِمِ[٣]

وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَـلاَةٍ مِنْـكَ دَائِمَـةٍ ... عَلَـى النَّبِـيِّ بِمُنْهَـلٍّ وَمُنْسَـجِمِ[٤]

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيـحُ صَـباً ... وَأَطْرَبَ الْعِيسَ حَادِي الْعِيسِ بِالنَّغَمِ[٥]

ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَـنْ عُمَـرٍ ... وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عُثْمَانَ ذِي الْكَـرَمِ[٦]

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّـابِعِينَ فَهُـمْ ... أَهْلُ التُّقَى وَالنَّقَا وَالْحِلْمِ وَالْكَـرَمِ[٧]

---

(١) لاَ تَقْنَطِي : لا تيأسي – زَلَّة : ذنب – كاللَّمَم : كصغار الذنوب ، والمعنى : لا تيأسي يا نفسي ؛ لأن اللّه يغفر الذنوب ما كبر منها أو صغر إلا مَن كفر .

(٢) غَيْرَ مُنْعَكِس : غير خائب – غَيْرَ مُنْخَرِم : غَيْرَ ناقص ، أي أنّ فضلك عَلَيّ يكون غير ناقص .

(٣) والْطُفْ : وارفق – الدَّارَيْن : الدُّنْيَا والآخِرَة – يَنْهَزِم : أي أنه قليل الصبر عند الأهوال والمصائب .

(٤) بمُنْهَلّ : المنصبّ بقوة وشِدَّة – ومُنسَجِم : الذي يسير ببطء ولا يجري .

(٥) عَذَبَاتُ الْبَان : أغصان البان ، وهو شَجَر معروف برائحته الطيبة – صَباً : ريح شرقية تهبّ على باب الكعبة – حَادِي الْعِيس : سائق الإبل البيضاء التي بها حمرة .

(٦) أي بعد الصلاة على النبي ﷺ ، ثم دعاء لِلصحابة الكرام : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وهُمْ مِن المبشَّرين بالجنة ..

ومِن هذا البيت إلى آخِر القصيدة يعتقد بعض الشارحين لِلقصيدة أنها ليست منها ، ولكنني أعتقد أنها تكملة لِلقصيدة بل هي مِن أساس القصيدة ، فلا يخفى على أحد أن مَن يدعو اللّه بالغفران لِلصحابة يُكْمِل دعاءه لِباقي المسلمين .

(٧) يدعو الناظمُ اللّهَ تعالى أن يرضى عن آل بيت سيدنا رسول اللّه ﷺ وكذا صحابته الكرام ﷺ والتابعين وهم الجيل الذى تلا الصحابةَ مِن المسلمين ؛ لأنهم جميعاً أهل صلاح وتقى وحلم وكرم .

يَا رَبِّ بِالْمُصْـطَفَى بَلِّـغْ مَقَاصِـدَنَا وَاغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الْكَـرَمِ[١]

وَاغْفِرْ إِلَهِي لِكُـلِّ الْمُسْـلِمِينَ بِمَـا يَتْلُوهُ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصَى وَفِي الْحَرَمِ[٢]

بِجَاهِ مَـنْ بَيْتُـهُ فِـي طَيْبَـةٍ حَـرَمٌ وَاسْمُهُ قَسَمٌ مِـنْ أَعْظَـمِ الْقَسَـمِ[٣]

وَهَذِهِ بُرْدَةُ الْمُخْتَـارِ قَـدْ خُتِمَـتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي بَدْءٍ وَفِـي خَـتَمِ[٤]

أَبْيَاتُهَا قَدْ أَتَـتْ سِـتِّينَ مَـعْ مِائَـةٍ فَرِّجْ بِهَا كَرْبَنَا يَا وَاسِـعَ الْكَـرَمِ[٥]

---

(١) يدعو الناظم أن يحقق اللّه ﷻ لجميع المسلمين ما يتمنونه في آخرتهم ودنياهم من المغفرة الواسعة .

(٢) يدعو الناظمُ اللّهَ ﷻ أن يغفر لِلمسلمين ببركة تلاوة القرآن في المسجد الأقصى وفي الحرم الشريف .

(٣) بحق رسول اللّه ﷺ والذي بيته في المدينة المنورة واسمه شرف لِجميع البشر .

(٤) ويختم قصيدته بالحمد لِلّه على ما أنعم به عليه من تمام النظم .

(٥) ويدعو اللّهَ لِمَن يقرأها أن يفرج بها عنه كربته ؛ إنه ﷻ واسع الكرم .

الْقَصِيدَةُ الْمُضَرِيَّةُ فِي الصَّلاَةِ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرِ ... وَالأَنْبِيَا وَجَمِيعِ الرُّسْلِ مَا ذُكِرُوا

وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْهَادِي وَشِيعَتِهِ ... وَصَحْبِهِ مَنْ لِطَيِّ الدِّينِ قَدْ نَشَرُوا

وَجَاهَدُوا مَعَهُ فِي اللَّهِ وَاجْتَهَدُوا ... وَهَاجَرُوا وَلَهُ آوَوْا وَقَدْ نَصَرُوا

وَبَيَّنُوا الْفَرْضَ وَالْمَسْنُونَ وَاعْتَصَبُوا ... لِلَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ فَانْتَصَرُوا

أَزْكَى صَلاَةٍ وَأَنْمَاهَا وَأَشْرَفَهَا ... يُعَطِّرُ الْكَوْنَ رَيّاً نَشْرُهَا الْعَطِرُ

مَعْبُوقَةً بِعَبِيقِ الْمِسْكِ زَاكِيَةً ... مِنْ طِيبِهَا أَرَجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ

عَدَّ الْحَصَى وَالثَّرَى وَالرَّمْلِ يَتْبَعُهَا ... نَجْمُ السَّمَا وَنَبَاتُ الأَرْضِ وَالْمَدَرُ

وَعَدَّ وَزْنِ مَثَاقِيلِ الْجِبَالِ كَمَا ... يَلِيهِ قَطْرُ جَمِيعِ الْمَاءِ وَالْمَطَرُ

وَعَدَّ مَا حَوَتِ الأَشْجَارُ مِنْ وَرَقٍ ... وَكُلِّ حَرْفٍ غَدَا يُتْلَى وَيُسْتَطَرُ

وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالأَسْمَاكِ مَعْ نَعَمٍ ... يَلِيهِمُ الْجِنُّ وَالأَمْلاَكُ وَالْبَشَرُ

وَالذَّرُّ وَالنَّمْلُ مَعْ جَمْعِ الْحُبُوبِ كَذَا ... وَالشَّعْرُ وَالصُّوفُ وَالأَرْيَاشُ وَالْوَبَرُ

وَمَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَمَا ... جَرَى بِهِ الْقَلَمُ الْمَأْمُورُ وَالْقَدَرُ

وَعَدَّ نَعْمَائِكَ اللاَّتِي مَنَنْتَ بِهَا ... عَلَى الْخَلاَئِقِ مُذْ كَانُوا وَمُذْ حُشِرُوا

وَعَدَّ مِقْدَارِهِ السَّامِي الَّذِي شَرُفَتْ ... بِهِ النَّبِيُّونَ وَالأَمْلاَكُ وَافْتَخَرُوا

وَعَدَّ مَا كَانَ فِي الأَكْوَانِ يَا سَنَدِي ... وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تُبْعَثَ الصُّوَرُ

فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ يَطْرِفُونَ بِهَا ... أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ أَوْ يَذَرُوا

مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ مَعْ جَبَلٍ ... وَالْفَرْشِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِي وَمَا حَصَرُوا

مَا أَعْدَمَ اللَّهُ مَوْجُوداً وَأَوْجَدَ مَعْـ ... ـدُوماً صَلاَةً دَوَاماً لَيْسَ تَنْحَصِرُ

تَسْتَغْرِقُ الْعَدَّ مَعْ جَمْعِ الدُّهُورِ كَمَا ... تُحِيطُ بِالْحَدِّ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ

لاَ غَايَةً وَانْتِهَاءً يَا عَظِيمُ لَهَا ... وَلاَ لَهَا أَمَدٌ يُقْضَى فَيُعْتَبَرُ

وَعَدَّ أَضْعَافِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ ... مَعْ ضِعْفِ أَضْعَافِهِ يَا مَنْ لَهُ الْقَدَرُ

كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدِي وَكَمَا ... أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّي أَنْتَ مُقْتَدِرُ

مَعَ السَّلاَمِ كَمَا قَدْ مَــرَّ مِــنْ عَــدَدٍ رَبِّي وَضَــاعِفْهُمَا وَالْفَضْــلُ مُنْتَشِــرُ

وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْــرُوبٌ بِحَقِّــكَ فِــي أَنْفَاسِ خَلْقِكَ إِنْ قَلُّــوا وَإِنْ كَثُــرُوا

يَا رَبِّ وَاغْفِــرْ لِقَارِيهَــا وَسَــامِعِهَا وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعــاً أَيْنَمَــا حَضَــرُوا

وَوَالِــــدِينَا وَأَهْلِينَــــا وَجِيرَتِنَــــا وَكُلُّنَــا سَــيِّدِي لِلْعَفْــو مُفْتَقِــرُ

وَقَدْ أَتَيْــتُ ذُنُوبــاً لاَ عِــدَادَ لَهَــا لَكِــنَّ عَفْــوَكَ لاَ يُبْقِــي وَلاَ يَــذَرُ

وَالْهَمُّ عَنْ كُلِّ مَــا أَبْغِيــهِ أَشْــغَلَنِي وَقَدْ أَتَى خَاضِعاً وَالْقَلْــبُ مُنْكَسِــرُ

أَرْجُوكَ يَا رَبِّ فِي الــدَّارَيْنِ تَرْحَمُنَــا بِجَاهِ مَنْ فِي يَدَيْــهِ سَــبَّحَ الْحَجَــرُ

يَا رَبِّ أَعْظِــمْ لَنَــا أَجْــراً وَمَغْفِــرَةً فَإِنَّ جُــودَكَ بَحْــرٌ لَــيْسَ يَنْحَصِــرُ

وَاقْضِ دُيُوناً لَهَا الأَخْــلاَقُ ضَــائِقَةٌ وَفَرِّجِ الْكَرْبَ عَنَّــا أَنْــتَ مُقْتَــدِرُ

وَكُنْ لَطِيفاً بِنَــا فِــي كُــلِّ نَازِلَــةٍ لُطْفاً جَمِيلاً بِــهِ الأَهْــوَالُ تَنْحَسِــرُ

بِالْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى خَيْرِ الأَنَامِ وَمَــنْ جَلاَلَةً نَزَلَــتْ فِــي مَدْحِــهِ السُّــوَرُ

ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَــا طَلَعَــتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَمَا قَدْ شَعْشَــعَ الْقَمَــرُ

ثُمَّ الرِّضَا عَــنْ أَبِــي بَكْــرٍ خَلِيفَتِــهِ مَنْ قَامَ مِــنْ بَعْــدِهِ لِلــدِّينِ يَنْتَصِــرُ

وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ الْفَــارُوقِ صَــاحِبِهِ مَنْ قَوْلُهُ الْفَصْلُ فِي أَحْكَامِــهِ عُمَــرُ

وَجُدْ لِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كَمُلَــتْ لَهُ الْمَحَاسِنُ فِــي الــدَّارَيْنِ وَالظَّفَــرُ

كَــذَا عَلِــيٌّ مَــعَ ابْنَيْــهِ وَأُمِّهِمَــا أَهْلُ الْعَبَاءِ كَمَا قَــدْ جَاءَنَــا الْخَبَــرُ

سَعْدٌ سَعِيدُ بْنُ عَوْفٍ طَلْحَــةٌ وَأَبُــو عُبَيْــدَةَ وَزُبَيْــرٌ سَــادَةٌ غُــرَرُ

وَحَمْــزَةٌ وَكَــذَا الْعَبَّــاسُ سَــيِّدُنَا وَنَجْلُهُ الْحَبْرُ مَنْ زَالَــتْ بِــهِ الْغِيَــرُ

وَالآلُ وَالصَّــحْبُ وَالأَتْبَــاعُ قَاطِبَــةً مَا جَنَّ لَيْلُ الدَّيَاجِي أَوْ بَــدَا السَّــحَرُ

****

الْقَصِيدَةُ الْمُحَمَّدِيَّة

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الأَعْرَابِ وَالْعَجَمِ   مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

مُحَمَّدٌ بَاسِطُ الْمَعْرُوفِ جَامِعُهُ   مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ

مُحَمَّدٌ تَاجُ رُسْلِ اللَّهِ قَاطِبَةً   مُحَمَّدٌ صَادِقُ الأَقْوَالِ وَالْكَلِمِ

مُحَمَّدٌ ثَابِتُ الْمِيثَاقِ حَافِظُهُ   مُحَمَّدٌ طَيِّبُ الأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ

مُحَمَّدٌ رُوِيَتْ بِالنُّورِ طِينَتُهُ   مُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ نُوراً مِنَ الْقِدَمِ

مُحَمَّدٌ حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ ذُو شَرَفٍ   مُحَمَّدٌ مَعْدِنُ الإِنْعَامِ وَالْحِكَمِ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُضَرٍ   مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسْلِ اللَّهِ كُلِّهِمِ

مُحَمَّدٌ دِينُهُ حَقٌّ نَدِينُ بِهِ   مُحَمَّدٌ مُجْمِلاً حَقّاً عَلَى عَلَمِ

مُحَمَّدٌ ذِكْرُهُ رَوْحٌ لأَنْفُسِنَا   مُحَمَّدٌ شُكْرُهُ فَرْضٌ عَلَى الأُمَمِ

مُحَمَّدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا   مُحَمَّدٌ كَاشِفُ الْغُمَّاتِ وَالظُّلَمِ

مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ طَابَتْ مَنَاقِبُهُ   مُحَمَّدٌ صَاغَهُ الرَّحْمَنُ بِالنِّعَمِ

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخِيرَتُهُ   مُحَمَّدٌ طَاهِرٌ مِنْ سَائِرِ التُّهَمِ

مُحَمَّدٌ ضَاحِكٌ لِلضَّيْفِ مُكْرِمُهُ   مُحَمَّدٌ جَارُهُ وَاللَّهِ لَمْ يُضَمِ

مُحَمَّدٌ طَابَتِ الدُّنْيَا بِبَعْثَتِهِ   مُحَمَّدٌ جَاءَ بِالآيَاتِ وَالْحِكَمِ

مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَعْثِ النَّاسِ شَافِعُنَا   مُحَمَّدٌ نُورُهُ الْهَادِي مِنَ الظُّلَمِ

مُحَمَّدٌ قَائِمٌ لِلَّهِ ذُو هِمَمٍ   مُحَمَّدٌ خَاتَمٌ لِلرُّسْلِ كُلِّهِمِ

****

قصيدة بانت سعاد

لِكعب بن زهير رضي الله عنه

*** تعريف بالشاعر رضي الله عنه :**

جاء في مقدمة ديوانه : هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المضرب ، شاعر عالي الطبقة ، مِن أهل نجد ، له ديوان شعر ، كان ممن اشتهر في الجاهلية ، ولَمّا ظهر الإسلام هجا النَّبيَّ ﷺ وأقام يشبب بنساء المسلمين فأهدر النبي ﷺ دمه ، فجاءه كعب مستأمناً ، وقد أسلم وأنشد النَّبيَّ ﷺ لاميته المشهورة التي مطلعها :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِـي الْيَـوْمَ مَتْبُـولُ مُتَـيَّمٌ إِثْرَهَـا لَـمْ يُجْـزَ مَكْبُـولُ

فعفا عنه النبي ﷺ وخلع عليه بُرْدَتَه .

وهو رضي الله عنه مِن بيت عريق في الشعر ؛ أبوه زهير بن أبي سلمى وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوّام كلهم شعراء .

مات رضي الله عنه سنة ٢٦ هـ الموافق ٦٤٥ م .

وقد كثر مخمسو لاميته ومشطروها ومعارضوها وشراحها ، وتُرجمت إلى الإيطالية وإلى الفرنسية .

أمّا أبوه : فهو زهير بن أبي سلمى ، أحد فحول شعراء الجاهلية ولم يدرك الإسلام ، نشأ في بيئة شعرية خالصة ؛ أبوه وخاله وأخته كلهم قالوا الشعر طبعاً وخليقةً ، عُرفت قصائده بـ" الحوليات " لأنه يكتبها وينقحها ويصفيها ويشذبها ويهذبها لِمدة عام (حول) بكامله ثم يطلقها بلسانه أو بلسان راويته الحطيئة ، حتى أن ابنه كعباً كان راويةً له .

وله معلّقة من المعلّقات السبع ، ومطلعها :

أَمِـنْ أُمِّ أَوْفَـى دِمْنَـةٌ لَـمْ تَكَلَّـمِ بِحَوْمَانَـةِ الـدَّرّاجِ فَـالْمُتَثَلَّمِ

والدمنة : ما اسودّ مِن آثار الدار من البحر والرماد وغيرهما .

وحومانة الدراج والمتثلم : موضعان .

والمعنى : أنه مرّ على منازل أم أوفى فرأى بها ما رأى وهي لا تجيب .

في هذه البيئة الشاعرة وُلِد كعب ، ومنذ يفاعته تحرَّك لسانه بالشعر ونظمه ، وبعد أن اطمأن أبوه إلى أن كعباً استحكم شعره أذن له أن يقول الشعر .

ولم يدخل كعب الإسلامَ إلا في السنة الثامنة من الهجرة ، وقد نظم هذه القصيدة حينما علم مِن أخيه بجير أن رسول اللّه ﷺ قد أهدر دمه لِهجائه الرسول ﷺ وتشبيبه بنساء المسلمين ، فجاء إلى رسول اللّه ﷺ تائباً مسلماً ، وحينما جاء إلى الرسول ﷺ وعَرَّفَه بنفسه وثب عليه رجل من الأنصار يريد قتله ، فقال رسول اللّه ﷺ ﴿دَعْهُ عَنْكَ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِباً نَازِعاً عَمَّا كَانَ عَلَيْه﴾ ، وقد حسن إسلام كعب رضي الله عنه وانطلق يدافع عن الإسلام ويشيد بانتصاراته .

ومِن صفاته أنه كان متلافاً لا يثمر له مال ، وهو يعزو ذلك إلى سوء حظه ، وكان ذلك سبب خلاف دائم بينه وبين زوجته .

وقد امتد العمر بكعب رضي الله عنه حتى زمن معاوية رضي الله عنه ، وهو كان علويّ الرأي .

وشعر كعب رضي الله عنه به كثير من الحِكَم ، نُورِد منها على سبيل المثال :

وَإِنْ يُـــدْرِكْكَ مَـــوْتٌ أَوْ مَشِـــيبٌ   فَقَبْلَـــكَ مَـــاتَ أَقْـــوَامٌ وَشَـــابُوا

وأيضا :

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لأَعْجَبَنِـي   سَعْيُ الْفَتَى وَهْوَ مَخْبُوءٌ لَـهُ الْقَـدَرُ
يَسْعَى الْفَتَى لأُمُـورٍ لَـيْسَ يُـدْرِكُهَا   وَالنَّفْسُ وَاحِـدَةٌ وَالسَّـهْمُ مُنْتَشِـرُ
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْـدُودٌ لَـهُ أَمَـلٌ   لاَ تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّـى يَنْتَهِـي الأَثَـرُ

وأيضا :

أَعْلَمُ أَنِّي مَتَـى مَـا يَـأْتِنِي قَـدَرِي   فَلَـيْسَ يَحْبِسُـهُ شُـحٌّ وَلاَ شَـفَقُ

وفيها :

قَدْ يُعْوِزُ الْحَـازِمُ الْمَحْمُـودُ نِيَّتُـهُ   بَعْدَ الثَّرَاءِ وَيُثْرِي الْعَـاجِزُ الْحَمِـقُ

وقال :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعْـكَ حَيّـاً فَنَفْعُـهُ قَلِيلٌ إِذَا ضُـمَّتْ عَلَيْـهِ الصَّـفَائِحُ

وقال :

لاَ تُفْشِ سِـرَّكَ إِلاَّ عِنْـدَ ذِي ثِقَـةٍ أَوْلَى وَأَفْضَلُ مَا اسْـتَوْدَعْتَ أَسْـرَارَا

صَدْراً رَحِيباً وَقَلْبـاً وَاسِـعاً صَـمِتاً لَمْ تَخْشَ مِنْهُ لِمَا اسْتَوْدَعْتَ إِظْهَـارَا

ونختم بهذين البيتين :

مَسَـحَ النَّبِـيُّ جَبِينَـهُ فَلَـهُ بَيَـاضٌ بِالْخُـدُودِ

وَبِوَجْهِـهِ دِيبَاجَـةٌ كَـرَمُ النُّبُـوَّةِ وَالْجُـدُودِ

وهيّا بنا نستمتع بقصيدة كعب (بَانَتْ سُعَاد) ..

قصيدة بانت سعاد

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ(١)

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ(٢)

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً ... لاَ يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلاَ طُولُ(٣)

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ(٤)

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ(٥)

تَنْفِي الرِّيَاحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ ... مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ(٦)

أَكْرِمْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ ... مَوْعُودَهَا أَوْ لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ(٧)

لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا ... فَجْعٌ وَوَلْعٌ وَإِخْلاَفٌ وَتَبْدِيلُ(٨)

---

(١) على عادة الشعراء كانوا أول ما يبدؤون به الغزل ، وعلى هذا النسق جرى كعب في قصيدته التي مدح بها رسولَ اللّه ﷺ ..

بَانَتْ سُعَاد : أي فارقتني ورحلت – مَتْبُول : هالك من الحزن لِفراقها – مُتَيَّم : الذي أذله الهوى – مَكْبُول : مقيَّد .

(٢) أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُول : ظبي في صوته بحة وفي طَرْفِه كحل .

(٣) إذا أقبلت سعاد كانت هيفاء القد ، وإذا أدبرت ظهرت عجيزتها ، وكان ذلك مِن مظاهر الجمال عند العرب .

(٤) إذا ابتسمت ظهرت أسنانها مجليّةً بيضاء ناصعةً ، وكأن ثغرها مُشْرَب ماءً ممزوجاً بالراح .

(٥) شُجَّتْ : مُزِجَتْ بماء ذي برد ، مِن مسيل ماء منحنٍ صافٍ رقراق يجري – بِأَبْطَح : بسهل واسع – مَشْمُول : تدفعه ريح الشمال .

(٦) هذه الرياح تجلو عنه الأوساخ والأقذار (القذى) ، ويتنزل مِن سحابه مطر ليلاً في دفقات متتابعة (يعاليل) .

(٧) خُلَّة : حبيبة وصديقة ، ما كان أحسنها لو أنها صدقت ما وعدت وقد قبلت نصحي .

(٨) وَخُلَّة : وخصلة أو طبع فيها – سِيط : خُلِط – فَجْع : مصيبة – وَوَلْع : وكذب .

فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا ... كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ[١]
وَمَا تَمَسَّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ ... إلاَّ كَمَا تُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ[٢]
فَلاَ يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ... إِنَّ الأَمَانِيَّ وَالأَحْلاَمَ تَضْلِيلُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إلاَّ الأَبَاطِيلُ[٣]
أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا ... وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ
أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لاَ يُبَلِّغُهَا ... إلاَّ الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ[٤]
وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إلاَّ عُذَافِرَةٌ ... لَهَا عَلَى الأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ[٥]
مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ ... عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلاَمِ مَجْهُولُ[٦]
تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ ... إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحَزَّازُ وَالْمِيلُ[٧]
ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا ... فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ[٨]

---

(١) فَمَا تَدُوم : فما تستقر – الْغُول : تقول العرب بأن شبحه يتبدى لهم ليلاً في القفار فيضلهم الطريق .

(٢) لا تَصدق الوعد والميعاد ولا تتمسك به ، شأنها كالغربال لا يمسك ماءً .

(٣) مَوَاعِيدُ عُرْقُوب : مَثَل يُضرب لإخلاف المواعيد .

(٤) الْعِتَاق : الكريمة ذات الأصول ، ومثلها النجيبات – الْمَرَاسِيل : الخفيفة الحركة .

(٥) عُذَافِرَة : القوة الشديدة ، فهي مع الإعياء تسند عدوها وتنفض برأسها – إرْقَال : المشي في سعة ، وهو كما وُصِف بين الهملجة والعنق (السير الواسع الفسيح) ، والهملجة : المشي السريع بسهولة – وَتَبْغِيل : التبغيل مِن مشي الإبل فيه سعة ، وقيل : هو مشي فيه اختلاف واختلاط بين الهملجة والعنق ، كأنه شبَّه مشيها بسير البغل بشدته .

(٦) نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى : العِرْق خلف الأذن يفور بالعرق – عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلاَمِ مَجْهُول : عرضتها حرق المفازات المجهولة التي ليس فيها علامات ودلائل .

(٧) هذه الناقة لا تبالي بالمجهول الذي لا تراه الأعين ، بل تنظر إليه بعينَي (مفرد لهق) الثور الذي انفرد عن أقرانه لا يهمّه كثرة (الحزاز) ما غلظ من الأرض ، والمِيل : ما بعد وطال .

(٨) ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا : غليظة الرقبة – فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا : ممتلئة الرسغ ، وهي أفضل النياق على الإطلاق .

غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عَلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامَهَا مِيلُ

وَجِلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ لاَ يُؤَيِّسُهُ طَلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ

حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ(١)

يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ مِنْهَا لِبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ(٢)

عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ(٣)

كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ(٤)

تَمُرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تُخَوِّنْهُ الأَحَالِيلُ(٥)

قَنْوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا عَتَقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ(٦)

تُخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لاَحِقَةٌ ذَوَابِلٌ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ(٧)

سُمْرُ الْعَجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيَماً لَمْ يَقِهِنَّ رُؤُوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ(٨)

---

(١) حَرْف : ضامرة – مُهَجَّنة : كريمة – أَخُوهَا أَبُوهَا : أي أن أخاها نزا على أمها ، وكذلك عمها في النسبة إلى خالها ، موصلة مِن كل ناحية – قَوْدَاءُ شِمْلِيل : طويلة العنق خفيفة السير .

(٢) لا يستقر القمل (القراد) على جسمها – لِبَان : صدر – وَأَقْرَاب : خاصرتها ؛ فكلّ ذلك أملس ناعم (زهاليل) .

(٣) عَيْرَانَة : تشبه العير حمار الوحش – قُذِفَتْ بِالنَّحْض : امتلأت جوانبها باللحم – مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُول : مرفقها عن عظام الصدر محكم .

(٤) لحم الرأس عند عينيها وعنقها وأنفها وفكيها كأنه الحجر الصلب .

(٥) تضرب بذيلها الطويل كعسيب النخل على ضرعها (غارزها) تحمي نفسها مِن (أحاليل) ذكور الإبل ؛ كي لا تَحمل وتستمر بالعطاء من اللبن .

(٦) قَنْوَاء : في أنفها ميل وحدب في أذنيها (حرتيها) ، عَتَق : حادة الطرفين ، وسهلة الخدين .

(٧) تُخْدِي : تسير مسرعةً على قوائم خفيفة (يسرات) ، وهي ضامرة (لاحقة) – مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيل : ملامستهنّ لِلأرض إبراء لِلذمة ، وإلا فإنها في عَدْوها السريع كالطائر .

(٨) سُمْرُ الْعَجَايَات : أعصاب باطن اليدين (الراحتين أو الكفين لِلإنسان) – زِيَماً : لا تحتاج في اجتياز الآكام من الحصى إلى نعال ؛ لِشدتهنّ وغلظتهنّ .

يَوْماً يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِداً كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بالشَّمْسِ مَمْلُولُ[١]
كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بالْكُورِ الْعَسَاقِيلُ[٢]
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ وُرْقَ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَى قِيلُوا[٣]
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصِفٍ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ[٤]
نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ[٥]
تَفْرِي اللُّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمَدْرَعُهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ[٦]
تَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ[٧]
وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ آمُلُهُ لاَ أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ[٨]
فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لاَ أَبَا لَكُمُ فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ يَوْماً عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ[٩]
أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

---

(١) في يوم تظل فيه الحرباء منتصبةً عن الأرض لِشدة الحر كأن ما ظهر منه لِلشمس (مملول) الرماد الحار .

(٢) يشبِّه ذراعيها عندما تعرق بالأكمة وقد تلحفت (تلفعت) بالسراب (العساقيل) .

(٣) في هذا اليوم الشديد الحرارة وقد تناثر الجراد (الجنادب) فوق الحصى لا يلمسنه ، يقول حادي القوم لهم : قِيلُوا ؛ أي استريحوا مِن هذه الهاجرة .

(٤) عَيْطَلٍ نَصِف : الطويلة الذراعين التي قامت تنوح ، هكذا شبَّه قوائم ناقته وهي تعدو ولا تمسّ الأرض بسبب سخونتها كأنها تحركها لطماً ونواحاً – الثكل : الموت والهلاك ، والثُّكْل والثَّكَل : فقدان الحبيب ، وأكثر ما يُستعمل في فقدان المرأة زوجها ، ومثاكيل : جمع " مثكال " ، وهي المرأة التي فقدت ولدها .

(٥) باكية شديدة النواح قد ارتخت سواعدها حين بُلِّغَتْ نعياً ببكرها .

(٦) تَفْرِي اللُّبَان : تشقّ الثياب عن صدرها حيث درعها قد تشقّق – أيضاً – عن عظام رقبتها (تراقيها) – رَعَابِيل : نتفاً وقطعاً .

(٧) تَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا : أي سعاد .

(٨) لاَ أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُول : أي لا أشغلك عن أمرك ؛ فإني مشغول عنك .

(٩) آلَةٍ حَدْبَاء : النعش لِلميت .

وَقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ مُعْتَذِراً ... وَالْعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَقْبُولُ

مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ... ـقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ[١]

لاَ تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ وَقَدْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ

لَقَدْ أَقُومُ مَقَاماً لَوْ يَقُومُ بِهِ ... أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَمْ يَسْمَعِ الْفِيلُ[٢]

لَظَلَّ يَرْعُدُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ... مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ[٣]

مَا زِلْتُ أَقْتَطِعُ الْبَيْدَاءَ مُدَّرِعاً ... جُنْحَ الظَّلاَمِ وَثَوْبُ اللَّيْلِ مَسْبُولُ[٤]

حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لاَ أُنَازِعُهُ ... فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ[٥]

لَذَاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ ... وَقِيلَ إِنَّكَ مَسْبُورٌ وَمَسْئُولُ[٦]

مِنْ خَادِرٍ مِنْ لُيُوثِ الأُسْدِ مَسْكَنُهُ ... مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ[٧]

يَغْدُو فَيَلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا ... لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ[٨]

إِذَا يُسَاوِرُ قِرْناً لاَ يَحِلُّ لَهُ ... أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلاَّ وَهْوَ مَغْلُولُ[٩]

مِنْهُ تَظَلُّ حَمِيرُ الْوَحْشِ ضَامِرَةً ... وَلاَ تَمَشَّى بِوَادِيهِ الأَرَاجِيلُ[١٠]

---

(١) النافلة : العطية .

(٢) الفيل : الحيوان الذي لا يعي ولا يسمع .

(٣) التنويل : العفو والأمان .

(٤) مُدَّرِعاً جُنْحَ الظَّلاَم : جاعلاً الظلام كالدرع لي .

(٥) وَضَعْتُ يَمِينِي : لِلمبايعة على الإسلام في يد رسول اللَّه ﷺ – قِيلُهُ القِيل : قوله القول الفصل .

(٦) أَهْيَب : أَخْوَف – مَسْبُورٌ وَمَسْئُول : ممتحن ومسئول عمّا قُلْته في حق رسول اللَّه ﷺ .

(٧) أي مسئول مِن أسد تخافه وتخشاه الأسود الضواري حيث مأواها ومجتمعها في بطن عثر ، وهو مكان قريب من مكة .

(٨) يغدو هذا الأسد فيأتي باللحم (يلحم) لِضِرْغَامَيْن : أسدين في عرينهما ، فيرمي إليهما بقطع اللحم وقد تعفرت ، وقيل : خردل اللحم : قطّعه وفرّقه .

(٩) هذا الأسد إذا غالَب (ساور) غيره لا يتركه إلا مقتولاً طريحاً .

(١٠) أمّا حمير الوحش فتظلّ ساكنةً لا يصدر عنها صوت يدلّ عليها ، حتى أنها لا تجترّ ولا ترغو ، وكذلك لا يمرّ بواديه الرجالة (الأراجيل) .

وَلاَ يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُطَرَّحَ الْبَزِّ وَالدِّرْسَانِ مَأْكُولُ[١]

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ[٢]

فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ[٣]

شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لُبُوسُهُمُ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ[٤]

بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ[٥]

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ[٦]

لاَ يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمُ قَوْماً وَلَيْسُوا مَجَازِيعاً إِذَا نِيلُوا[٧]

لاَ يَقَعُ الطَّعْنُ إِلاَّ فِي نُحُورِهِمُ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ[٨]

---

(١) الْبَزّ : الثياب – الدِّرْسَان : الثياب الخلقة البالية .

(٢) لَسَيْف : الرواية المأثورة والأجدر والأرجح (لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ) ؛ إذ لا يستضاء بالسيف .

(٣) أَنْكَاس : ضعفاء – كُشُف : لا يحملون ترساً ولا يدرعون في الحرب .

(٤) شُمُّ الْعَرَانِين : أنوفهم شامخة كنايةً عن العزة – نَسْجِ دَاوُد : الدروع يتسربلون بها .

(٥) دروع بيضاء سابغة طويلة تغطي الأبدان – لَهَا حَلَق : زرد – الْقَفْعَاء : المسك مجدول على بعضه فيشكل وحدةً متماسكةً .

(٦) الْجِمَالِ الزُّهْر : البيض – يَعْصِمُهُمْ : يحميهم الضرب الشديد منهم إذا فر (عرد) القصار الضعاف من الميدان (التنابيل) .

(٧) إذا نالوا مِن خصومهم لا يفرحون ؛ لأن تلك عادتهم ، ولا يجزعون إذا ما أصيبوا .

(٨) يواجهون فيصابون في صدورهم (نحورهم) ، ولا يرتدّون فيصابون في ظهورهم ؛ لأنهم لا يفرّون عن حياض الموت ، وذلك هو التهليل ، والتهليل : الفرار والنكوص .

على باب المصطفى

لِلشاعر فاروق جويدة

* مقدمة :

قصيدة " على باب المصطفى " لِشاعرنا الكبير فاروق جويدة كتبها وهو في الروضة الشريفة بالمدينة المنورة حينما كان يؤدي فريضة الحج عام ٢٠١٠ ، وتم نشرها بجريدة الأهرام ، وتم تسجيلها على شبكة الإنترنت ، والقصيدة عبارة عن ابتهالات ودعوات بأسلوب شعريّ راقٍ ليس به تعقيدات لغوية ولا كلمات غريبة .

والشاعر والأديب فاروق جويدة مِن مواليد ١٠ فبراير ١٩٤٥ أطال اللّه في عمره ، وقد وُلِد بمحافظة كفر الشيخ ، وعاش طفولته بمحافظة البحيرة ، والمحافظتان متجاورتان ، وهو يشغل حالياً رئيس القسم الثقافي لِجريدة الأهرام ، وصاحب مقال أسبوعيّ بالأهرام تحت عنوان " هوامش حرة " ، ولِسيادته أكثر مِن عشر مجموعات شعرية ، وقدَّم لِلمسرح الشعري ثلاث مسرحيات هي : الوزير العاشق – دماء على ستار الكعبة – الخديوي ، وتُرْجِمَتْ قصائده ومسرحياته إلى عدة لغات أجنبية أهمها الإنجليزية والفرنسية والصينية واليوغسلافية ، وله برنامج أسبوعيّ في التليفزيون المصري على قناة الحياة ، وقد تناول أعمالَه الإبداعية عدد من الرسائل الجامعية في الجامعات المصرية والعربية ، وشعره يجد رواجاً كبيراً في العالم العربي والمصري بصفة خاصة مِن هواة الشعر الجميل .

وقد أدمجتُ قصيدته " على باب المصطفى " إلى بقية قصائد الكتاب لكي يتعرف القارئ على نموذج من المدائح النبوية الحديثة ؛ لأن قصائد الكتاب يغلب عليها التركيبات اللغوية المعقدة شيئاً ما ، وعلى القارئ الكريم المقارنة بينها إذا أراد ذلك .

وقصيدة " على باب المصطفى " مِن أجمل ما قرأتُ من قصائد المديح النبوي ،

ولم ينس الشاعر والأديب فاروق جويدة أن يذكر لنا أن الوطن يسع الجميع فيقول :

أَهْلُ الْكِتَـاب لَهُـمْ حُقُـوقٌ مِثْلُنَـا فِي الأَمْنِ فِي الأَوْطَانِ فِي الصَّـلَوَاتِ
اللّهُ سـاوَى الْخَلْـقَ وَحَّـدَ بَيْـنَهُمْ فِي الْعَيْشِ فِي الأَنْسَابِ فِي الدَّرَجَاتِ

بل إنه لم ينس أن يُذَكِّرَنَا بأحوالنا المعيشية فيقول :

وسَأَلْتُ رَبَّ الْعَـرْشِ هَـذَا حَـالُهُمْ فَقْـرٌ وجُـوعٌ وامْتِهَـانُ طُغَـاةِ
يَـا رَبِّ هَـذِي أُمَّتِـي مَغْلُوبَـةٌ مَـا بَـيْنَ حُكْـمِ جـائِرٍ وغُـزَاةِ
الرَّكْبُ ضَـلَّ وشَـرَّدَتْهُ عَوَاصِـفٌ بِـالْعَجْزِ والطُّغْيَـانِ والنَّكَبَـاتِ
والآنَ صارُوا فِي الْحَيَاةِ بِـلاَ هُـدَى تَبْـدُو عَلَـيْهِمْ سَـكْرَةُ الأَمْـوَاتِ

ثم يقول :

والْحَاقِدُونَ عَلَى الضَّـلاَلِ تَجَمَّعُـوا والأُمَّـةُ الثَّكْلَـى فُلُـولُ شَـتَاتِ

وإذا كان الشاعر قد تغنَّى كثيراً في شعره بالحب العفيف الطاهر رغم ذلك فإنه يتجه إلى اللّه بالتوبة فيقول :

قَدْ كَـانَ ذَنْبِـي أَنَّ قَلْبِـي عاشِـقٌ فَأَضَعْتُ فِي عِشْقِ الْجَمَـالِ حَيَـاتِي
أَنْتَ الَّـذِي سَـطَّرْتَ قَلْبِـي غُنْـوَةً لِلْعَاشِـقِينَ وهَـذِهِ مَأْسَـاتِي
اغْفِرْ ذُنُـوبَ الْعِشْـقِ إنَّ جَـوَانِحِي ذابَـتْ مِـنَ الأَشْـوَاقِ والْعَبَـرَاتِ

ثم يقول :

أَسْرَفْتُ فِي ذَنْبِـي وبَابُـكَ رَحْمَتِـي ولَدَيْكَ وَحْـدَكَ شـاطِئِي ونَجَـاتِي

ثم يعيب على الجهلاء أنهم لم يعرفوا الإسلام حق المعرفة فيقول :

لَوْ يَعْلَـمُ الْجُهَـلاَءُ رَحْمَـةَ دِينِنَـا لَتَسَـابَقُوا فِـي الْبِـرِّ والرَّحَمَـاتِ

ثم الشاعر – بتواضع جمّ وأخلاق عالية رفيعة معروف بها – يختم قصيدته باعتذار لِمن سبقوه في المديح :

وَصَـفُوكَ قَبْلِـي فَـانْزَوَتْ أَبْيَـاتِي وخَجِلْتُ مِنْ شِعْرِي ومِـنْ كَلِمَـاتِي

إن الشاعر والأديب فاروق جويدة فارس مِن فرسان هذا العصر قلّ أن يجود زماننا بمثله ، أطال اللّه في عمره ومتّعه بالصحة والعافية وراحة البال ، وبارك اللّه له في أبنائه وأحفاده .

وإلى قصيدته " على باب المصطفى " ..

على باب المصطفى

رَكْبُ الزَّمَانِ يَطُوفُ فِي عَبَرَاتِي ... وأَنَا أَرَاكَ تُطِلُّ مِنْ عَرَفَاتِ
وأَمَامَكَ التَّارِيخُ يَسْجُدُ خاشِعاً ... والْحَقُّ حَوْلَكَ شامِخُ الرَّايَاتِ
وتُوَدِّعُ الدُّنْيَا بوَجْهٍ مُشْرِقٍ ... فِيهِ الْجَلاَلُ ونُبْلُ كُلِّ صِفَاتِ
تَبْكِي الْجُمُوعُ وأَنْتَ تَهْمِسُ بَيْنَهَا ... قَدْ لاَ أَرَاكُمْ فِي الْحَجِيجِ الآتِي
لَكِنَّنِي أَوْدَعْتُ فِي أَعْنَاقِكُمْ ... قُرْآنَ رَبِّي سِيرَتِي وحَيَاتِي
لاَ لَنْ تَضِلُّوا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ ... فَخَلاَصُ هَذِي الأَرْضِ فِي آيَاتِي
ويُطِلُّ وَجْهُكَ خَلْفَ سِتْرٍ خافِتٍ ... فَتَرَى حُشُودَ الْحَقِّ فِي الصَّلَوَاتِ
وتَرَى الْوُجُوهَ وقَدْ أَضَاءَ جَلاَلُهَا ... والدَّهْرُ يَكْتُبُ أَقْدَسَ الصَّفَحَاتِ
وتَصِيحُ فِيهِمْ أَنَّ غايَةَ دِينِنَا ... طُهْرُ الْقُلُوبِ ورِفْعَةُ الْغَايَاتِ
فَجْرُ الضَّمِيرِ رِسَالَتِي لاَ تَرْجِعُوا ... لِلْكُفْرِ بَعْدِي فِي ثِيَابِ طُغَاةِ
لاَ تَقْرَبُوا الأَصْنَامَ بَعْدِي إنَّهَا ... بَيْتُ الضَّلاَلِ وآفَةُ الآفَاتِ
ولْتَعْبُدُوا الرَّحْمَنَ رَبّاً واحِداً ... فَعَلَى هُدَاهُ تَفَجَّرَتْ صَيْحَاتِي
اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فاجْمَعُوا ... أَشْلاَءَكُمْ بالْحَقِّ والرَّحَمَاتِ
وَحَّدْتُ أَشْلاَءً جَمَعْتُ شَرَاذِماً ... وجَعَلْتُ مِنْ طَلَلِ الشُّعُوبِ بُنَاتِي
الظُّلْمُ فِي رَكْبِ الْحَيَاةِ ضَلاَلَةٌ ... والْعَدْلُ نُورُ اللَّهِ فِي الظُّلُمَاتِ
والذَّمُّ فِي وَجْهِ الْحَيَاةِ جَرِيمَةٌ ... وتَمِيمَةٌ لِلرِّجْسِ واللَّعَنَاتِ
والْحَقُّ أَوْلَى أَنْ تُصَانَ حُصُونُهُ ... لِيَظَلَّ تاجُ الأَرْضِ والسَّمَوَاتِ
والأَرْضُ عِرْضٌ والدِّمَاءُ مَحَارِمٌ ... ونَقَاءُ مالِ الْمَرْءِ بالصَّدَقَاتِ
حُرِّيَّةُ الإنْسَانِ غايَةُ دِينِنَا ... وطَرِيقُنَا فِي كُلِّ فَجْرٍ آتِي
ونِسَاؤُكُمْ فِي كُلِّ بَيْتٍ رَحْمَةٌ ... تاجُ الْعَفَافِ وِسَامُ كُلِّ فَتَاةِ
والْعَدْلُ دُسْتُورُ الْحَيَاةِ فَإنْ غَفَى ... هُرِعَتْ حُشُودُ الظُّلْمِ بالْوَيْلاَتِ
والْحُكْمُ عَدْلٌ والشَّرَائِعُ حِكْمَةٌ ... والنَّفْسُ عِنْدِي أَكْبَرُ الْحُرُمَاتِ

أَهْلُ الْكِتَابِ لَهُمْ حُقُوقُ مِثْلُنَا فِي الأَمْنِ فِي الأَوْطَانِ فِي الصَّلَوَاتِ
اللَّهُ ساوَى الْخَلْقَ وَحَّدَ بَيْنَهُمْ فِي الْعَيْشِ فِي الأَنْسَابِ فِي الدَّرَجَاتِ
أَمَّا الْحَيَاةُ وَدِيعَةٌ فِي سِرِّهَا هَلْ يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ بِالأَمْوَاتِ ؟!
وَيْلٌ لأَرْضٍ ماتَ فَجْرُ ضَمِيرِهَا مَوْتُ الضَّمَائِرِ قِمَّةُ الْمَأْسَاةِ
لَكِنَّنِي أَيْقَنْتُ أَنَّ رِسَالَتِي فِيهَا الْهُدَى مِنْ خالِقِ السَّمَوَاتِ
بَلَّغْتُ يَا اللَّهُ فاشْهَدْ أَنَّنِي لَمْ أَنْسَ حَقَّ رَعِيَّتِي ورُعَاتِي
زُورُوا الْمَدِينَةَ واذْكُرُونِي عِنْدَهَا مَنْ زارَ قَبْرِي صافَحَتْهُ حَيَاتِي
أَنَا لَمْ أَكُنْ إلاَّ رَسُولاً قَدْ خَلَتْ قَبْلِي رِسَالاَتٌ وهَدْيُ عِظَاتِ
بَشَرٌ أَنَا مَا كُنتُ رَبّاً بَيْنَكُمْ بَلْ كُنْتُ فَجْراً لاَحَ فِي لَحَظَاتِ
وأَفَاضَ فِي الدُّنْيَا وأَيْقَظَ أَهْلَهَا بِالْحَقِّ والتَّنْزِيلِ والآيَاتِ
فَإِذَا بَدَا فِي الأُفْقِ غَيْمٌ عابِثٌ صَلُّوا عَلَيَّ وأَكْثِرُوا الصَّلَوَاتِ

****

رَكْبُ الزَّمَانِ يَطُوفُ فِي نَظَرَاتِي وتَتُوهُ فِي عُمْقِ الْمَدَى كَلِمَاتِي
ماذَا أَقُولُ ونُورُ وَجْهِ الْمُصْطَفَى كالصُّبْحِ أَشْرَقَ فِي شَوَاطِئِ ذاتِي
ويُطِلُّ وَجْهُكَ فِي الْحَجِيجِ كَأَنَّهُ وَجْهُ السَّمَاءِ أَضَاءَ فِي جَنَبَاتِي
يَا سَيِّدَ الْخَلْقِ الرَّفِيعِ تَحِيَّةً مِنْ كُلِّ شَوْقٍ فاضَ فِي عَرَفَاتِ
طَوَّفْتَ فِي أَرْجَاءِ مَكَّةَ ساعِياً وعَلَى مِنىً أَلْقَيْتَ بِالْجَمَرَاتِ
ونَظَرْتَ لِلأُفْقِ الْبَعِيدِ وحَوْلَهُ تَسْرِي أَمَامَكَ جَنَّةُ الْجَنَّاتِ
ووَقَفْتَ تَصْرُخُ يَا إِلَهِي أُمَّتِي فَيُجِيبُ رَبُّ الْخَلْقِ بِالرَّحَمَاتِ
لَمْ تَنْسَ أُمَّتَكَ الْحَزِينَةَ كُلَّمَا هُرِعَتْ جُمُوعُ النّاسِ بِالدَّعَوَاتِ
وسَأَلْتَ رَبَّ الْكَوْنِ هَذَا حالُهُمْ فَقْرٌ وجُوعٌ وامْتِهَانُ طُغَاةِ
يَا رَبِّ هَذِي أُمَّتِي مَغْلُوبَةٌ مَا بَيْنَ حُكْمِ جائِرٍ وغُزَاةِ
الرَّكْبُ ضَلَّ وشَرَّدَتْهُ عَوَاصِفٌ بِالْعَجْزِ والطُّغْيَانِ والنَّكَبَاتِ

جَمَّعْتَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ كُلَّمَا نادَى الْمُؤَذِّنُ داعِياً لِصَلاَةِ
والآنَ صارُوا فِي الْحَيَاةِ بِلاَ هُدىً تَبْدُو عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الأَمْوَاتِ
أَنَا فِي رِحَابِكَ جِئْتُ أَحْمِلُ أُمَّةً ماتَتْ عَلَى أَطْلاَلِهَا صَرَخَاتِي
والْحَاقِدُونَ عَلَى الضَّلاَلِ تَجَمَّعُوا والأُمَّةُ الثَّكْلَى فُلُولُ شَتَاتِ

****

فِي الْكَعْبَةِ الْغَرَّاءِ وَجْهِي شاخِصٌ تَتَسابَقُ الصَّلَوَاتُ فِي الصَّلَوَاتِ
والنَّاسُ فِي الْحَرَمِ الشَّرِيفِ تَوافَدُوا ضَوْءُ الْوُجُوهِ يَطُوفُ فِي السَّاحَاتِ
اللَّهُ أَكْبَرُ والْحَجِيجُ مَوَاكِبٌ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ قادِمٌ ولُغَاتِ
اللَّهُ وَحَّدَهُمْ عَلَى وَحْيِ الْهُدَى رَغْمَ اخْتِلاَفِ الْجِنْسِ واللَّهَجَاتِ
جاءُوا فُرَادَى يَحْمِلُونَ ذُنُوبَهُمْ ويَفِيضُ صَفْحُ اللَّهِ بالنَّفَحَاتِ
حِينَ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ فَوْقَ عِبَادِهِ الْعَفْوُ كانَ بِدَايَةَ الرَّحَمَاتِ
يَا رَبِّ فَلْتَجْعَلْ نِهَايَةَ رِحْلَتِي عِنْدَ السُّؤَالِ شَفَاعَتِي وثَبَاتِي
أَنَا فِي رِحَابِكَ جِئْتُ أَحْمِلُ تَوْبَتِي خَجْلاَنَ مِنْ شَطَطِي ومِنْ زَلاَّتِي
أَنْتَ الْغَفُورُ وكَانَ ضَعْفِي مِحْنَتِي وعَذَابُ قَلْبِي كانَ فِي هَفَوَاتِي
أَشْكُو إِلَيْكَ الآنَ قِلَّةَ حِيلَتِي وهَوَانَ عُمْرِي حَيْرَتِي وشَتَاتِي
تَتَزَاحَمُ الأَيَّامُ بَيْنَ خَوَاطِرِي مَا بَيْنَ ذَنْبٍ حائِرٍ وعِظَاتِ
يَا رَبِّ سَيَّرْتَ الْقُلُوبَ مَوَاطِناً لِلْحُبِّ فاغْفِرْ يَا كَرِيمُ هِنَاتِي
قَدْ كانَ ذَنْبِي أَنَّ قَلْبِي عاشِقٌ فَأَضَعْتُ فِي عِشْقِ الْجَمَالِ حَيَاتِي
أَنْتَ الَّذِي سَطَّرْتَ قَلْبِي غُنْوَةً لِلْعَاشِقِينَ وهَذِهِ مَأْسَاتِي
اغْفِرْ ذُنُوبَ الْعِشْقِ إِنَّ جَوَانِحِي ذابَتْ مِنَ الأَشْوَاقِ والْعَبَرَاتِ
والآنَ جِئْتُكَ بَعْدَ أَنْ ضاقَ الْمَدَى واثَّاقَلَتْ فِي رَهْبَةٍ خَطَوَاتِي
نَدَماً عَلَى عُمْرٍ تَوَلَّى ضائِعاً أَمْ خَشْيَةً مِنْ طَيْفِ عُمْرٍ آتٍ ؟!
أَسْرَفْتُ فِي ذَنْبِي وبَابُكَ رَحْمَتِي ولَدَيْكَ وَحْدَكَ شاطِئِي ونَجَاتِي

****

فِي هَذِهِ الأَرْضِ الشَّرِيفَةِ أَشْرَقَتْ يَوْماً قِلاَعُ النُّورِ والْبَرَكَاتِ
بَدَأَ الْوُجُودُ خَطِيئَةً ثُمَّ انْتَهَى بالصَّفْحِ والْغُفْرَانِ فِي عَرَفَاتِ
حَتَّى أَطَلَّ عَلَى الْوُجُودِ مُحَمَّدٌ فازَّيَّنَتْ عَرَفَاتُ بالصَّلَوَاتِ
فَأَضَاءَ تاريخٌ وقَامَتْ أُمَّةٌ بالْحَقِّ تَكْتُبُ أَرْوَعَ الصَّفَحَاتِ
وسَرَى عَلَى أَرْجَائِهَا وَحْيُ الْهُدَى جِبْرِيلُ يَتْلُو أَقْدَسَ الآيَاتِ
ومُحَمَّدٌ فِي كُلِّ رُكْنٍ ساجِدٌ يُحْيِي قُلُوباً بَعْدَ طُولِ مَوَاتِ

****

بَدْءُ الْخَلِيقَةِ كانَ مِنْ أَسْرَارِهَا حِينَ اسْتَوَتْ بالْخَلْقِ فِي لَحَظَاتِ
وتَزَيَّنَتْ لِنَبِيِّهَا حَتَّى بَدَا نُورُ الرِّسَالَةِ فَوْقَ كُلِّ حَصَاةِ
وتَكَسَّرَتْ أَصْنَامُ مَكَّةَ وانْزَوَى خَلْفَ الْحُطَامِ ضَلاَلُ لَيْلٍ عاتِ
فِي حُضْنِ مَكَّةَ كانَ مِيلاَدُ الْهُدَى والدَّهْرُ يَشْدُو أَعْذَبَ النَّغَمَاتِ
أُمَمٌ أَفَاقَتْ مِنْ ظَلاَمِ عُهُودِهَا واسْتَيْقَظَتْ مِنْ بَعْدِ طُولِ سُبَاتِ
أَلْقَى عَلَيْكَ الْحَاقِدُونَ ضَلاَلَهُمْ وتَسَابَقُوا فِي اللَّغْوِ والسَّوْءَاتِ
أَتُرَى يَعِيبُ الشَّمْسَ أَنَّ ضِيَاءَهَا أَعْمَى حُشُودَ الْجَهْلِ والظُّلُمَاتِ ؟!
لَوْ يَعْلَمُ الْجُهَلاَءُ رَحْمَةَ دِينِنَا لَتَسَابَقُوا فِي الْبِرِّ والرَّحَمَاتِ
لَمْ يَشْهَدِ التَّارِيخُ يَوْماً أُمَّةً جَمَعَتْ حُشُودَ الْحَقِّ فِي لَحَظَاتِ
لَمْ تَشْهَدِ الدُّنْيَا جُمُوعاً سافَرَتْ عَبَرَتْ حُدُودَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتِ
لَكِنَّهُ الإِسْلاَمُ وَحَّدَ بَيْنَهُمْ فَتَسَابَقُوا لِلَّهِ فِي عَرَفَاتِ
هَذَا هُوَ الإِسْلاَمُ دِينُ مَحَبَّةٍ رَغْمَ اخْتِلاَفِ الْجَاهِ والدَّرَجَاتِ

****

يَا لَلْمَدِينَةُ حِينَ يَبْدُو سِحْرُهَا وتَتِيهُ فِي أَيَّامِهَا النَّضِرَاتِ
ومَوَاكِبُ الصَّلَوَاتِ بَيْنَ رُبُوعِهَا تَهْتَزُّ أَرْكَانُ الضَّلاَلِ الْعَاتِي
فِي ساحَةِ الشُّهَدَاءِ لَحْنٌ دائِمٌ صَوْتُ الْخُيُولِ يَصُولُ فِي السَّاحَاتِ

والأُفقُ وَحْيٌ والسَّماءُ بَشائرٌ والرَّوْضَةُ الْفَيْحاءُ تاجُ صَلاتِي
ويَطُوفُ وَجْهُ مُحَمَّدٍ فِي أَرْضِهَا الْماءُ طُهْرِي والْحَجِيجُ سُقَاتِي
ماذَا أَقُولُ أَمَامَ نُورِكَ سَيِّدِي وبِأَيِّ وَجْهٍ تَحْتَفِي كَلِمَاتِي ؟
بالْعَدْلِ بالإِيمَانِ بالْهِمَمِ الَّتِي شَيَّدْتَهَا فِي حِكْمَةٍ وثَبَاتِ ؟
أَمْ بِالرِّجَالِ الصَّامِدِينَ عَلَى الْهُدَى بالْحَقِّ والأَخْلاقِ والصَّلَوَاتِ ؟
أَمْ أَنَّهُ زُهْدُ الْقُلُوبِ وسَعْيُهَا لِلَّهِ دُونَ مَغَانِمٍ وهِبَاتِ ؟
أَمْ أَنَّهُ صِدْقُ الْعَقِيدَةِ عِنْدَمَا تَعْلُو النُّفُوسَ سَمَاحَةُ النِّيَاتِ ؟
أَمْ أَنَّهُ الإِنْسَانُ حِينَ يُحِيطُهُ نُبْلُ الْجَلالِ وعِفَّةُ الْغَايَاتِ ؟
أَمْ أَنَّهُ حُبُّ الشَّهَادَةِ عِنْدَمَا يَخْبُو بَرِيقُ الْمَالِ والشَّهَوَاتِ ؟
أَمْ أَنَّهُ زُهْدُ الرِّجَالِ إِذَا سَمَتْ فِينَا النُّفُوسُ عَلَى نِدَا الْحَاجَاتِ ؟
أَمْ أَنَّهُ الْعَزْمُ الْجَلِيلُ وقَدْ مَضَى فَوْقَ الضَّلالِ وخِسَّةِ الرَّغَبَاتِ ؟
بَلْ إِنَّهُ الْقُرْآنُ وَحْيُ مُحَمَّدٍ ودَلِيلُنَا فِي كُلِّ عَصْرٍ آتِ
يَا سَيِّدَ الدُّنْيَا وتَاجَ ضَمِيرِهَا اشْفَعْ لَنَا فِي ساحَةِ الْعَثَرَاتِ
أَنَا يَا حَبِيبَ اللَّهِ ضاقَ بِيَ الْمَدَى وتَعَثَّرَتْ فِي رَهْبَةٍ نَبَضَاتِي
وَصَفُوكَ قَبْلِي فَوْقَ كُلِّ صِفَاتٍ نُورُ الضَّمِيرِ وفَجْرُ كُلِّ حَيَاةِ
بَشَرٌ ولَكِنْ فِي الضَّمِيرِ تَرَفُّعٌ فاقَ الْوُجُودَ وفَاقَ أَيَّ صِفَاتِ
وَصَفُوكَ قَبْلِي فانْزَوَتْ أَبْيَاتِي وخَجِلْتُ مِنْ شِعْرِي ومِنْ كَلِمَاتِي
ماذَا أَقُولُ أَمَامَ بابِكَ سَيِّدِي ؟! سَكَتَ الْكَلامُ وفَاضَ فِي عَبَرَاتِي
يَا رَبِّ فَلْتَجْعَلْ نِهَايَةَ رِحْلَتِي عِنْدَ الْحَبِيبِ وأَنْ يَرَاهُ رُفَاتِي
يَوْماً حَلَمْتُ بِأَنْ أَرَاهُ حَقِيقَةً يَا لَيْتَنِي أَلْقَاهُ عِنْدَ مَمَاتِي

حسان بن ثابت ﷺ شاعر الرسول ﷺ

الحمد لِلَّه رب العالمين ، الذي هدانا لِهذا ، وما كنا لِنهتدي لولا أن هدانا اللَّه ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين المبعوث رحمةً لِلعالمين ..

وبعـــد .. فإنه لا يمكن أن نُغفِل في كتابنا هذا أول مَن كتب شعراً في مدح الرسول ﷺ ، فحقيقةً أنه لم يكتب قصيدةً طويلةً تزيد عن تسعة أبيات من الشعر ؛ ولكن أتت مراثيه لِلرسول ﷺ لِيكون لها بعض التطويل ، فكانت قصيدته " بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُول " في رثائه ﷺ وعدد أبياتها ٤٦ بيتاً ، وهي أطول قصيدة في المراثي لِرسول اللَّه ﷺ .

وما دمنا نعرض لِشعر حسان بن ثابت ﷺ فلا بد من التعريف به كما جاء بديوانه : فهو حسان بن ثابت مِن بني النجار ، ينتهي نسبه إلى قحطان ، فهو – إذن – يمنيّ ، أمه الفريعة بنت خالد بن قيس من الخزرج ، وكان يكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام .

وُلِد حسان ﷺ في يثرب ونشأ فيها ، فهو – إذن – مِن أهل المدر (أي سكان المدن والقرى) ، وبرغم نشأته الحضرية كان متأثراً بالحياة البدوية ؛ ظهر ذلك في شعره خصوصاً ما قاله في جاهليته .

ولَمّا ظهر الإسلام وهاجر النبي ﷺ إلى يثرب أسلمت الأوس والخزرج ، وأسلم حسان فكان من الأنصار ، على أنه كان مشهوراً بجبنه فلم يناصر الدين الجديد بسيفه ولم يكن يذهب مع المسلمين إلى القتال وإنما كان يتخلف مع النساء في المنازل ، ولكنه نصر الدين بلسانه وشعره ، وهو سلاحه الوحيد الذي شهره على أعداء النبي ﷺ ، فصار بذلك شاعر الرسول ﷺ يمدحه ويردّ على مَن يهجوه مِن شعراء قريش ، وكان النبي ﷺ يقول له ﴿ اهْجُهُمْ وَرُوحُ الْقُدُسِ مَعَك ﴾ .

وشعر حسان في الجاهلية أَجْوَد منه في الإسلام ..

قال الأصمعي : شعر حسان في الجاهلية مِن أجود الشعر ، فقطع متنه

الإسلام .

وقد قيل لِحسان :" لان شعرك في الإسلام يا أبا الحسام " فأجاب :" يَا ابْنَ أَخِي .. إِنَّ الإِسْلاَمَ يَحْجُزُ عَنِ الْكَذِبِ ، وَإِنَّ الشِّعْرَ يُزَيِّنُه " يريد بذلك أن الشعر يدخله المغالاة وتجاوز الحقيقة .

قال أبو عبيدة : فضل حسان على الشعراء بثلاث : كان شاعرَ الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي ﷺ في النُّبُوَّة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام .

وقال الحطيئة : أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشهر العرب حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حَتَّـــى مَـــا تَهِـــرُّ كِلاَبُهُـــمْ   لاَ يَسْـــأَلُونَ عَـــنِ السَّـــوَادِ الْمُقْبِـــلِ

وشهد له النابغة لَمّا سمعه في الجاهلية فقال له : إنك لَشاعر .

كل هذا وغيره يدلّ على أنه كان شاعراً فحلاً متصرفاً في فنون الشعر كلها ، وقد عُرِفَتْ ديباجته بنقاوتها وجزالتها وسهولة ألفاظها ، وقد أجمع الرواة على أنه أشعر أهل المدر .

كُفّ بصره ﷺ في آخِر أيامه ، ومات في المدينة المنورة في خلافة معاوية ﷺ ، وكان من المعمرين ، قيل أنه عاش مائةً وعشرين سنةً : ستين سنةً منها في الجاهلية وستين في الإسلام ، ومات عام ٩٠ هـــ الموافق ٦٧٠ م .

وسوف نثبت هنا ما ورد في مدح الرسول ﷺ فقط ، ولن نعرض لِلمراثي أو الأهاجي ؛ وذلك تمشياً مع موضوع الكتاب ..

شعر حسان بن ثابت ﵁

في مدح الرسول ﷺ

أجمل الأبيات ما قاله ﵁ في مدح الرسول ﷺ :

وَأَحْسَنَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

وقال ﵁ يمدح الرسولَ ﷺ :

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ مِنَ اللَّهِ مَشْهُورٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ

وَضَمَّ الإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ مِنَ الرُّسْلِ وَالأَوْثَانُ فِي الأَرْضِ تُعْبَدُ

فَأَمْسَى سِرَاجاً مُنِيراً وَهَادِياً يَلُوحُ كَمَا لاَحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنَّدُ

وَأَنْذَرَنَا نَاراً وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الإِسْلاَمَ فَاللَّهَ نَحْمَدُ

وَأَنْتَ إِلَهُ الْخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي بِذَلِكَ مَا عُمِّرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ

تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلِ مَنْ دَعَا سِوَاكَ إِلَهاً أَنْتَ أَعْلَى وَأَمْجَدُ

لَكَ الْخَلْقُ وَالنَّعْمَاءُ وَالأَمْرُ كُلُّهُ فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِي وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ

وقال ﵁ يمدح الرسولَ ﷺ :

وَاللَّهِ رَبِّي لاَ نُفَارِقُ مَاجِداً عَفَّ الْخَلِيقَةِ مَاجِدَ الأَجْدَادِ

مُتَكَرِّماً يَدْعُو إِلَى رَبِّ الْعُلَى بَذَلَ النَّصِيحَةَ رَافِعَ الأَعْمَادِ

مِثْلَ الْهِلاَلِ مُبَارَكاً ذَا رَحْمَةٍ سَمْحَ الْخَلِيقَةِ طَيِّبَ الأَعْوَادِ

إِنْ تَتْرُكُوهُ فَإِنَّ رَبِّي قَادِرٌ أَمْسَى يَعُودُ بِفَضْلِهِ الْعَوَّادِ

وَاللَّهِ رَبِّي لاَ نُفَارِقُ أَمْرَهُ مَا كَانَ عَيْشٌ يُرْتَجَى لِمَعَادِ

لاَ نَبْتَغِي رَبّاً سِوَاهُ نَاصِراً حَتَّى نُوَافِي ضَحْوَةَ الْمِيعَادِ

وفي بيتين عنوانهما " مصباح الدجى " :

مَتَى يَبْدُ فِي الدّاجِي الْبَهِـيمِ جَبِينُـهُ   يَلُحْ مِثْلَ مِصْبَاحِ الـدُّجَى الْمُتَوَقِّـدِ
فَمَنْ كَانَ أَوْ مَـنْ يَكُـونُ كَأَحْمَـدٍ   نِظَـامٌ لِحَـقٍّ أَوْ نَكَـالٌ لِمُلْحِـدِ ؟!

فِهْـــرِس الْكِــتَـــاب